The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Religion basics
Master of Faith and Contemporary

الجـامعـــــة الإسـلاميـــــة بغـــزة
عمادة البحث العلمي والدراســات العليــا
كليـــــــة أصـــــــول الـــــــدين
مـــاجستير العقيدة والمذاهب المعاصرة

عقيدة العادة عند الأشاعرة في ضوء منهج السَّلف

Ashaerah Doctrine of Habit in Light of the Approach of the Predecessor

إِعدَادُ البَاحِث

صلاح الدين بن زياد بن عمر الأسطل

إِشرَافُ

الأستاذُ الدكتور/

جابر بن زايد بن عيد السميري

قُدمَت هَذه الرسالة اِستِكمَالًا لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ فِي العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة بِكُليةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

ربيع الآخر/1441هـ - ديسمبر/2019م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي بعنوان:

عقيدة العادة عند الأشاعرة في ضوء منهج السَّلف

Ashaerah Doctrine of Habit in Light of the Approach of the Predecessor

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى. وأن حقوق النشر محفوظة للجامعة الإسلامية – غزة.

Declaration

I hereby certify that this submission is the result of my own work, except where otherwise acknowledged, and that this thesis (or any part of it) has not been submitted for a higher degree or quantification to any other university or institution. All copyrights are reserves to IUG.

Student's name:	**صلاح الدين زياد عمر الأسطل**	**اسم الطالب:**
Signature:		**التوقيع:**
Date:		**التاريخ:**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية بغزة
The Islamic University of Gaza
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم Ref ج س غ/35/
التاريخ Date 2019/12/07م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **صلاح الدين زياد عمر الأسطل** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ برنامج **العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

عقيدة العادة عند الأشاعرة في ضوء منهج السلف

Ashaerah Doctrine of Habit in light of the approach of the the Predecessor

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **السبت 9 ربيع الثاني 1441هـ** الموافق **2019/12/07م** الساعة **الثانية عشرة والنصف مساءً**، في **قاعة مؤتمرات مبنى القدس** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ. د. جابر زايد السميري	**مشرفاً ورئيساً**	.....
د. عماد الدين عبدالله الشنطي	**مناقشاً داخلياً**	.....
د. سيف الدين يوسف خشان	**مناقشاً خارجياً**	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/برنامج العقيدة الإسلامية**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. بسام هاشم السقا

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine Tel: + 970 (8) 264 4400 هاتف: Fax: + 970 (8) 264 4800 فاكس: ص.ب. 108 الرمال. غزة. فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

التاريخ: 31/12/2019م | الرقم العام للنسخة | 316819 | اللغة | ع | ☑ ماجستير ☐ دكتوراه

الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام **النسخة الإلكترونية** من رسالة

للطالب/ة: صلاح الدين زياد عبد الله

رقم جامعي: 2150058 قسم: العقيدة الإسلامية كلية: أصول الدين

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمَّعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF +WORD).
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب .....

إدارة المكتبة المركزية .....

31 -12- 2019

ملخص الرسالة باللغة العربية

ويتلخص هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

المقدمة: جاءت مشتملة على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وأهداف البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

والتمهيد: تضمن التعريف بالسَّلف، وأسماؤهم، وعقيدتهم، والثناء عليهم، والتعريف بالأشاعرة، وأشهر علمائهم، وعقيدتهم.

والفصل الأول: تناول عقيدة العادة عند الأشاعرة، وفيه أربعة مباحث، الأول: تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً، والثاني: مفهوم العادة لغة واصطلاحاً، والثالث: علاقة الكسب والسببية بالعادة، والرابع: أسباب قول الأشاعرة بعقيدة العادة، وما ترتب عليها.

والفصل الثاني: تناول نقض عقيدة العادة في ضوء منهج السَّلف، وفيه مبحثان، الأول: نقض مفهوم العادة، ومخالفة عقيدة العادة للتوحيد، ومخالفة عقيدة العادة للقرآن الكريم، ومخالفة عقيدة العادة للسُّنَّة النبوية، ومخالفة عقيدة العادة لما كان عليه السَّلف، ومخالفة عقيدة العادة للأجماع، ومخالفة عقيدة العادة للفطرة، ومخالفة عقيدة العادة للعقل، والثاني: عقيدة العادة وبيان مخالفتها لمبادئ العلوم ووجوب ترتيب الأسباب على المسببات.

والفصل الثالث: تناول أثر عقيدة العادة على المسلمين، وفيه مبحثان، الأول: تأثير عقيدة العادة على العلوم الطبيعية، وتأثير عقيدة العادة على التقدم التكنولوجي، وتأثير عقيدة العادة على الصناعة، وتأثير عقيدة العادة على الاقتصاد، وتأثير عقيدة العادة على الجهاد في سبيل الله، والثاني: تأثير عقيدة العادة على قوة المسلمين، وفيه: وجوب التوكل على الله، وجوب الأخذ بالأسباب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

This study is divided into an introduction, an introductory chapter, three chapters, and a conclusion.

The introduction shows the importance of the topic, the reason for its selection, the objectives of the study, research methodology, review of literature, and the study plan.

The introductory chapter defines Salaf (pious predecessors), and mentions their names, and their doctrine, and their praise. It also defines Al-Ashaera, their most famous scientists, and theology.

The first chapter explains the Ashari doctrine of occasionalism. The chapter includes four sections, the first: the definition of doctrine lexically and terminologically, the second: defines the concept of occasionalism lexically and terminologically, and the third: the relationship of kasb (acquisition) and causality to occasionalism, and the fourth: explains the reasons behind the Ash'ari doctrine of occasionalism, and its consequences.

The second chapter addresses with the refutation of the doctrine of occasionalism. The chapter is divided into two sections; the first of which refutes the monotheism which is contrary to monotheism, the holy Quran, prophetic Sunnah, the pious predecessors' teachings, the scholars' consensus and reason. The second section explains doctrine of occasionalism and its violation of the principles of science and the necessity of linking to arrange the causes on causatives.

The third chapter explains the impact of the doctrine of occasionalism on Muslims. It consists of two sections, the first shows the impact of the doctrine of occasionalism on the natural sciences, the impact of the doctrine of occasionalism on technological progress, the impact of the doctrine of occasionalism on industry, the impact of the doctrine of occasionalism on the economy, and the impact of the doctrine of occasionalism on jihad for the sake of Allah. The second section shows the impact of the doctrine of occasionalism on the strength of Muslims, namely, the need to have confidence and reliance on Allah, and the necessity to consider reasons.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:153]

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:101]

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:108]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإِهدَاْءُ

أهدي هذا البحث المتواضع...

- إلى من ربياني صغيراً، وعلماني كبيراً، والديّ العزيزين...
- إلى رفيقة دربي وربيع أيامي، زوجتي الغالية...
- إلى قرة عيني ونور فؤادي، أبنائي الأعزاء...
- إلى إخواني، وأختي سماح، حفظهم الله...
- إلى أعمامي وعماتي، وأخوالي وخالاتي...
- إلى صهري وعائلته الكريمة...
- إلى عائلتي الكريمة المعطاءة البارَّة بأبنائها، عائلة الأسطل الكرام...
- إلى إخواني طلبة العلم، وإلى علمائنا ومشايخنا وأساتذتنا الذين نهلنا العلم عنهم...

إليهم جميعاً أسدي احترامي وتقديري وعرفاني بجميل فضلهم

وأسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء...

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكرٌ وتقديرٌ

الحمد الله الذي بفضله تتم الصالحات، وأزكى الصلاة والسلام على خير البريات محمد ابن عبد الله ﷺ.

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ** ﴾ [لقمان:12]، ومن قوله ﷺ "**مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ لا يَشْكُرُ اللهَ**"[1].

فأنني أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان لأهل الفضل وأولهم أستاذي ومشرفي

فضيلة الأستاذ الدكتور **جابر زايد عيد السميري**، الذي عاش معي هذا البحث كلمة كلمة، وذلل لي كثير من الصعاب وكلما توا صلت معه غمرني بنصائحه وتوجيهاته، وأمدني بالمساعدة والنصح والتوجيه والإرشاد ليخرج هذا العمل في أبهى صورة وأزهى خُلة، فلولا الله ثم إيّاه ما رأت هذه الرسالة النّور، فله منّي جزيل الشكر، وجعله الله في ميزان حسناته وأدام الله عليه الصحة والعافية.

كما أتقد بالشكر إلى لجنة المناقشة المكونة من:

الدكتور الفاضل/ **سيف الدين يوسف خشان** حفظه الله مناقشا خارجيا.

الدكتور الفاضل/ **عماد الدين عبد الله الشنطي** حفظه الله مناقشا داخليا.

اللذين تفضَّلا ومنحاني بقبول شرف الموافقة على مناقشة هذا البحث لأثرائه، والوقوف على ما فيه من محاسن، وتدارك ما فيه من هفوات صغيرة، بما أنعم الله عليهما من خبرة طويلة، وتجربة خلاّقة في ميدان البحث العلمي فجزاهم الله عني كل خير.

والشكر موصول إلى منارة العلم والعلماء في أرض الرباط، الجامعة الإسلامية بغزة، رئاسة وعمداء وأكاديميين وإداريين، وإلى عمادة الدراسات العليا ممثلة بعميدها وإداريها، وإلى كلية أصول الدين ممثلة بعميدها، والهيئة التدريسية الموقرة، والموظفين والإداريين، وأخص بالذكر قسم العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة.

كما وأتقدم بالشكر إلى كل من أعانني بفائدة أو نصيحة أو توجيه أو تصحيح مما ساهم في إثراء البحث وأخص بالذكر **(أ. محمد عبد الحميد الأسطل)** على تدقيقه للرسالة لغوياً فجزاه الله خيراً.

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم والله الموفق والهادي إلي سواء السبيل

---

(1) الترمذي: سنن الترمذي، البر والصلة/ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، (339/4، ح1954)، وصححه العلاّمة الألباني في السلسلة الصحيحة، (776/1، ح416).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المحتويات

إقـــرار ..... أ

نتيجة الحكم ..... ب

ملخص الرسالة باللغة العربية ..... ج

Abstract ..... د

صفحة اقتباس (الآية القرآنية) ..... ه

الإهدَاْءُ ..... و

شكرٌ وتقديرٌ ..... ز

فهرس المحتويات ..... ح

المقدمة **1**

مشكلة البحث: 4

أهداف البحث: 4

أهمية البحث: 4

حدود البحث: 4

منهج البحث: 5

الدراسات السابقة: 5

هيكل البحث: 6

تمهيد: التعريف بالسَّلف، وبالأشاعرة **9**

المبحث الأول: التعريف بالسَّلف، وأسمائهم، وعقيدتهم، والثناء عليهم **10**

أولاً: تعريف مصطلح "السَّلف": 10

ثانياً: أسماؤهم: 12

ثالثاً: عقيدة السَّلف: 20

رابعاً: الثناء على السَّلف: 24

المبحث الثاني: التعريف بالأشاعرة، وأشهر علمائهم، ومعتقداتهم **28**

أولاً: التعريف بالأشاعرة: 28

ثانياً: أشهر علماء الأشاعرة: 29

ثالثاً: معتقدات الأشاعرة: 35

رابعاً: معتقدات متأخري الأشاعرة: 38

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول: عقيدة العادة عند الأشاعرة 40
المبحث الأوّل: تعريف العقيدة لغةً واصطلاحاً 41
المطلب الأول: تعريف العقيدة لغةً 41
المطلب الثاني: تعريف العقيدة اصطلاحاً 42
المبحث الثاني: مفهوم العادة لغةً واصطلاحاً 44
المطلب الأول: تعريف العادة لغةً 44
المطلب الثاني: تعريف العادة اصطلاحاً 45
المبحث الثالث: علاقة الكسب والسببية بالعادة 50
المطلب الأول: علاقة الكسب بالعادة 50
أولاً: الكسب لغة: 50
ثانياً: الكسب اصطلاحاً: 51
ثالثاً: علاقة الكسب بالعادة: 56
المطلب الثاني: علاقة السببية بالعادة 57
أولاً: تعريف السببية لغة: 57
ثانياً: تعريف السببية اصطلاحاً: 58
ثالثاً: نقض مذهب الأشاعرة النافين للسببية المؤثرة: 59
رابعاً: علاقة السببية بالعادة: 59
المبحث الرابع: أسباب قول الأشاعرة بعقيدة العادة، وما ترتب عليها 60
المطلب الأول: أسباب قول الأشاعرة بعقيدة العادة 60
المطلب الثاني: ما ترتب على قول الأشاعرة بالعادة 69
الفصل الثاني: نقض عقيدة العادة في ضوء منهج السَّلف 75
المبحث الأول: نقض علماء السَّلف لعقيدة العادة 76
المطلب الأول: نقض مفهوم العادة 76
المطلب الثاني: مخالفة عقيدة العادة للتوحيد 79
أولاً: التوحيد لغةً واصطلاحًا: 79
ثانيا: فضل علم التوحيد: 80
المطلب الثالث: مخالفة عقيدة العادة للقرآن الكريم والسنّة النبوية 90
أولاً: مخالفة عقيدة العادة للقرآن الكريم: 90
ثانياً: مخالفة عقيدة العادة للسُّنة النبوية 104

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع مخالفة عقيدة العادة لما كان عليه السَّلف والإجماع 116
أولاً: مخالفة عقيدة العادة لما كان عليه السَّلف: 116
ثانياً: مخالفة عقيدة العادة للإجماع: 122
المطلب الخامس مخالفة عقيدة العادة للفطرة والعقل.....124
أولاً: مخالفة عقيدة العادة للفطرة: 124
معنى الفطرة في اللغة[0]: 124
ثانيًا: مخالفة عقيدة العادة للعقل: 127
المبحث الثاني: عقيدة العادة وبيان مخالفتها لمبادئ العلوم ووجوب ترتيب الأسباب على المسببات 130
المطلب الأول: عقيدة العادة مبطلة لمبادئ العلوم 130
المطلب الثاني: وجوب ترتيب الأسباب على المسببات دون محذور كإنكار المعجزات والكرامات وما في حكمها 132
الفصل الثالث: أثر عقيدة العادة على المسلمين.....135
المبحث الأول: تأثير عقيدة العادة على تقدم المسلمين 136
المطلب الأول: تأثير عقيدة العادة على العلوم الطبيعية.....136
المطلب الثاني: تأثير عقيدة العادة على التقدم العلمي "التكنولوجي" 137
المطلب الثالث: تأثير عقيدة العادة على الصناعة 138
المطلب الرابع: تأثير عقيدة العادة على الاقتصاد 139
المطلب الخامس: تأثير عقيدة العادة على الجهاد في سبيل الله.....140
المبحث الثاني: تأثير عقيدة العادة على قوة المسلمين 142
المطلب الأول: وجوب التوكل على الله.....142
أولاً: التوكل في اللغة: 142
ثانياً: التوكل اصطلاحاً: 142
ثالثاً: التوكل في القرآن الكريم: 143
رابعاً: التوكل في السُّنة النبوية: 144
المطلب الثاني: وجوب الأخذ بالأسباب 145
الخاتمة 152

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع.....155
الفهارس العامة.....174
أولاً: فهرس الآيات القرآنية 175
ثانياً: فهرس الأحاديث الشريفة 188
ثالثاً: فهرس الفرق 191
رابعاً: فهرس الأعلام 192

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:102].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:1].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١ ﴾ [الأحزاب:70-71].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هديُ محمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

فإنّ الله سبحانه وتعالى اصطفى نبيه محمد ﷺ، من بين الناس وأرسله برسالته، فبلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزغ عنها إلا هالك أو ضال، فما من خير إلا ودلنا عليه، وما من شر إلا وحذرنا منه، ولا أدل على ذلك من حديث رسول الله ﷺ: "**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ ما يَعْلَمُهُ لَهُمْ**"[1]، فسار الصحابة الكرام رضوان الله متمسكين بالهدى الذي هداهم الله تعالى إليه، وربَّاهم النبي ﷺ، فكانوا خير أصحاب لأخير نبي، وبقيت السُّنّة ظاهرةً والعقيدة صافيةً لم يشوبها أي كدرٍ ولا شائبةٍ، ثم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أكمل الصحابة الكرام ﷺ دعوته فجاهدوا وعلّموا مَن بعدَهم وبذلوا في سبيل ذلك الغالي والنفيس، حتى بعُدَ زمن وفاة النبي ﷺ فبدأت النّحَل والفرق تظهر شيئاً فشيئاً، حتى وقف الصحابة الكرام، منها موقفاً حازماً، وجندوا أنفسهم في سبيل ردّها، فحاربوا المحدثات والبدع

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، (380/9، ح3431)، دار ابن رجب، ط1، 1422].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والضلالات وأهلها، وإنّ أول البدع ظهوراً بدعة الخوارج[1]، والتي عظُمت فتنتهم في خلافة على ابن أبي طالب رضى الله عنه فقضى عليهم في معركة النهروان، وظهرت أيضاً القدرية[2] في أواخر عصر الصحابة الكرام ﷺ فردّ عليهم ابنُ عمر ﷺ وتبرأ منهم، وظهرت المرجئة[3] في زمن التابعين، ثم المعتزلة والجهمية[4]، ثم تتابعت الفرق بالظهور تتراً، معرضين عن نصوص الكتاب والسُّنة النبوية المشرفة، فتصدى لها السَّلف، ووقفوا في وجه تلك الفرق فردّوا عليهم باطلهم بالكتاب والسُّنة، وألَّفُوا في سبيل ذلك الكتب والرسائل، وبفضل من الله لا يخلو من زمان من قائم لله بالحجة والبرهان، يردُّ الحق بالدليل والحجج والبراهين، ويقمع الباطل وأهله، ولله الحمدُ والمنّة[5]، ومن أكبر الفرق الكلامية انتشاراً وظهوراً في مقابل الفرق الكلامية الأخرى فرقة الأشاعرة، والتي لا زال لها دعاة وعلماء يستدلون بما قرره متقدموهم، وهي فرقة قديمة ينتسبون إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، الذي خاض في العقائد الكلامية ثم رجع وتاب عنها معتقداً ومظهراً لعقيدة السَّلف، بل

---

(1) الخوارج تُعد هذه الفرقة أول البدع الكلامية ظهوراً في تاريخ هذه الأمة، فكفَّروا المسلمين، ومن ذلك الصحابة الكرام، واستحلوا الدماء، وانتهكوا الأعراض، فعظُمت فتنتهم، فأمر النبي ﷺ وحث على قتالهم، وبدعة الخوارج كانت أول نزعة ونشأت وظهور علم الكلام، انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (30/13-31). ثم أخمدت فتنتهم لما قاتلهم على ابن أبي طالب ﷺ في معركة النهروان، انظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، (57).

(2) القدرية ظهرت في أواخر عصر الصحابة الكرام، بعد موت الخليفة معاوية ابن أبي سفيان، انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (228/8). وكان أول من تولى كبر هذه البدعة رجل من البصرة يُقال له معبداً الجهني، تلقاها عن نصراني يقال له سوسن، انظر: الشريعة، الآجري، (959/2)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي، (827/4).

(3) المرجئة ظهرت في مقابل بدعة الخوارج، بعد فتنة ابن الأشعث، روى عبد الله ابن الإمام أحمد عن قتادة أنه قال: "إنما أحدثَ الإرجاء بعد هزيمة ابن الأشعث"، قال شيخ الإسلام ابن تيمية "ثم لما كان في آخر عصر الصحابة، في إمارة ابن الزبير، وعبد الملك: حدثت بدعتا المرجئة والقدرية"، انظر السنة عبد الله بن الإمام أحمد، (ص147)، منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، (142/6).

(4) الجهمية هي إحدى الفرق الكلامية، وتُنسب للجهم ابن صفوان، الذي قال بفناء الجنة والنار، والإيمان هو المعرفة، والقول بخلق القرآن، إلى غير ذلك من المعتقدات الفاسدة، انظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري، (114/1)، الفرق بين الفرق، البغدادي، (ص199).

(5) من تلك الردود: ردّ شيخ الإسلام ابنُ تيمية على البكري الأخنائي ووالرازي، وردّ الإمام الدارمي على الجهمية وبشر المريسي وغيرهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وانتصر لمذهب السَّلف في كتابه "الإبانة"، ولكن المتأخرين منهم يلاحظ عليهم في مصنفاتهم أنهم مالوا عن عقيدة السَّلف، أكثر من الذين سبقوهم، فخالفوا في الإيمان، والأسماء والصفات والقضاء والقدر، وقد سلك المتأخرون منهم مسلك التّجهم والاعتزال في بعض القضايا العقدية، لذا وقع التناقض فيما بينهم عفا الله عنهم، وهذه سنة الله في كل من خالف نصوص الوحيين، الكتاب والسُّنة، وخالف منهج السَّلف.

أما موضوع هذه الرسالة فهو عرض قضية من أهم القضايا المتعلقة بالفلسفة الطبيعية والعقدية لدى الأشاعرة التي سموها بـــ"العادة" وهي التي تعني أنه لا شيء يؤثر في شيء ولا علة تؤثر في معلولها فالنار مثلاً ليس لها أثر في الإحراق، وما يراه الناس من إحراق إنما هو عادة وإلف فقط وليس ناشئًا عن علة في النار، والله الخالق له باطراد، كلما التقت النار مع ما تحرقه دون أن يكون للنار أثر يُذكر، وهكذا لا حقيقة لطبائع الأشياء وحكموا على أنها فارغة من القوى ومن ثم التأثير في غيرها، أو التأثير بقدرة الله ﷻ باعتبارها وسائط وهذا معناه أيضًا إنكار لعلاقة الأسباب بمسبباتها، وأن التلاقي بينهما ما هو إلا عادة فليس هناك أي علاقة ترابطية إلا ما يشاهده الإنسان بعينه والمشاهدة ليست حجة:؛ بمعنى: إن اطراد الموجودات وتسلسلها ليس قائمًا على الترابط "العليِّ" بل إن العادة وجريانها هما السبيل في إحساسنا بالتعاقب بين ما يقال: إنه سبب، وما يقال: إنه مسبب، وأن وجود أحدهما في الذهن يلزمه –بالتداعي – وجود الآخر دون أن يكون هناك في الواقع رابطة "على" حقيقة، والسبب الذي دفع الأشاعرة إلى هذا القول، هو مجادلتهم للطبائعيين الذين ينسبون للطبيعة كل التأثير والاستقلال بالفعل، فردوا عليهم هذا الاعتقاد؛ بأن نزعوا من الطبائع صفة الفاعلية، وغلوا حتى صادروا ما للطبائع من صفات جوهرية بها؛ تتمايز وتتغاير؛ كالفرق بين الخد والبصر، مع أن القول بأنها لا تفعل استقلالاً؛ وإنما بإذن الله؛ وهو القول الذي كان يجب أن يتوقفوا عنده دون الذهاب إلى آخر الشوط، وإنكار حقائق الأشياء الأساسية؛ مما أفسد عليهم طرقهم في إثبات التوحيد [1].

(1) انظر:عقيد العادة عند الأشاعرة ما لها وما عليها، (ص2)، جابر ابن زايد السميري، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الاسلامية، غزة، م9، ع1، (ص177–208).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مشكلة البحث:

وتتمثل مشكلة البحث في الوقوف على تأثير عقيدة "العادة" على قوة المسلمين، لتركهم الأخذ بالأسباب، ولعل من المهم التعمق في دراسة تلك العقيدة للرد على تلك المعتقدات وبيان مباينتها للأدلة النقلية والعقلية، ومازالت الحاجة قائمة للدراسة والتقصي والوقوف على عبارات السلف في علاقة الأسباب بالمسببا

أهداف البحث:

1- بيان عقيدة العادة عند الأشاعرة.
2- بيان مخافة عقيدة العادة للنقل.
3- بيان مخالفة عقيدة العادة للعقل.
4- بيان العقيدة الصحيحة من خلال منهج السّلف الصالح.
5- بيان منهج المعتزلة في التلقي.
6- بيان منهج الأشاعرة في التلقي.

أهمية البحث:

1- إثبات الأسباب وعلاقتها بالمسببات كمعتقد منهج السلف الصالح.
2- عدم توفيق الأشاعرة في الرد على الطبائعيين.
3- الوقوف على حكم الأشاعرة تجاه الفكر الماقبل من خلال المناقشة الموضوعية؛ للوصول إلى الغاية المنشودة.

حدود البحث:

وتتكون حدود الدراسة من:

1- **الحد الزمني:** في القرن الثالث الهجري.

2- **الحد الموضوعي:** عقيدة العادة.

3- **الحد البشري:** السَّلف والأشاعرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منهج البحث:

اتبعتُ في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي[1]، واستنبطتُ ما يمكن استنباطه من أحكام تتعلق بالروايات الواردة في البحث.

الدراسات السابقة:

بعد الإطلاع لم أقف حسب علمي على رسالة مستقلة بذاتها في بيان معتقد الأشاعرة في الأسباب والمسببات، والرد عليها في ضَوء عقيدة السَّلف، سوى بحث محكّم ومنشور للدكتور جابر السميري بعنوان "عقيدة العادة عند الأشاعرة مالها وما عليها"، وتكلم فيه الباحث عن رأي الأشاعرة، القائل بأن طبائع الأشياء لا أثر لها البتة وأنه لا توجد في الأشياء قُوى وطاقات كامنة بمعنى أن النار ليس فيها قوة إحراق وأن ما يشاهده الإنسان من احتراق إنما هو عادة وإلف، وليس ناتجًا عن قوةٍ في النار، ثم إنهم لم يكتفوا أي: الأشاعرة أن نسبوا هذه العقيدة الفاسدة لأنفسهم حتى ألصقوها بدين الله تعالى وادّعوا أن الكتاب والسُّنة تنادي بها، ثم تكلم الباحث عن براءة الكتاب والسُّنة من هذه العقيدة الفاسدة، ويثبت خلافها وعكسها، وأنه توجد قوى كامنة في الأشياء ولها آثار فالماء مثلاً يكون سببًا في الإنبات، والعين سببًا للإبصار، فمن أنكر خاصية الماء في الإنبات والعين في الإبصار فكأنما سوّى بينها وبين أضدادها، وجعل البصر كالخد وبراءة العلم كذلك فها هو يكتشف الذرة ويفجرها ويبين كم فيها من القوة الهائلة المدمرة وما عاد خافيًا على أحد اليوم أن الكيميائيين يستخلصون من كثير من الأشياء والمواد خلاصات يسخرونها في خدمة البيئة والإنسان، ثم ذكر أن إنكار مثل هذه الأمور ما هو إلا تحكم من غير دليل وربما جاء رد فعل لقول الطبائعيين: إن الطبيعة هي الخالقة، فحاول الأشاعرة سحب البساط منهم والقول بمنع فعل الطبيعة وهنا سقط في أيديهم، وجاءت أقوالهم بعيدة عن فهم القرآن الكريم، الذي يثبت الأثر والعمل بدون استقلالية، فالخالق هو الله باستقلال دون أشياء الطبيعة التي تفعل ولكن بإذن من الله تعالى[2].

---

(1) هو منهج يربط فيه العقل بين المقدمات والنتائج، وبين الأشياء وعللها على أساس المنطق والتأمل الذهني، حيث يبدأ بالجزئيات ليصل منها إلى قوانين عامة. انظر: الاستقراء والمنهج العلمي/ محمود فهمي زيدان، (ص27)، ط1977م دار الجامعات المصريّة – الإسكندرية.

(2) انظر: عقيد العادة عند الأشاعرة، جابر السميري، (ص1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هيكل البحث:

يتكَوَّن البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، مرتباً على النحو التالي:

المقدمة وتشتمل على: مشكلة البحث، أهداف البحث، أهمية البحث، حدود البحث، منهج البحث، الدراسات السابقة، هيكل البحث، أهم المصادر والمراجع.

التمهيد:

ويشتمل على مبحثين: التعريف بالسَّلف وبالأشاعرة:

المبحث الأول: التعريف بالسَّلف:

أولاً: تعريف مصطلح "السَّلف".

ثانياً: أسماؤهم.

ثالثاً: عقيدة السَّلف.

رابعاً: الثناء على السَّلف.

المبحث الثاني: التعريف بالأشاعرة:

أولاً: التعريف بالأشاعرة.

ثانياً: أشهر علماء الأشاعرة.

ثالثاً: معتقدات متأخري الأشاعرة.

الفصل الأوّل

عقيدة العادة عند الأشاعرة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف العقيدة لغةً واصطلاحاً.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف العقيدة لغةً.

المطلب الثاني: تعريف العقيدة اصطلاحاً.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: مفهوم العادة لغةً واصطلاحاً.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف العادة لغةً.

المطلب الثاني: تعريف العادة اصطلاحاً.

المبحث الثالث: علاقة الكسب والسببية بالعادة.

وفيه مطلبان:

المطلب لأول: علاقة الكسب بالعادة.

المطلب الثاني: علاقة السببية بالعادة.

المبحث الرابع: أسباب قول الأشاعرة بعقيدة العادة، وما ترتب عليها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسباب قول الأشاعرة بعقيدة العادة.

المطلب الثاني: ما ترتب على قول الأشاعرة بالعادة.

الفصل الثاني

نقض عقيدة العادة في ضَوء منهج السَّلف

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نقض علماء السَّلف لعقيدة العادة.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نقض مفهوم العادة.

المطلب الثاني: مخالفة عقيدة العادة للتوحيد.

المطلب الثالث: مخالفة عقيدة العادة للقرآن الكريم والسُّنة النبوية.

المطلب الرابع: مخالفة عقيدة العادة لما كان عليه السَّلف والإجماع.

المطلب الخامس: مخالفة عقيدة العادة للفطرة والعقل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: عقيدة العادة وبيان مخالفتها لمبادئ العلوم ووجوب ترتيب الأسباب على المسببات.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عقيدة العادة مبطلة لمبادئ العلوم.

المطلب الثاني: وجوب ترتيب الأسباب على المسببات دون محذور كإنكار المعجزات والكرامات وما في حكمها.

الفصل الثالث

أثر عقيدة العادة على المسلمين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تأثير عقيدة العادة على تقدم المسلمين.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تأثير عقيدة العادة على العلوم الطبيعية.

المطلب الثاني: تأثير عقيدة العادة على التقدم العلمي "التكنولوجي".

المطلب الثالث: تأثير عقيدة العادة على الصناعة.

المطلب الرابع: تأثير عقيدة العادة على الاقتصاد.

المطلب الخامس: تأثير عقيدة العادة على الجهاد في سبيل الله.

المبحث الثاني: تأثير عقيدة العادة على قوة المسلمين.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وجوب التوكل على الله.

المطلب الثاني: وجوب الأخذ بالأسباب.

الخاتمة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد

التعريف بالسَّلف، وبالأشاعرة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

التعريف بالسَّلف، وأسمائهم، وعقيدتهم، والثناء عليهم

أولاً: تعريف مصطلح "السَّلف":

1- السَّلف في اللُّغة:

"السّين، واللام، والفاء: أصل يدل على تقدم وسبق"[1].

قال ابن منظور في اللّسان: "السّلف جمع سالف: المتقدم، والسّلف الجماعة المتقدمون"[2].

وفي النهاية: "سلف الإنسان: من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين: السَّلف الصّالح"[3].

وفي الصحاح: "يقال سلف الرجل آباؤه المتقدمون والجمع أسلاف وسلاف"[4]، وقد استدل الراغب[5] لمجيء السَّلف على المتقدم بقوله تعالى: ﴿**فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ**﴾ [الزخرف:56]. وقوله تعالى: ﴿**فَلَهُۥ مَا سَلَفَ**﴾ [البقرة:275]، ﴿**إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ**﴾ [النساء:22].

والتعريف اللغوي للسَّلف عام يشمل كل من سبق وتقدم على غيره.

2- السَّلف اصطلاحاً:

هم صدر هذه الأمّة في التحليل والتحريم من الصحابة الكرام والتّابعين، والأئمّة الأعلام العدول، ممن اتفقت الأمة على إمامتهم في الدين، وعُرف عِظمُ شَأنِهِ في الدِّينِ، وتلقى المسلمون كلامهم -خلفاً عن سلف- بالرضا والقبول، كالأئمة الأربعة، دون من رُميَ ببدعةٍ، أو شُهِرَ بلقبٍ

---

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (95/3).

(2) لسان العرب، ابن منظور، (158/9).

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (390/2)، وانظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادى، (153/3).

(4) الصحاح، الفارابي، (1376/4).

(5) المفردات في غريب القرآن،الأصفهانى، (ص 239).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غير مرضيٍّ مثل الخوارجِ والرَّوافضِ[1] والقَدَريَّةِ وَالْمرجئَةِ والجبريَّةِ[2] والجهميَّةِ والمعتزلةِ[3]، في القرون الثّلاثة الأولى المفضّلة[4]، كما قال الرّسول ﷺ: "**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**"[5].

ولابد أن يتحقق في مصطلح السَّلف عاملان:

1- **العامل الزمني:** حقبة تاريخية معينة، وهو إدراك الفترة الزّمنية التي حدّدها النّبيُ ﷺ كما في الحديث الذي ذكرناه سالفاً.

2- **العامل المنهجي:** ويتمثل في طريقة الصحابة الكرام والتابعين، ومن تبعهم بإحسان والتمسك بالكتاب والسُّنة، وفهم معانيهما، وتقديمهما على ما سواهما وأنّه لا تعارض بين العقل والنّقل، وأنّه لو اتّبع النّقل كاملاً لكان فيه الكفاية والهداية؛ لأنّ الذي خلق العقل هو الذي أرسل إليه النّقل، فمحال أن يرسل إليه ما يُفسده؛ ولذلك لم يقدّموا العقل على النّقل؛ لأنّه ليس هناك تعارض بينهما.

---

(1) الروافض هي تلك الطائفة ذات الأفكار الاعتقادية الذين رفضوا خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ، وتبرئوا منهم، ومن سائر الصحابة الكرام وكفروهم، إلا القليل منهم، قال الإمام أحمد:" الرافض هم الذين يتبرؤن من أحاب محمد ﷺ، ويسبونهم وينتقصونهم"، انظر: طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، (31/1)، وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير، (330/9).

(2) الجبرية ظهرت الجبرية في مقابل فرقة القدرية، يقولون إن الإنسان مجبور على فعله قسراً، ولا فعل له أصلاً، ولا مشيئة ولا اختيار له حقيقة، وما هو إلا كالريشة في مهب الريح، وحقيقة القول بالجبر هو نفي الفعل عن العبد وإضافته إلى الله، انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، (90/1)، الملل والنحل، الشهرستاني، (ص72).

(3) المعتزلة فرقة كلامية إسلامية، ظهرت في أول القرن الثاني الهجري، وعظم شأنها في العصر العباسي الأول، يرجع اسمها إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء، مجلس الحسن البصري، لقول واصل: بأن مرتكب الكبيرة ليس كافراً، ولا مؤمناً، بل هو في منزلة بين المنزلتين، ولما اعتزل واصل مجلس الحسن، وجلس عمرو بن عبيد إلى واصل وتبعهما أنصارهما قيل لهم "معتزلة" أو "معتزلون" وهذه الفرقة تعتد بالعقل وتغلو فيه وتقدمه على النقل، انظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، (ص117-121)، والملل والنحل، الشهرستاني، (46/1-49).

(4) انظر: لوامع الأنوار البهية، السفاريني، (20/1).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، الشهادات/ لا يشهد على جور إذا أشهد، (171/3)، (ح2652)، دار السلام، الرياض، ط2، 1419، ومسلم: صحيح مسلم، فضائل الصحابة/ فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (1963/4، ح2533)].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا أُطلق السَّلفُ عند علماء الاعتقاد؛ فإنّما تدور كل تعريفاتهم حول الصّحابة الكرام؛ أو الصّحابة والتّابعين، أو الصّحابة والتّابعين وتابعيهم من القرون المفضّلة؛ وأئمة الهدى المشهود لهم بالإمامة والفضل واتّباع السُّنة والإمامة فيها، واجتناب البدعة والحذر منها، وممن اتفقت الأمّةُ على إمامتهم وعَظُم شأنهم في الدّين؛ ولهذا سمي الصّدر الأوّل بالسَّلف الصّالح، وهم الذين نصَّ عليهم النّبي ﷺ: "**وَتَفْتَرِقَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةٍ كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةٍ، قَالوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولُ الله؟ قال: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**"[1][2]".

وعليه فإنّ التحديد الزمني ليس شرطاً في ذلك وحده؛ بل الشرط الأهم والأولى هو موافقة الكتاب والسُنّة في العقيدة والأحكام والسّلوك بفهم السَّلف، علماً وعملاً واعتقاداً.

والذي يعنينا في هذا البحث أن السَّلف هم أصحاب القرون المفضّلة الأولى؛ التي قال فيها رسول الله ﷺ: "**خير النَّاس قَرْني؛ ثمَّ الَّذين يَلُونَهُمْ ثمَّ الَّذين ثمّ الذين يلونهم**"[3]؛ ولذا فالصّحابة الكرام والتّابعون وأتباعهم، هم أحق بالاتّباع من غيرهم؛ وذلك لصدقهم في إيمانهم، وإخلاصهم في عبادتهم، وهم حرّاس العقيدة، وحماة الشّريعة، العاملون بها قولاً وعملاً واعتقاداً؛ ولذلك اختارهم الله تعالى لنشر دينه، ويطلق على كلّ من اقتدى بالسَّلف الصّالح، وسار على نهجهم في سائر العصور "سلفيّ" نسبة إليهم، وتميزاً بينه وبين من يخالفون منهج السّلف، ويتبعون غير سبيلهم"[4].

ثانياً: أسماؤهم:

السَّلف يتميزون عن غيرهم بأسماء وألقاب، صحيحة فهي كالسمة والعلامة التي تدل على حالهم وتطابق معتقداتهم، وهي سمة لكل مؤمن صحيح الاعتقاد، وهي أوصاف مشرقة من الأوصاف التي وصفها النبي ﷺ، والتي هي بمثابة خنجرٍ في حلق كل مبتدع، فمن ردها

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، الإيمان/ ما جاء في افتراق هذه الامة، (26/5، ح2641)، وحسنه الألباني، انظر: صحيح الترمذي (2/ 334، ح 2129)، (ط. الأولى 1408هـ، نشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج)].

(2) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص113)، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب.

(3) [البخاري: صحيح البخاري، الشهادات/ لا يشهد على جور إذا أشهد، (171/3)، (ح2652)، ومسلم: صحيح مسلم، فضائل الصحابة/ فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (1963/4، ح2533).

(4) الوجيز في عقيدة السّلف الصالح "أهل السنّة والجماعة" لعبد الله بن عبد الحميد الأثري، (ص15).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو شك فيها فإنما ذلك ناتج عن فساد العقيدة أو مرض، وهذا هو دأب أهل الباطل في محاربة الحق؛ ونعته بأوصاف قبيحة ومنفرة وكاذبة وباطلة[1].

1- أهل السُّنة والجماعة.

2- الفرقة الناجية.

3- أهل الحديث والسُّنة.

4- أهل الأثر.

5- الطائفة المنصورة.

وفيما يلي بيان هذه الأسماء:

1- أهل السُّنّة والجماعة:

التعريف بأهل السُّنة والجماعة لغةً واصطلاحاً:

أ- السُّنة في اللُّغة:

الطريقة، والسيرة: حسنة كانت أم سيئة، قال الله تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ** فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران:137]، قال الزجاج: "والمعنى: أهل سنن، فحذف المضاف"[2].

وجاء في الحديث قول النبي ﷺ: "**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً؛ فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**"[3].

ب-معنى السُّنة في الاصطلاح:

السُّنة في الاصطلاح: لها معانٍ كثيرة تختلف على حسب اختلاف العلماء ونوع العلم الذي يعملون به:

فالسُّنة عند الأصوليين: "ما نقل عن النبي ﷺ من قول، أو فعل أو تقرير"[4]، فالسُّنة هنا كونها مصدرا أو دليلاً.

---

(1) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، فرق،غالب بن علي عواجي، (96/1).

(2) الجامع لأحكام القرآن،القرطبي، (216/4).

(3) [مسلم:صحيح مسلم، الزكاة/ الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، (704/2،ح1017)].

(4) الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، (127/1)،.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والسُّنة عند المحدّثين: ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو عمل، أو تقرير، أو صفة خُلُقِية، أو خِلقية، أو سيرة، سواء أكان ذلك قبل البعثة، أم بعدها.

والسُّنة عند الفقهاء: ما ثبت عن النبي ﷺ من حكم هو دون الفرض والواجب[1].

ويُراد بها الحديث النبوي، ويُراد بها عمل الصحابة الكرام، ويراد بها العقيدة، ويُراد بها كل من تمسك والتزم هدي الكتاب والسُّنة، وهدي الصحابة الكرام في أمور دينه؛ سواء كانت في باب الاعتقاد أو في باب العبادات، وتُطلق في مقابل البدعة، ويُفهم من هذه الإطلاقات عموماً؛ أن السُّنة يُراد بها ما كان في أمر الدين بدليل قوله تعالى في الحث على التمسك بكل ما جاء عن النبي ﷺ ﴿**وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟**﴾ [الحشر:7]، وقوله تعالى: ﴿**مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ**﴾ [النساء:80]، وغير ذلك من الآيات، وبدليل قول النبي ﷺ: "**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**[2]" وقَوْلَهُ ﷺ: "**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدّ**"[3]، وقد أطلق على السَّلف أهل السُّنة لتمسكهم بها منذ زمن النبي ﷺ والصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين[4].

ومن هنا السُّنة لها معانٍ عديدة على حسب العلم الذي تنسب له، وعلى حسب العلماء الذين يشتغلون بها.

ج- معني الجماعة:

- **معنى الجماعة في اللُّغة:**

من جمع، يقال، جمع المفترق، القوم المجتمعون، والجماعة ضدّ الفرقة[5].

- **معنى الجماعة اصطلاحاً:**

والمراد بهم هنا هم سلف الأمة من الصحابة الكرام، والتابعين، الذين اجتمعوا على الدين الحق والواضح والصريح من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ[6].

---

(1) العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى الفراء، (166/1).

(2) [ابن ماجة، سنن ابن ماجة: أبواب السنة/ اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهتدين، (192/1، ح42)، صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه].

(3) [البخاري: صحيح البخاري، البيوع/ النجش، ومن قال "لا يجوز ذلك البيع"، (69/3، ح2550)، ومسلم: صحيح مسلم، الأقضية/ نقض الأحكام الباطلة، وردّ محدثات الأمور، (ح1718)].

(4) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، عواجي، (99/1).

(5) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (53/8)، "مادة جمع"، وانظر: مجموع الفتاوى،ابن تيمية،(157/3).

(6) انظر: شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، محمد بن خليل حسن هرّاس، (ص61).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعليه فيكون، معنى أهل السُّنة والجماعة أي: أهل السُّنة والاجتماع، سُموا أهل السُّنة، لأنهم متمسكون بها، لأنهم مجتمعون عليها، أضافهم إلى السُّنة؛ لأنهم متمسكون بها، والجماعة، لأنهم مجتمعون عليها[1].

وسُموا أهل السُّنة والجماعة لأنهم يتميزون عن أهل البدع في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يتميزون بثباتهم على المنهج القويم، وفي الآخرة يبيّض الله وجوههم، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، فقد أخرج اللالكائي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**﴾ [آل عمران:106]؛ "فأما الذين ابيضت وجوههم: فأهل السُّنة والجماعة وأولوا العلم، وأما الذين اسودت وجوههم: فأهل البدع والضلالة"[2].

2- الفرقة الناجية:

وهذا الاسم مأخوذ من قول النبي ﷺ في حديث الافتراق؛ "**وَإِن أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ على ثِنْتَيْنِ وَسبعين فرقة، كلهَا فِي النَّار إِلَّا وَاحِدَة؛ وهى الْجَمَاعَة**"[3].

فالنبي ﷺ أخبر أن كل الفرق هالكة إلا واحدة فهي الناجية وهي الجماعة، وفي رواية أخرى: "**مَا أَنَا عَلَيْه وَأَصْحَابِي**"[4].

وهذا الوصف لا ينطبق إلا على أهل الحديث والسُّنة؛ فإنهم هم الذين على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام، فهم الفرقة الناجية ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وقد ذكر حديث النبي ﷺ: "**وَإِن أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ على ثِنْتَيْنِ وَسبعين فرقة، كلهَا فِي النَّار إِلَّا وَاحِدَة؛ وهى الْجَمَاعَة**[5]": إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم"[6].

---

(1) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين،(52/2).

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة، اللالكائي، (72/1)،معالم التنزيل في تفسير القرآن "تفسير البغوي"، البغوي، (339/1)، وتفسير القرآن العظيم "ابن كثير"، ابن كثير، (2/ 79).

(3) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، الفتن/ افتراق الأمم، (ح1322). وقال الألباني: "صحيح"، انظر: صحيح ابن ماجه(2/ 364).

(4) [الترمذي: سنن الترمذي، الإيمان/ ما جاء في افتراق هذه الامة، (26/5، ح2641)، وحسنه الألباني، انظر: صحيح الترمذي (2/ 334، ح 2129)].

(5) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، الفتن/ افتراق الأمم، (ح1322). وقال الألباني: "صحيح"، انظر: صحيح ابن ماجه (2/ 364).

(6) شرف أصحاب الحديث، الخطيب البغدادي، (ص25).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونجد كثيرًا من أهل العلم قديمًا وحديثًا "يجعل الفرقة الناجية" علمًا على "أهل السُّنة" واسمًا من أسمائها، ومن ذلك: صنيع شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة العقيدة الواسطية؛ حيث قال: "أما بعد: فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السُّنة والجماعة"[1].

ومن ذلك أيضًا صنيع الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز؛ حيث قال: "قول الفرقة الناجية، أهل السُّنة والجماعة في الأسماء والصفات هو" [2].

3- أهل الحديث والسُّنة:

كثير من العلماء يطلق هذه التسمية على السَّلف أهل السُّنة؛ كشيخ الإسلام ابنُ تيمية، وغيره من رجال العلم، وإذا أطلقوا في تسميتهم فقالوا أهل الحديث والسُّنة؛ فإنهم لا يريدون التقسيم إنما هما عندهم بمعنىً واحدٍ، فالسُّنة هي الحديث، والحديث هو السُّنة حسب ما يظهر من صنيع المحدّثين من السَّلف الصالح، ولكن ينبغي الانتباه؛ إلى أن بعض علماء السَّلف قد يطلق تسمية أهل السُّنة احترازاً عن غيرهم من أهل البدع؛ فتكون السُّنة عامةً، والحديث أخص ويظهر الافتراق في أبواب الاعتقاد عند هذا الاستعمال، وعلى هذا فهناك فرق بين مصطلح أهل السُّنة وأهل الحديث؛ وإن عُبّر بأحدهما عن الآخر في أبواب الاعتقاد لما بينهما من التقارب في الغالب، وإلا فقد يكون المرء من أهل السُّنة وليس من أهل الحديث من الناحية الصناعية، أي ليس بمحدثٍ، وقد يكون من أهل الحديث صناعة، وليس هو من أهل السُّنة، فقد يكون مبتدعاً؛ ولذلك قال عبد الرحمن بن مهدي:[3] "الناس على وجوه؛ فمنهم من هو إمام في السُّنة إمام في الحديث، ومنهم من هو إمام في الحديث؛ فأما من هو إمام في السُّنة وإمام في الحديث فسفيان الثوري" [4].

وقال الإمام ابن الصلاح: وقد سئل عن الفرق بين السُّنة والحديث في قول بعضهم عن الإمام مالك: إنه جمع بين السُّنة والحديث؛ قال: "السُّنة هنا ضد البدعة، وقد يكون

---

(1) العقيدة الواسطية مع شرح، هرّاس، (ص 14).

(2) وسطية أهل السُّنة بين أهل الفرق، محمد با كريم، (ص 121)، رسالة دكتوراة.

(3) هو عبد الرحمن بن مهدي ابن حسان بن عبد الرحمن، الإمام، الناقد، المجود، سيد الحُفَّاظِ، أَبُو سَعِيْدٍ العَنْبَرِيُّ، ولد 135هـ، قاله الإمام أحمد، وطلب هذا الشأن وهو ابنُ بِضْعَ عشرة سَنَةً، حدّث عنه ابن المبارك وابن وهب، وهما من شيوخه، قال الإمام الشافعي، لا أعرف له نظيراً في هذا الشأن، قال الإمام أحم، عبد الرحمن أفقه من يحي اليقطّان، انظر: في ترجمته، سير أعلام النبلاء، (589/7).

(4) وسطية أهل السُّنة بين أهل الفرق محمد با كريم، (ص 118، رسالة دكتوراة)، وانظر: شرح أصول السُّنة، اللالكائي، (1/ 63).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإنسان من أهل الحديث وهو مبتدع، ومالك ﷺ جمع بين السنتين؛ فكان عالمًا بالسُّنة؛ أي: للحديث –ومعتقدًا للسُّنة– أي كان مذهبه مذهب أهل الحق من غير بدعة"[1].

والحقيقة التي لا شك فيها؛ أن هذه التسمية شرف عظيم لأصحاب العقيدة الصحيحة، الذين ينتسبون إلى علم الحديث الشريف.

4- أهل الأثر أو "الأثرية":

وهذا الاسم يطلقه كثير من أهل العلم ويريدون به أهل السُّنة والحديث، وذلك لاشتغالهم بحديث رسول الله ﷺ، آثار أصحابه الكرام، علماً وفهماً وعملاً، واحتجاجاً بها، قال الإمام أحمد

دين النبي محمد أخبار ... نعم المطية للفتى آثار
لا ترغبن عن الحديث وآله ... فالرأي ليل والحديث نهار[2]:

وقال السَّفَّاريني:

اعلم هديت أنَّهُ جاء الخبر ... عن النَّبيِّ المقتفى خير البشر
بأنَّ ذي الأمَّة سوف تفترق ... بِضعًا وسبعين اعتقادًا والمحق
ما كان في نهج النَّبيِّ المصطفى ... وصحبه من غير زيغ وجفا
وليس في هذا النص جزماً يعتبر ... في فرقة إلا على أهل الأثر[3]

كما جاء في كلام أبي حاتم الرازي[4]: "مذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين، والتمسك بمذهب أهل الأثر مثل: أبي عبد الله أحمد بن حنبل"، وقال أيضاً "وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السُّنة حشوية" فاستعمل "أهل الأثر" بمعنى "أهل السُّنة"[5].

---

(1) فتاوى ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح،(1/ 213).
(2) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، السفاريني، (7/1).
(3) المصدر السابق.
(4) الإِمَامُ، الحَافِظُ، النَّاقِدُ، شَيْخُ المُحَدِّثِيْنَ، الحَنْظَلِيُّ الغَطَفَانِيُّ، مِنْ تَمِيْمِ بنِ حَنْظَلَةَ بنِ يَرْبُوع، مَوْلِدُهُ: سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِيْنَ وَمائَةٍ، انظر: في ترجمته، سيرأعلام النبلاء، (247/13).
(5) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة، اللالكائي، (1/ 179، 180، 181).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك ورد إطلاق ذلك في كلام شيخ الإسلام ابنُ تيميَّة، والإمام السفاريني وغيرهم من أهل العلم، وربما جعل بعضهم هذا اللفظ علمًا على مصنفاتهم في العقيدة[1].

وسُموا بذلك؛ نسبة إلى "الأثر" وهو في اصطلاح أهل الحديث مرادف للحديث، وعن بعض الفقهاء هو بمعنى الموقوف على الصحابي، يقال: "أثرت الحديث بمعنى رويته، ويسمى المحدث أثريًا؛ نسبة للأثر"[2].

ومعنى أهل الأثر كما يقول الإمام السفاريني:[3] "أي: الذين إنما يأخذون عقيدتهم من المأثور عن الله "جل شأنه" في كتابه، أو في سنة النبي ﷺ، أو ما ثبت وصحَّ عن السَّلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم الفخام، وهذا بمعنى "أهل السُّنة" في إطلاق السَّلف"[4].

5- الطائفة المنصورة:

وهذه التسمية مستفادة من قول النبي ﷺ من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ: "**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ**"[5].

وفي حديث معاوية بن قرة عن أبيه: "**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**"[6].

وقد بين السَّلف المراد بهذه الطائفة:

فقد قال يزيد بن هارون[7]: "إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم"[8].

---

(1) وذلك مثل: العين والأثر في عقائد أهل الأثر، للإمام عبد الباقي الحنبلي. وقطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، للعلامة صديق حسن خان.

(2) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، القاسمي، (ص62، 61).

(3) لوامع الأنوار البهية وسواطع، السفاريني، (64/1).

(4) وسطية أهل السُّنة بين الفرق، محمد با كريم، (1/ 120).

(5) [البخاري، صحيح البخاري، الاعتصام بالسُّنة/ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، (ح 7311)].

(6) [الترمذي: سنن الترمذي، الفتن/ ما جاء في الشام، (ح 2192)، وابن ماجه، مقدمة/ إتباع سنة الرسول ﷺ، (ح 6)، وقال الألباني: "صحيح"، انظر: صحيح الترمذي، (2/ 239)، وصحيح ابن ماجه، (1/ 6)].

(7) الإِمَامُ، القُدْوَةُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، أَبُو خَالِدٍ السُّلَمِيُّ مَوْلاَهُمْ، الوَاسِطِيُّ، الحَافِظُ، مولِدُهُ: في سنة ثمانٍ عشرة ومائة، وَكَانَ رَأْساً فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ، ثِقَةً، حُجَّةً، كبير الشّأن،انظر في ترجمته:سير أعلام النبلاء، الذهبي،(359/358/9).

(8) شرف أصحاب الحديث، البغدادي، (ص26).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال علي بن المديني: "هم أصحاب الحديث"[1].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: "إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم[2]، قال الحافظ ابن حجر: "سنده صحيح"[3]، وقال الإمام البخاري: "وهم أهل العلم"[4].

وروى الخطيب البغدادي عنه بسنده أنه قال: "يعني: أصحاب الحديث"[5]، ولا منافاة بين القولين؛ فإن أهل الحديث من أهل العلم، وقال أحمد بن سنان: "هم أهل العلم وأصحاب الآثار"[6]،

والمراد بأهل الحديث: أهله رواية ودراية، وعناية ورعاية، علمًا وعملًا واتباعًا؛ إذ هم الذين يستحقون النصر والظهور لنصرتهم سنة رسول الله ﷺ وعملهم بها وذبهم عنها؛ فهم أولى الناس بأن يكونوا الطائفة المنصورة كما قال أبو عبد الله الحاكم بعد أن ذكر قول الإمام أحمد رحمه الله في الطائفة المنصورة السابق، قال: "فلقد أحسن الإمام أحمدُ بنُ حنبل في تفسير هذا الخبر أن الطائفة المنصورة التي يرفع الخِذلان عنهم إلى قيام الساعة، هم أصحاب الحديث، ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محجة الصالحين، واتبعوا آثار السَّلف الماضيين، ودفعوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله ﷺ وعلى آله أجمعين"[7].

وأهل الحديث بهذا المعنى هم أهل السُّنة؛ ولهذا قال القاضي عياض[8] عقب قول الإمام أحمد رحمه الله السابق: "إنما أراد أحمد أهل السُّنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث"[9].

فأهل الحديث، في تفسير السّلف للطائفة المنصورة، هم أهل السُّنة والجماعة، فهم الطائفة المنصورة؛ ولهذا نرى كثيرًا من أهل العلم يطلق اسم الطائفة المنصورة على أهل السُّنة والجماعة؛ فهذا شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله يقول في مقدمة العقيدة الواسطية: "أما

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، (4/ 485)].

(2) معرفة علوم الحديث، الحاكم، (ص3).

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (293/13).

(4) المصدر السابق،(293/13).

(5) شرف أصحاب الحديث، البغدادي، (ص27).

(6) المصدر السابق، (27).

(7) معرفة علوم الحديث، الحاكم، (3).

(8) الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ الأَوْحَدُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، القَاضِي، أَبُو الفَضْلِ عِيَاضُ بنُ مُوْسَى بنِ عِيَاضِ بنِ عَمْرٍو (1) بنِ مُوْسَى بنِ عِيَاضٍ اليَحْصَبِيُّ، الأَنْدَلُسِيُّ، ثُمَّ السَّبْتِيُّ، المَالِكِيُّ،وُلِدَ: فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ،انظر: في ترجمته،سير أعلام النبلاء، الذهبي، (212/20).

(9) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، (الإمارة/ قوله ﷺ" لاتزال طائفة.."، 67/13).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعدُ: فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة[1]، إلى قيام الساعة، أهل السُّنة والجماعة"[2]، ويقول في آخر هذه العقيدة أيضًا: وهم –أي: أهل السُّنة– الطائفة المنصورة[3] الذين قال فيهم النبي ﷺ: "**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**"[4].

ثالثاً: عقيدة السَّلف:

قبل أنّ نعرف بعقيدة السّلف لابد أنّ نعرّج على علم التوحيد.

فإنَّ "علم التوحيد" أشرفُ العلوم، وأجلُّها قدرًا، وأوجبُها مطلبًا؛ لأنه العلم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وحقوقه على عباده، ولأنه مفتاح الطريق إلى الله تعالى، وأساس شرائعه.

ولذا؛ أجمعت الرسل على الدعوة إلى التوحيد، قال الله تعالى: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ**﴾ [الأنبياء:25].

وشهد لنفسه –تعالى– بالعبودية، والوَحدانية، وشهد بها له ملائكته، وأهل العلم، قال الله تعالى: ﴿**شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ**﴾ [آل عمران:18].

ولما كان هذا شأن التوحيد؛ كان لزامًا على كل مسلم أن يعتني به تعلُّمًا، وتعليمًا، وتدبُّراً، واعتقادًا؛ ليبني دينه على أساس سليم، واطمئنان، وتسليم، يسعدُ بثمراته، ونتائجه[5].

ومن هنا أي نتيجة لما سبق، فإن عقيدة السَّلف الصالح التي يعتقدونها في قرارة أنفسهم، وقد عقدوا العزم على العمل بها؛ هي جملة ما أخذوه عن كتاب الله وسنة نبيه، وهو الاعتقاد الصحيح، والواقع الحق، الذي لا يزيغ عنه إلا هالك، بخلاف عقائد غيرهم الذين خلطوا بعلم الكلام، وآراء الفلاسفة فجاءت نتاجاً مشوهاً خصوصاً في ما يتعلق بأسماء الله وصفاته وبعضهم لم يقف عند هذا الحد؛ بل تعدى هذا الخطأ إلى أخطاء أخرى تتعلق بالنبوات وبالسمعيات بسبب تأثرهم بالأفكار المنحرفة، فإذا بعقائدهم تقوم على خليط من الآراء والأفكار المنحرفة بأدلة متنوعة؛ إما من القرآن الكريم الذي حرفوا معانيه، وأولوها

---

(1) الناجية من النار في الآخرة، والمنصورة في الدنيا.

(2) العقيدة الواسطية بشرح الهراس، (ص14).

(3) المصدر السابق، (ص157).

(4) [الترمذي: سنن الترمذي، الفتن/ ما جاء في الشام، (ح 2192)، وابن ماجه، مقدمة/ إتباع سنة الرسول ﷺ، (ح 6)، وقال الألباني: "صحيح"، انظر: صحيح الترمذي، (2/ 239)، وصحيح ابن ماجه، (1/ 6)].

(5) انظر: نبذة في "العقيدة الإسلامية "مطبوع ضمن كتاب الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين"، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، (29).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لتوافق أهواءهم، أو من السُّنة النبوية التي لا يميزون في قبولها بين الصحيح والضعيف والمكذوب، وغيره، سواء أكان بسند أم بغير سند، ولا يهمهم من الراوي إلا أن يكون على وفق معتقدهم، أو من المكاشفات التي يزعمون أن الله يخاطبهم بها، أو من الأحلام المنامية أو من التقائهم برسول الله ﷺ يقظة لا مناماً، كما يدعون كذباً وزوراً أو من العلم اللدني الذي يقذفه الله في قلوبهم، كما يدّعون أو من الخرافات والأساطير التي لم ينزل الله بها من سلطان، لأن كل ذلك في ميزان السَّلف أمور مرفوضة؛ لانقطاع التشريع بموت الرسول ﷺ، ولم يبق في مفهوم السَّلف إلا الاجتهاد حول فهم النصوص واستخراج الحق منها[1].

إن منهج السَّلف في مسائل الاعتقاد والاستدلال لها يقوم على إيمانهم بكل ما ثبت دليله من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، إيماناً راسخاً ظاهراً وباطناً.

والطريق الواضح هو؛ ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ عن ربه تاماً كاملاً الذي لا يقبل الله ديناً سواه، كما قال الله: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾ [المائدة:3].

وقوله: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾ [النساء:65].

ومن هنا جعل السَّلف هذه الآية هي أساس منهجهم، وأبرز صفاتهم؛ فكانوا المثل الأول في التسليم لنصوص الشرع، لاعتقادهم أن التسليم هو الطريق الذي فيه النجاة، والفوز.

ولذا فإنَّ منهج السَّلف في تقرير العقيدة يشتمل على الأمور التالية:

1- التمسك بالكتاب والسُّنة وعدم التفريق بينهما، وتحكيمهما، والعمل بهما، في كل ما يعرض لهم من قضايا العبادة وغيرها، دون ردّ أو تأويل، سواء كانت الأخبار الواردة عن الرسول متواترة أو آحاداً، لا فرق فيها بعد صحتها وثبوتها، إذ التفريق بينهما إنما هو من سمات أهل الزيغ والبدع.

2- العمل بما ورد عن الصحابة الكرام في قضايا العقيدة والدين وغيرهما والسير على نهجهم وسننهم؛ لأنهم أعرف بالحق من غيرهم.

3- الوقوف عند مفاهيم النصوص الشرعية وفهم دلالاتها، وعدم الخوض فيما لا مجال للعقل فيه، مع الاستفادة من دلالة العقل في حدوده، وعدم الخوض فيها بالتأويلات الباطلة.

---

(1) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، عواجي (131/1، 130).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4- الإعراض عن البدع والضلالات وعن أهلها، فلا يجالسونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا شبههم؛ بل يحذرون منهم أشد تحذير، خصوصاً، من عرف منهم بعناده واتباعه الهوى.

5- لزوم جماعة المسلمين ونبذ التفرق والتحذير منه[1].

مزايا منهج السلف:

أ- أنّ هذا المنهج هو ما دلَّ عليه كتاب الله تعالى، ودلت عليه سنة نبيه ﷺ، ودلَّ عليه عمل الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ب-أن هذا المنهج الذي ساروا عليه كان من أقوى أسباب بقاء عقيدتهم صافية نقية لا تشوبها شوائب الضلال، وهي نعمة من الله عليهم لما علمه من حسن نياتهم وصدق عزائمهم.

أما أدلتهم على وجوب لزوم ذلك المنهج فهو ما نوضح بعضه فيما يلي:[2]

استدلال أهل السُّنة على وجوب التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ويشتمل أمرين:

1- استدلالهم من القرآن الكريم:

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على وجوب التمسك بالقرآن الكريم، وأنه لا يخرج عنه مؤمن وأن الدين لا يؤخذ إلا منه ومن سنة نبيه المصطفى ﷺ، فمن زاغ عنهما خرج إلى الضلالة وفارق هدى الإسلام ومن تلك الآيات البينات:

قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:65].

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:103].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:153].

هذه الآيات تدل دلالة واضحة على أن الهدّىَ كله في كتاب الله تعالى، وفي هديِ ﷺ، وأن الواجب على كل مسلم الانقياد والإذعان والتسليم التام لله ولرسوله، بالسّمع والطاعة لهما، فالسعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة تتمثل في طاعة الله وطاعة رسوله والامتثال لأوامرهما.

---

(1) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، عواجي،(134/1، 133).

(2) انظر: المصدر السابق،(134/1، 133).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- استدلالهم من السُّنة النبوية:

لقد أكمل الله تعالى للمسلمين الدين، وأتمّ عليهم النعمة، ورضيَ لهم الإسلام ديناً، وأمرهم باتباعه، ووعد من التزم به، النصر والتمكين في الدنيا، وجزيل الثواب في الآخرة، وتوعّد من خالفه الخِذلان في الدنيا، وبالعذاب الشديد في الآخرة، ولأجل هذا وردت نصوص كثيرة، تحذر من الابتداع في الدين؛ لأن المبتدع مدّعٍ على الله ورسوله بنقصان الدين، وأنه من سيكمله، وأنه قد حصل له من الهدى ما لم يحصل للرسول ﷺ وأصحابه الكرام.

وقد وردت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة؛ يأمر فيها على وجوب التمسك بكتاب الله تعالى، وبسنة رسول الله ﷺ، وأن من خالف ذلك فقد خسر خسراً مبيناً، ومن هذ الاحاديث:

أ- ما جاء في حديث العرباض بن ساريه قال: قال رسول الله ﷺ: "**وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِينَ؛ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ**"[1].

ب-وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال خرج علينا رسول الله ﷺ وهو مرعوبٌ؛ فقال: "**أَطِيعُونِي مَا كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ أَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ**"[2].

ج-وجاء في موعظة الرسول ﷺ بغدير خم قوله: "**أَمَّا بَعْدُ: أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي؛ فَأُجِيبُ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ؛ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**" **ثم قال: "وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي"**[3]**، وفي رواية أخرى "كِتَابِ اللهِ وَسُنَّتِي"**[4].

---

(1) [ابن ماجة، سنن ابن ماجة: أبواب السنة/اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهتدين، (192/1، ح42)، صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

(2) الطبراني، رواه الطبراني في معجمه الكبير، (18/ 38، ح65)، من حديث أبي أيوب الأنصاري عن عوف بن مالك رضي الله عنهما، وقال الألباني في صحيح الجامع، (236/1ح 1034) صحيح.

(3) [مسلم:صحيح مسلم، فضائل الصحابة رضوان الله عليهم/ من فضائل عثمان ابن عفان ﷺ، (1873/4، رقم الحديث 2408).

(4) موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس،(2/ 899)، والبيهقي، السنن الكبرى، (10/ 114)، من حديث بن عباس رضي الله عنهما. بلفظ: "تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا كتاب الله وسنة نبيه". قال الحاكم: احتج البخاري بأحاديث عكرمة، واحتج مسلم بأبي أويس، وسائر رواته متفق عليهم. وهذا الحديث لخطبة النبي ﷺ متفق على إخراجه في الصحيح. ووافقه الذهبي وقال: وله أصل في الصحيح. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (ح40)، صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

د- وعن أبي موسى ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلِ مَا بَعَثَنِي بِهِ، مَثَلُ رَجُلٌ أَتى قَوْمَهُ؛ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ جَيْشاً بِعَيْنِي، وَإِنِّي النَّذِيْرُ الْعِريَان؛ فَالنَّجَاة، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَومِهِ، فَأَدْلَجُوا وَانْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ؛ فَنَجُوا، وَكَذَبتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ؛ فَأَصْبَحُوا عَلَى مَكَانَتِهِمْ، فَصَبَّحَهُمْ الْجَيْش وَاسْتَبَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلِي وَمَثَلِ مَنْ أَطَاعَنِي، وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ**"[1].

ه- وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: "**مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**"[2].

والأحاديث في هذا كثيرة، كلها تؤكد وجوب التمسّك والعمل بكتاب الله تعالى، وأنه هو الصراط المستقيم؛ الذي أوله في الدنيا وآخره في الجنة.

رابعاً: الثناء على السَّلف:

السَّلف الصالح هم الصحابة الكرام الذين أثنى الله عليهم في كتابه، وشهد لهم بالخيرية والأفضلية، وزكّاهم من فوق سبع سموات، وبين محاسنهم وفضائلهم، وهم ينقسمون إلى مهاجرين وأنصار، ولو نظرنا إلى السُّنة المطهرة؛ لوجدناها ذاخرة بالثناء على السَّلف الصالح، ومبيناً حبه ﷺ لهم، وجعل علامة الإيمان حبُ الصحابة الكرام، وبغضهم علامة النفاق، والسَّلف الذين جاءوا من بعدهم كان لهم حظٌ وافرٌ في بيان فضلهم والثناء عليهم والدفاع عنهم، وإليك بيان فضلهم في القرآن الكريم، وفي السُّنة المطهرة وثناء السلف:

1- ثناء الله تعالى على السَّلف:

ومن ثناء الله سبحانه وتعالى على السَّلف في كتابه العزيز:

أ- قال تعالى: ﴿**وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ**﴾ [التوبة:100]. السابقون هم الذين سبقوا هذه الأمة وبدروها إلى الإيمان والهجرة، والجهاد، وإقامة دين الله، بالاعتقادات والأقوال والأعمال، فهؤلاء، هم الذين سلموا من الذم، وحصل لهم نهاية المدح، وأفضل الكرامات من الله تعالى[3].

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الاعتصام بالكتاب والسُّنة/ الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، (ح 6482 و7283)، ومسلم، الفضائل/ شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، (حديث رقم2283)].

(2) [البخاري: صحيح البخاري، النكاح/ الترغيب في النكاح، (ح 5063)، ومسلم: النكاح/ استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤمنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، (ح1401)].

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (ص349).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب-وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح:29]، يخبر الله عن محمد ﷺ أنه رسول الله؛ بلا شكٍ ولاريب، ثم ثنّى بالثناء على أصحابه الذين هم معه على دينه، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾، كما قال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:54]، وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً عنيفاً على الكفار، رحيمًا بَرًّا بِالْأَخْيَارِ[1].

وهذه الآيات الكريمات كلها تدل دلالة واضحة على فضل الصحابة الكرام ﷺ من المهاجرين والأنصار، ومن السابقين إلى الإسلام، ومَن جاء بعدهم.

ثناء النبي ﷺ على السّلف:

أثنى الرسول ﷺ ثناءً عاطراً على الصحابة الكرام، والصّحابيّ هو من لقي النبيّ ﷺ في حياته مسلما ومات على إسلامه[2]، ويكفيهم فخراً أنه كان راضياً عنهم، محباً لأخلاقهم، خصوصاً أولئك الذين نصروه في ساعة العسرة؛ باذلين أموالهم وأنفسهم وأولادهم حباً، فيه وفي رفع هذا الدين العظيم حتى أتم الله لهم، ودخل الناس في دين الله أفواجاً؛ فلهم الفضل بعد الله على سائر البشر، وسائر الناس مدينون لهم بالشكر والتقدير؛ إذ لولا فضل الله ثم قيام أولئك بنصرة الإسلام؛ لما وصل إلى ما وصل إليه، ولهذا فكل منتسب إلى الإسلام مدين لهم بالشكر والتقدير، ومن ثناء الرسول ﷺ على الصحابة الكرام:

أ- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد؛ فقال رسول الله ﷺ: "**لا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذُهُبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**"[3].

هنا النبي ﷺ نهى من له صحبة آخراً أن يسب من له صحبة أولاً، وذلك لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه، حتى لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه[4].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، **ابن كثير**، (360/7).

(2) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، (8/1).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، أصحاب النبي، باب أصحاب النبي، باب "لو كنت متخذا خليلا"، (8/5، ح3673)، ومسلم: صحيح مسلم، فضائل الصحابة ﷺ، تحريم سب الصحابة ﷺ، (4/ 1967، ح2540)].

(4) انظر: شرح الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، (ص402).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب–وجاء في الصحيحين؛ عن عمران بن حصين، وغيره؛ أن رسول الله ﷺ قال: "**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ، قَالَ عِمْرَانَ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنَهُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً**"[1].

ت–وفي صحيح مسلم عن جابر؛ أن النبي ﷺ قال: "**لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**"[2].

2– ثناء السَّلف عليهم:

إذا كان الله سبحانه أثني على الصحابة الكرام، وبين فضلهم وقدرهم، واختارهم لنصرة دينه ونصرة نبيه، وهكذا النبي ﷺ حضنا على حبهم، وعدم النيل منهم، فمن باب أولى كان على من جاء بعدهم أن يثني عليهم خيراً، وأن يدافع عنهم، ألا وهم السَّلف الصالح؛ الذين تمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن ذلك:

أ– ورد أنه قيل لعائشة رضي الله عنها أن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر، فقالت: وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل؛ فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر[3].

ب–حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ نُسَيْرِ بْنِ ذُعْلُوقٍ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: "لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً، خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ"[4].

وقد وصفهم عبد الله بن مسعود ﷺ بقوله: "إنّ الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد؛ فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ؛ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد؛ فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيئ"[5].

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الشهادات/ لا يشهد على جور إذا أشهد، (171/3)، (ح2652)، ومسلم: صحيح مسلم، فضائل الصحابة/ فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم(1963/4، ح2533)].

(2) [مسلم: صحيح مسلم، فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم/ باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان ﷺ، (4/ 1942، ح 2469)].

(3) تاريخ دمشق،ابن عساكر،(387/44)،وانظر: شرح الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، (ص402، 403)، ط1، 1426هـ.

(4) [ابن ماجة: سنن ابن ماجة، في فضائل أصحاب رسول الله/ أهل بدر، (57/1، ح162)].

(5) قال الشيخ الألباني في التعليق على شرح العقيدة الطحاوية، (ص470) "حسن موقوفاً".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي رواية عنه أنه قال: "من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة؛ أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[1].

هذا ثناء السَّلف على الصحابة الكرام، بالاعتراف بحقهم وبالترضي عنهم وبالدفاع والذّبِّ عنهم، ومحاربة من يريد أن ينال وينتقص منهم، وذلك بكشف زيغهم وأباطيلهم، ومن هنا، كان لزاماً علينا نحن في هذا الزمان؛ أن نسير على ما سار عليه السَّلف، اتجاه السَّلف الصالح، وذلك بحفظ حقوق الصحابة، وبالترضي عليهم، وبالدفاع عنهم، فمن أضل ممن يكون في قلبه غلٍ على خيار المؤمنين، وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيّين؛ بل قد فضلتهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد!! لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبّوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة[2].

(1) انظر: شرح الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، (ص 403)، ط1، 1426هـ.
(2) انظر: المصدر السابق، (ص404).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

التعريف بالأشاعرة، وأشهر علمائهم، ومعتقداتهم

أولاً: التعريف بالأشاعرة:

الأشاعرة تنتسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعريّ البصريّ، وهو أحد علماء القرن الثالث؛ "ولد سنة 260هـ، وتوفي سنة 330هـ"، تعلّم على يد أبي خليفة الجمحي، وأبي عليّ الجُّبائيّ، وزكريا الساجي، أفنى شوطاً كبيراً من عمره في الاعتزال، ولما تعمق في معرفته؛ نفَرَ منه وتبرأ منه، وذات يوم صعد المنبر، وأمام الملأ أعلن توبته منه، وقال قولته الشهيرة": أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن وأن الله تعالى لا يرى بالأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب مقلع متصد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم، وأخذ يرد على المعتزلة ويبطل كلامهم، ويكشف زيفهم[1].

ومن المعلوم أن أبا الحسن الاشعري رحمه الله مرّ بأطوارٍ ثلاثة في حياته، منها ما هو متفق عليها، ومنها ما هو مختلف فيه، وهي كالتالي:

1- الطور الأول "الطور الإعتزالي"، وهذا الذي أجمعت عليه المصادر[2]، وذلك أنه كان معتزلياً ملازماً زوج أمه الجُّبائي حتى قارب الأربعين من عمره، ثم فارق الاعتزال وذلك أنه كان يمر بإشكاليات ولم يجد لها إجابات شافية مقنعة، وقيل أنه رأي النبي ﷺ في المنام فأمره أن يلتزم العقيدة الصحيحة التي جاء بها النبي ﷺ، فمنّ الله عليه بالتوبة، وتاب من الاعتزال، وأعلن توبته أمام الناس على الملأ في المسجد.

2- الطور الثاني" الطور الكُلابي" بعد ما منَّ عليه بالتوبة من الاعتزال؛ ذهب الى طريقة أبي محمد بن سعيد بن كُلاّب، الذي كان ينفي الصفات التي تتعلق بالمشيئة، ومن أشهر الكتب التي ألَّفها،"اللُمع في الردّ على أهل الزيغ والبدع".

وهذان الطوران متفق عليهما.

---

(1) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (15/85-86)، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواريديها (المعروف بتاريخ بغداد)،الخطيب البغدادي، بشار عواد معروف، (13/260)، الملل والنحل، الشهرستاني، (1/94-103)، تبيين كذب المفتري، ابن عساكر، (6/332-333)، وفيات الأعيان، خلكان، (3/284-286)، البداية والنهاية، ابن كثير، (11/187).

(2) منها: تبين كذب المفتري، لابن عساكر، (ص39)،الفهرست، ابن النديم،(ص231)، درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، (1/160، 159).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- وأما الطور الثالث" أهل السنة"، والذي أعلن فيه أبو الحسن أنه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل "رحمه الله"، كما هو موجود في مقدمة كتابه الإبانة[1]، وهذا الطور مختلف فيه بين العلماء، فمنهم من أثبت هذا الطور[2]كالذهبيّ، وابن كثير، وحافظ الحكمي، ومنهم من نفي عنه هذا الطور، وقال بأن أبا الحسن لم يزل على كُلّابيته، ومنهم ابن حزم، وابن تيمية، وابن القيم، وابن أبي العز[3].

ثانياً: أشهر علماء الأشاعرة:

المذهب الأشعري له أتباع وعلماء حملوا مذهب الأشعري، وسأقتصر على ذكر عشرة أعلام:

1- أبو المعالي الجويني:

هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية، الجويني، النيسابوري، أبو المعالي، ولد سنة"419هـ"، وتتلمذ على والده أبي محمد الجويني، اشتهر الجويني بإمام الحرمين بسبب مجاورته لهما بعد فتنة الأشاعرة، درَّس في نظامية نيسابور قرابة ثلاثين سنة، وهو من الأعلام المشهورين، من مؤلفاته الكلامية: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، وكتاب لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة، وكلا الكتابين على عقيدة الأشاعرة، وهو يعد من متأخري الأشاعرة، توفي رحمه الله سنة "478هـ"[4]، وقد ساهم في تقريب مذهب الاشاعرة إلى الاعتزال[5].

---

(1) الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، (ص2-21).

(2) تذكرة الحفاظ، الذهبي، (2/ 709)، واتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، الزبيدي، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، (197/1).

(3) درء التعارض، ابن تيمية، (16/2)، اجتماع الجيوش الإسلامية، ابن القيم، (ص181) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، (25/3)، شرح الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، (ص180)، وانظر: أثر علم الكلام، وليد باصمد، (ص64، 63) رسالة ماجستير، 1429-1430هـ.

(4) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (468/18-470)، تبين كذب المفتري، ابن عساكر، (ص 278- 286)، طبقات الشافعية، الكبرى السبكي (165/5- 222)، شذرات الذهب، ابن العماد، (338/5).

(5) انظر: أثر علم الكلام والمنتسبين إليه، (ص73)، وليد صالح باصمد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلا أنه رجع في آخر حياته لمعتقد السلف، كما جاء في كتابه النظّامية الذي أشاد فيه بمعتقد السلف، نقل رجوعه بعض الأئمة، ونقل الذهبي بعض ما نقل عن إمام الحرمين مما يؤكد ندمه وتوبته.

ومن ذلك ما قاله الجويني: "قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألفاً ثُمّ خلّيت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم، وغصت في الذي نُهيَ أهل الإسلام، كل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد، والآن فقد رجعت إلى كلمة الحق عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف برّه؛ فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على كلمة الإخلاص، لا إله إلا الله، فالويل لابن الجويني"[1].

2- فخر الدين الرازي:

أبو عبد الله هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري، الطبرستاني الأصل الرازي المولد، الملقب بفخر الدين، المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي، فريد عصره، ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات، وعلم الأوائل، وله تصانيف عديدة في التفسير، وفي علم الكلام كالمطالب العالية، ونهاية العقول، وكتاب الأربعين، والمحصل، والبيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان، وشرح الإشارات لابن سينا، والمباحث المشرقية، ولد "544هـ"، وتوفي رحمه الله "606هـ"[2].

وكان له دورٌ بارزٌ في تقريب مذهب الأشاعرة إلى الاعتزال، وقد نقلت عنه عبارات أظهر فيها ندمه على خوضه في علم الكلام في حياته كلها، قال ابن العماد الحنبلي:" وقال ابن الصلاح أخبرت القطب الطوغاني مرتين أنه سمع فخر الدين الرازي يقول: ياليتني لم أشتغل بعلم الكلام وبكى، وجاء عنه أنه قال: لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروي غليلاً، ولا تشفي عليلاً، ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن، أقرأ في التنزيه، ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد:38]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:5]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:50]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:10]، ثم قال: وأقول من صميم القلب، من داخل الروح أني مقر بأن

(1) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (471/18).

(2) المصدر السابق، (500/21-501)، طبقات الشافعية الكبرى، السبكي (81/8-96)، شذرات الذهب، ابن العماد (21/5)، الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (288/12)، وفيات الأعيان، ابن خلكان، (249/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كل ما هو الأكمل الأفضل الأعظم الأجل فهو لك، وكل ما هو عيب ونقص فأنت منزه عنه[1]، ونظم أبياتاً أظهر فيها توبته ورجوعه وندمه، وذمه لعلم الكلام فقال:[2]

نهايـــة إقـــدام العقـــول عقـــال وأكثـــر ســـعي العـــالمين ضـــلال
وأرواحنا في وحشة مـــن جســـومنا وغايـــــة دنيانـــــا أذى ووبـــــال
ولم نستفد من بحثنا طـــول عمرنـــا سوى أن جمعنـــا فيـــه قيـــل وقـــالوا

3- الباقلاني:

هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري، ثم البغدادي، ابن الباقلاني، من أهل البصرة، وسكن بغداد، له تصانيف في الرد على الخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة، وهذا سبب تأثر بعض الحنابلة به، انتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، ونُقلت عنه مناظرات للنصارى، مما كان السبب الأعظم في انتشار المذهب الأشعري، لا سيما بلاد المغرب، وهو يُعد إمامًا ثقةً بارعاً، له مؤلفات عديدة منها تمهيد الأوائل وتخليص الدلائل، واشتهر بالتمهيد، وهو يعد من أهم كتب الأشاعرة، وفيه تفصيل مسائل الصفات والقدر وغيرها وفق مذهب الأشاعرة، وصنّف في إعجاز القرآن، وله كتاب الإبانة عن إبطال مذهب أهل الكفر والضلالة، وله كتاب دقائق الكلام والرد على من خالف الحق من الأوائل ومنتحلي الاسلام، والباقلاني يعد من أبرز الأشاعرة الذين ساهموا في تطوير مذهب الأشاعرة، توفي "403هـ"[3].

4- البغدادي:

هو عبد القاهر بن طاهر بن عبد الله أبو منصور البغدادي التميمي، ولد ببغداد، ثم رحل إلى نيسابور مع أبيه، وتتلمذ على يد أبي إسحاق الإسفراييني، برز في الفقه والأصول وعلم الكلام، له كتاب الفرق بين الفرق، وأصول الدين، والبغدادي أحد أعلام الأشاعرة في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس، وكان لا يخالف من سبقه من الأشاعرة في مسائل

---

(1) شذرات الذهب، ابن العماد، (ج5/21-22).

(2) انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، (129/1).

(3) انظر:طبقات الشافعية، السبكي، (136/5-139)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، (17- 190)، البداية والنهاية، ابن كثير، (402/11-403)، تاريخ بغداد، البغدادي، (379/5- 382)، تبين كذب المفتري، ابن عساكر، (ص217- 266)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، الحيصبي، (ج203/2)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، المحمود، (ص569-570).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العقيدة والكلام، وكان ينقل في كتابه أصول الدين أقوال الكلابية والأشعرية، ويرى أن أول الواجبات النظر، وينفي فيه الصفات الاختيارية، كانت وفاته سنة 429هـ[1].

5- ابن فورك رحمه الله:

هو أبوبكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري، درس مذهب الأشعري بالعراق الذي كان مقيما فيه، ثم ذهب إلى الريّ، ثم انتقل إلى نيسابور، حيث أقام فيها يدرس فيها المذهب الأشعري، له مؤلفات عديدة، منها مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري، توفي "406"[2].

6- عضد الدين الإيجي:

هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبدالغفار الشيرازي، ولد عام" 700هـ"، من مؤلفاته: العقائد العضدية في علم الكلام، المواقف في علم الكلام، شرح مختصر ابن الحاجب توفي في السجن قرب إيج سنة" 756هـ"[3].

7- الغزالي:

هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، لزم إمام الحرمين، فبرع في الفقه والكلام والجدل، وقد كان مولعاً بالتصوف والفلسفة، وكتابه إحياء علوم الدين[4] والمنقذ من الضلال شاهد على ذلك، نقل الإمام الذهبي عن القاضي عياض قوله عن الغزالي:" واالشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة، والتصانيف الفظيعة غلى في طريقة التصوف، وتجرّد لنصر مذاهبهم، وسار داعية في ذلك، وألّف فيه تواليفه المشهورة، أخذ

---

(1) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (18/468- 470)، طبقات الشافعي، السبكي (5/136-148)، تبين كذب المفتري، ابن عساكر، (ص 253- 2569)، وفيات الأعيان، ابن خلكان (3/203).

(2) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (17/214-216)، طبقات الشافعية، السبكي (4/127- 135)، شذرات الذهب، ابن العماد، (3/181)، تبين كذب المفتري، ابن عساكر، (ص 232-233).

(3) طبقات الشافعية، السبكي، (10/46-78)، الدرر الكامنة، ابن حجر، (3/110)، شذرات الذهب، ابن العماد، (6/174-175).

(4) قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ رحمهم الله:" وقد سلك -أي الغزالي- في الإحياء طريق الفلاسفة والمتكلمين في كثير من مباحث الإلهيات وأصول الدين، وكسا الفلسفة لحاء الشريعة، حتى ظنها الأغمار والجهال بالحقائق من دين الله الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، ودخل به الناس في الإسلام، وهي في الحقيقة محض فلسفة... وقد حذر أهل العلم والبصيرة من النظر ومطالعة خافية وبادية، بل أفتى بتحريقه علماء المغرب مما عرف بالسنة، وسماه كثير منهم "إماتة علوم الدين" المبين في التحذير من كتاب إحياء علوم الدين، آل الشيخ، (ص43-44).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليه فيها مواضع، وساءت به ظنون أمه، والله أعلم بسرّه، ونفذَ أمرُ السُّلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها، فامتُثل ذلك".[1]

له كتاب معارج القدس، أظهر فيه طريقة التأويل على مذهب الأشاعرة، وهو يعد من أحد أعلام الأشاعرة، وافق الأشاعرة في كثير من معتقداتهم، مثل إنكاره الأسباب، وقوله بقانون التأويل الكلامي[2].

وذكر الإمام الذهبي بعض تأويلاته كتأويله لصفة الكلام، وتأويله لميزان الأعمال يوم القيامة: "وأن موسى سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف... ميزان الأعمال معيار يعبر عنه بالميزان، وإن كان لا يساوي ميزان الأعمال ميزان الجسم الثقيل، كميزان الشمس، كالمسطرة التي هي ميزان السطور، وكالعروض ميزان الشعر"[3].

وبعد خوضه في المباحث الكلامية طوال حياته منّ الله عليه وصنّف في آخر حياته كتاب إلجام العوام عن علم الكلام، الذي أشاد فيه بمذهب السلف، لأنه مذهب الصحابة والتابعين، تكلم فيه عن حقيقته موضحاً أنه الحق، ومن خالف السلف فهو مبتدع، فانشغل بالنظر في صحيحي البخاري ومسلم حتى توفي سنة 505هـ[4].

وبسبب كثرة نظره في كلام الفلاسفة ونقله عنهم، مع أنه حكم عليهم بالكفر، إلا أن آثار الفلاسفة ظاهرة على بعض عباراته رحمه الله تعالى[5].

يقول عنه تلميذه القاضي ابن العربي: "شيخُنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة؛ ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر"[6].

8- البيهقي:

هو أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي الحافظ، ولد سنة "384هـ"، كان كثير الرحلة والرواية، حافظ محدث علامة مشهور، شهرة واسعة ومؤلفاته كثيرة منها: الأسماء والصفات، الاعتقاد، السنن الكبرى، توفي سنة "458هـ"[7].

---

(1) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (327/19).

(2) موقف ابن تيمية من الاشاعرة، المحمود، (ص627-629).

(3) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (345/19).

(4) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الأثبات والتنزيه، الجامي، (ص159).

(5) بغية المرتاد في الرد على الفلاسفة والقرامطة والباطنية، ابن تيمية، (ص279).

(6) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، (5/1).

(7) تبين كذب المفتري، ابن عساكر، (ص 265- 268)، وفيات الأعيان، ابن خلكان، (75/1—76)، سير أعلام النبلاء الذهبي، (163/18- 170)، طبقات الشافعية، السبكي، (8/4-16).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

9- أبو بكر ابن العربي:

القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المالكي الحافظ أحد الأعلام، وعالم أهل الأندلس، صاحب التصانيف، له كتاب عارضة الأحوذي في شرح جامع أبي عيسى الترمذي، وكتاب المحصول في الأصول، ومن كتبه الكلامية كتاب المتوسط في الاعتقاد، انتصر فيه لمذهب الأشاعرة في الصفات، توفي رحمه الله سنة 543هـ[1].

10- الشهرستاني:

أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني المتكلم على مذهب الأشعري، أخذ علم النظر والأصول عن أبي القسم الأنصاري، وأبي نصر ابن القشيري، ووعظ ببغداد، واتُّهم بمذهب الباطنية، وله في علم الكلام كتاب نهاية الإقدام في علم الكلام، وكتاب الملل والنحل، توفي رحمه الله سنة 548هـ[2]، وقبل وفاته عاد لمذهب السلف، وأظهر ندمه وحيرته وذمه لعلم الكلام، وقد وصف حال أهل الكلام قائلاً:[3]

لعمري[4] لقد طفت المعاهد كلهـا ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أرَ إلا واضـعاً كـف حـائر ... على ذقن أو قارعاً سن نـادم

---

(1) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (20/198-204)، شذرات الذهب، ابن العماد، (4/141).

(2) انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، (4/273)، شذرات الذهب، ابن العماد، (4/149).

(3) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، (1/159).

(4) ذهب بعض العلماء إلى اعتبار لفظ لعمري، حلفاً بغير الله ﷻ، ولا يجوز التلفظ به، روى ابن أبي شيبة رحمه الله في المصنف عن كعب أنه قال:" انكم تشركون"، قالوا: كيف يا أبا إسحاق؟ قال:" يحلف الرجل لا وأبي، لا وأبيك، لا لعمري، لا وحياتك، لا وحرمة المسجد، لا والإسلام، واشباهه من القول." مصنف ابن أبي شيبة، (3/79)، وقد سُئل الأمام أحمد عن هذا اللفظ قال: "ما أعلم به بأساً" مسائل الأمام أحمد، سحاق بن منصور، (9/4893)، ولكن ذهب بعض أهل إلى توجيه هذا اللفظ، فقال:" والتوجيه أن يقال: إن أراد القسم منع، وإلا فلا، كما يجري على اللسان من الكلام مما لا يراد به حقيقة معناه".معجم المناهي اللفظية، أبو زيد، (ص456).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: معتقدات الأشاعرة:

ما استقر عليه أبو الحسن الأشعري في الاعتقاد:

وخلاصة القول هنا هو ما استقر عليه أبو الحسن من الاعتقاد، وهو كالتالي:

أ- يستدل الأشعري على وجود الله بخلق الإنسان[1]، أما الاستدلال بدليل الأعراض وحدوث الأجسام[2]؛ فقد بين الأشعري أن الرسِل لم يدعوا إليه[3].

ب-يستدل الأشعري على وحدانية الله بدليل التمانع، وهو دليل صحيح[4].

ت-مذهبه في الأسماء يثبت جميع أسماء الله ويعتمد على السماع فقط، فما ورد أثبته، وما لم يرد سكت عن إثباته[5].

---

(1) انظر: الرسالة إلى أهل الثغر، الأشعري، (ص144-145). عبد الله شاكر المصري مكتبة العلوم والحكم، 1409هـ، 1988م، مكان النشر، السعودية، لبنان." ولكنه في الرسالة إلى أهل الثغر ذكر أمرين: إثبات حدث الإنسان، وإثبات وجود المحدث له، فاستدل للأول بالتغير الذي يحدث للإنسان، وتقلبه من حال إلي حال، وأن هذا يقتضي حدوثه. ثم استدل بذلك على وجود المحدث له؛ لأن كل متغير لا يكون قديماً، وهذه الفقرة الأخيرة غير مسلّمة له؛ لأن مبناها على نفي حلول الحوادث الذي يقول به الأشعري نفسه، وهذه المسألة مما خالف فيها المتكلمون أهل السنة"، انظر: أثر علم الكلام والمنتسبين إليه، باصمد، (ص64-65)، على "الهامش".

(2) وهو باختصار: إن إثبات الصانع لا يتم إلا بإثبات حدوث الأجسام، ولا يتم إثبات حدوث الأجسام إلا بإثبات حدوث صفاتها "الأعراض"، وأثبتوا حدوث الأعراض: إمّا بأنها لا تقوم بنفسها، أو لأن العرض لا يبقى زمانين، أو لأنها تعرض ثم لا تزول، إلى آخر تعليلاتهم التي هم فيها مختلفون اختلافاً كثيراً كبيراً؛ وقد ترتب على هذا الدليل نفي الصفات أو بعضها عن الله. ينظر: تفصيل الدليل واختلافهم فيه: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (317/1 وما بعدها)، وانظر: أثر علم الكلام والمنتسبين إليه، باصمد، (ص65)، على "الهامش".

(3) انظر:الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات، (ص165-169)، وترك الأشعري الاستدلال به؛ لا لبطلانه، ولكن لخفائه وطوله. وينظر: لهذا التعليل، نفس المصدر (ص169).

(4) ودليل التمانع هو: أنّ الأثنين لا يجري تدبيرهما على نظام، ولا يتسق على إحكام، ولا بد أنّ يلحقهما العجز أو واحد منهما؛ لأنّ أحدهما إذا أراد أن يُحيي إنساناً، واراد الآخر أن يميته؛ لم يخلُوا أن يتم مرادهما جميعاً، أولا يتم مرادهما، أو يتم مراد أحدهما دون الآخر، ويستحيل أن يتم مرادهما جميعاً؛ لأن يستحيل أن يكون الجسم حياً ميتاً في حال واحدة، وإن لم يتمَّ مرادهما جميعاً، وجب عجزهما، والعاجز لا يكون إلهاً ولا قديماً، وإنّ تم مراد أحدهما دون الآخر، وجب العجز لمن لم يتم مراده منها والعاجز لا يكون إلهاً قديماً. ينظر: الرسالة إلى أهل الثغر للأشعري، (ص156-157).

(5) انظر:الملل والنحل، الشهرستاني، (93/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ث–مذهبه في صفات الله يثب جميع الصفات العقلية، أو المعاني، وهي سبعة: العلم، الحياة، القدرة، السمع، البصر، الكلام، الإرادة[1].

ج– ويثبت الصفات الخبرية، ويستدل عليها بالنصوص، كالوجه، والعين، والبصر[2].

ح– وأما صفات الله فهو يثبت الصفات العقلية، أو ما يسمى بصفات المعاني وهي السبعُ: العلم، والحياة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والإرادة[3].

ويثبت الصفات الخبرية: كالوجه، واليدين، والعين ويستدل لها بالنصوص[4].

وأما الصفات الفعلية: وهي الصفات المتعلقة بإرادة الله ومشيئته والاستواء، والنزول، والمجيئ، والضحك، والغضب، والرضا، والمحبة، وغيرها؛ فتعامل معها بناءً على أصل: نفي حلول الحوداث بذات الرب ﷻ[5]؛ فيثبت ما ورد به النص؛ ولكن يتأوّله بأحد أمرين:

أ– فهو أن يجعل ما ورد صفة ذات أزلية كالكلام، أو يجعلها بمعنى الإرادة –وهي صفة ذات– كالمحبة، والرضا، والغضب[6] فلا تعلق لها بالمشيئة.

ب– أن يجعل مقتضى الصفة مفعولاً منفصلاً عن الله لا يقوم بذاته؛ كالخلق فيجعل الاستواء، والنزول، والمجيء كالخلق، فهو الله فعل العرش فعلاً سماه الاستواء، كما فعل في سماء الدنيا فعلاً سماه نزولاً وهكذا[7].

ت– أما مسألة الرؤية، فيقول الاشعري: إن المؤمنين يرون الله يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر الله به[8].

---

(1) انظر: الرسالة إلى أهل الثغر، الأشعري، (ص177).

(2) انظر: الإبانة، الأشعري، (ص120–140).

(3) انظر: الرسالة إلى أهل الثغر، الأشعري، (ص177).

(4) انظر:الإبانة، الأشعري، (ص120–140).

(5) انظر: الرسالة الى أهل الثغر، الأشعري، (ص184–185).

(6) انظر: الرسالة إلى أهل الثغر الأشعري، (ص216–220) وأما ما روى عنه: أنّ كلام الله واحد، وأنّه معنى قائم بذات الله، وأنه لم يزل متصفاً بكونه أمراً ونهياً وخبراً، وأنّه ليس بحروف ولا أصوات. فهذا مما ينسبه إليه الأشاعرة كالجويني في الإرشاد، (ص120)، الملل والنحل، والشهرستاني، (96/1)، والمجرد، ابن فورك، (ص67)، وليس منصوصاً عليه في كتبه.

(7) انظر: الأسماء والصفات البيهقي،(276/1)، تبين كذب المفتري، الأشعري، (ص150).

(8) انظر: الرسالة إلى أهل الثغر، الأشعري، (ص 237).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ث- أمّا قوله في القدر فهو طويل ومتعلق بمسائل أخرى، نذكرها باختصار:

فالأشعري يثبت علم الله الشامل المحيط بكل شيء، كما يثبت الكتابة في اللوح المحفوظ، وأن الله أثبت ما فيه كائن إلى يوم القيامة، كما يثبت إرادة الله الشاملة لكل شيء- وهو بمعنى المشيئة-، ويثبت أن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها[1].

وإذا كان الأشعري يوافق أهل السنة فإننا نجده مال إلى الجبر بقوله بالكسب وهو عنده: أن معنى الكسب: هو ان يقع الشيء بقدرة محدثة، فيكون كسباً لمن وقع بقدرته[2].

وهذه القدرة المحدثة التي أثبتها للعبد وبها يكسب أعماله، يرى أنها غير مؤثرة كما حكى عنه الشهرستاني[3].

كما أن الأشعري خالف أهل السُّنة في الاستطاعة، فقال: هي لا تكون إلا مع الفعل[4]، ولذى فقد صرح الأشعري بتكليف مالا يطاق[5]، ولكنه فرق: بين عدم الاستطاعة للعجز عن الشيء، وعدم الاستطاعة للاشتغال بضدّه؛ والثاني هو مراده[6].

ويصرح الأشعري بنفي التعليل في أفعال الله خلافاً لأهل السُّنة[7]، وقال بالتحسين والتقبيح الشرعي فقط، وأنه لا يقبح من الله شيء حتى لو عذب المطيعين، وأدخل الكافرين الجنة[8].

خ- أما مسألة الإيمان فيقول في "الإبانة"[9]، إن الايمان قول وعمل يزيد وينقص، وفصّل القول في الإيمان في كتابه "الرسالة إلى أهل الثغر"[10]، ولكنه في اللمع قال: بأن الإيمان هو التصديق[11]، وهذا ما تمسك به متأخرو الأشاعرة، كما نسبوا إليه: بأن القول باللسان والعمل بالأركان لا يدخلان فيه[12]، ونسبوا إليه أيضاً: بأن الإيمان هو المعرفة [13].

---

(1) انظر: الإبانة، الأشعري، (ص161-وما بعدها).

(2) انظر: المقالات، الأشعري، (221/2).

(3) انظر: نهاية الإقدام، الشهرستاني، (ص72).

(4) انظر: الرسالة إلى أهل الثغر، الأشعري، (ص 264).

(5) انظر: الإبانة، الأشعري، (ص192).

(6) انظر: الرسالة إلى أهل الثغر الأشعري، (ص 241)، وانظر: له اللمع (58-59).

(7) انظر: الرسالة إلى أهل الثغر، الأشعري، (ص 241).

(8) انظر: المصدر السابق، (ص243)، وله، اللمع (ص122).

(9) انظر: الإبانة، الأشعري، (27).

(10) انظر: الرسالة إلى أهل الثغر، الأشعري، (ص93).

(11) انظر: اللمع، الأشعري، (ص75).

(12) انظر: أصول الدين، البغدادي، (ص248)، والمجرد، ابن فورك، (ص150)، و نهاية الإقدام، الشهرستاني، (ص472).

(13) انظر: المجرد، ابن فورك، (ص151)، نهاية الإقدام، الشهرستاني، (ص472).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

د- أما مرتكب الكبيرة فيقول مثل قول أهل السُّنة: إنه مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، وإنه لا يخلد في النار[1].

ذ- وأما قوله في عذاب القبر، الصراط، الحوض، الإمامة، الشفاعة، الصحابة الكرام، فهو مثل قول السَّلف، كما هو موجود في أو آخر كتبه[2].

رابعاً: معتقدات متأخري الأشاعرة:

المعتقدات هنا ما استقر عليه المذهب الأشعري عند المتأخرين، وهو ما سطَّره الإيجي في كتابه المواقف، مع ملاحظة أنه يعرض أحياناً في بعض المسائل لعدة أقوال داخل المذهب الأشعري، ومع ملاحظة أن الأشاعرة حتى في العصور المتأخرة يعولون على كتب السابقين مثل كتب الأشعري والباقلاني والجويني والغزالي والرازي وغيرهم، ولعل القارئ لعقائد المتقدمين "أبو الحسن الأشعري" والمتأخرين من الأشاعرة، يستشف أنهم فرقتان مختلفتان لا علاقة تربط بينهما، إلا في بعض المسائل المتفق عليها، كما هو الملاحظ بين كثير من الفرق بينها قدر مشترك من التوافق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية "الانحراف وإذا كان الغلط شبراً صار في الأتباع ذراعاً، ثم باعاً، حتى آل هذا المآل؛ فالسعيد من لزم السنة[3]، فهو يتميز بالسمات الآتية[4]:

1- في مسألة الإيمان ذهبوا إلى ما ذهبت إليه المرجئة، فقالوا، إنه التصديق، وبعضهم يقول: إنه المعرفة، وقالوا بوجوب الطاعة، وتأثيم العصاة، وذهبوا في مسائل زيادة الايمان ونقصانه، ودخول الأعمال فيه، والاستثناء فيه، إلى مذهب المرجئة[5].

2- النبوات يثبتونها بالمعجزات، فهم يقولون: من الأمور المختصة بالنبي أن يظهر منه الأفعال الخارقة للعادة[6].

---

(1) انظر: الإبانة، الأشعري، (ص26).

(2) انظر: المصدر السابق، (ص162-179)، وله، اللمع، (ص279-303)، له الرسالة إلى أهل الثغر، (ص 279-286-288-289-298-299)، وانظر: أثر علم الكلام، وليد باصمد، (64-68).

(3) انظر: بغية المرتاد، لابن تيمية، (ص 451).

(4) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، (694/2-696).

(5) انظر: المواقف، الإيجي، (527/3).

(6) انظر: المصدر السابق، (334/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- مذهبهم في الامامة والتفضيل بين الخلفاء الأربعة، والسمعيات من المعاد وأحوال يوم القيامة، والجنة والنار، وعدم خلود أهل الكبائر في النار، والشفاعة؛ فهو موافق لمذهب اهل السنة والجماعة.

4- حكم من خالفهم، فمذهبهم متأرجح بين التكفير والإعذار لهم.

5- في مسألة القدر بالنسبة لمسائل الكسب، وإنكار التعليل، والقول بالتحسين، والتقبيح الشرعي، وتكليف ما لا يطاق، والاستطاعة تكون مقارنة للفعل فقط.

6- الرؤية ثابتة، لكن مع نفي العلو، وهذا يقرب من مذهب المعتزلة.

7- التمسك بالمقدمات المنطقية والعقلية لتحديد المصطلحات، والرجوع إليها بما يتعلق بالموضوعات العقيدة.

8- التمسك بدليل حدوث الأجسام، وذلك للرد على القائلين بقدم العالم.

9- تقديم العقل على النقل، وإمكانية التعارض بينهما.

10-خبر الآحاد لا يفيد اليقين، فلا يحتج به في العقائد، ولا مانع من الاحتجاج به في مسائل السمعيات.

11-التوحيد: التوحيد عندهم هو توحيد الربوبية فقط، أما توحيد الألوهية فلا يلتفتون إليه.

12-في الصفات: إثبات الصفات السبع العقلية، والخلاف واقع في صفة البقاء، أما باقي الصفات فيجب تأويلها.

13-أما الصفات الخبرية: فهو دائر بين التفويض أو التأويل، ونتيجتهما واحدة.

14-أما الصفات الفعلية الاختيارية: نفوها، وهي التي تسمى بمسألة حلول الحوادث.

15-أما كلام الله: هو القول بالكلام النفسي، وأنه أزلي، وأنه معنى واحد، وأما القرآن المتلو، فيقلون بقول المعتزلة[1].

(1) انظر: أثر علم الكلام، وليد باصمد (79-81).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

عقيدة العادة عند الأشاعرة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف العقيدة لغةً واصطلاحاً.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف العقيدة لغةً.

المطلب الثاني: تعريف العقيدة اصطلاحاً.

المبحث الثاني: مفهوم العادة لغةً واصطلاحاً.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف العادة لغةً.

المطلب الثاني: تعريف العادة اصطلاحاً.

المبحث الثالث: علاقة الكسب والسببية بالعادة.

وفيه مطلبان:

المطلب لأول: علاقة الكسب بالعادة.

المطلب الثاني: علاقة السببية بالعادة.

المبحث الرابع: أسباب قول الأشاعرة بعقيدة العادة، وما ترتب عليها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسباب قول الأشاعرة بعقيدة العادة.

المطلب الثاني: ما ترتب على قول الأشاعرة بالعادة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأوّل
تعريف العقيدة لغةً واصطلاحاً

وفيه مطلبان:

المطلب الأول
تعريف العقيدة لغةً

قال الأزهري[1] رحمه الله في "معجم تهذيب اللغة" بعد أن ذكر قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة:1]، "قيل العقود: العهود، وقيل: الفرائض التي أُلزموها، ويقال: عَقدتُ الحبلَ فهو معقود، وكذلك العهد، ويقال: عَقَد فلانٌ اليمين: إذا وكَّدها"[2].

وقال أبو الحسين؛ أحمد بن فارس رحمه الله في كتابه "معجم مقاييس اللغة": "عَقْد: العين والقاف والدال أصلٌ واحد يَدلُّ على شدٍّ وشدةٍ وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها، من ذلك: عَقْد البناء، والجمع: أعقاد وعقود.. والعُقْدَة: الضيعة، والجمع عُقد، يقال: اعتقد فلان عُقْدَةً: أي اتخذها، واعتقد مالاً وأخاً: أي اقتناه، وعَقَدَ قلبه على كذا: فلا ينزع عنه، واعتقدَ الشيء: صَلُب"[3].

وقال ابن منظور في اللسان العرب: "عقد العَقْد: نقيض الحال عَقَدَه يَعقِدُه عقْداً وتعْقاداً وعَقَّده، أنشد ثعلب:" لايمنعك من بغاء الخير تعقاد التمائم" واعتقده كعقَدَه، قال جرير:

أسيلَةُ معْقِدِ السمطين[4] منها... وريّاً حيث تعْتقدُ الحِقابا"[5].

وقال الفيروز أبادي –رحمه الله– في "القاموس المحيط": "عقَدَ الحبْلَ والبيع والعهد يعقِدُهُ: شدَّه، والعَقْدُ: الضمان، والعهد، والجَمَلُ المؤثَّق الظهر"[6].

---

(1) هو أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، إمام في اللغة، وكان فقيهاً صالحاً، غلب عليه علم اللغة، توفي سنة 370هـ، انظر: السيوطي بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (1/ 19–20).

(2) تهذيب اللغة، الأزهري، (134/1).

(3) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (86/4).

(4) المعقد: هو موضع العِقد، والسّمط: هو الخيط ما دام فيه الخرز، وإلاّ فهوَ سلكٌ، وقيل: هي قلادةٌ أطولُ من المخنقة، والسَّمطان اثنان، يقالُ: رأيتُ في يد فلانةَ سمطاً، أي نظماً واحداً، فَإذا كانت القِلادة ذات نظمين فهي ذات سمطين، انظر: تاج العروس (380/19).

(5) لسان العرب، ابن منظور، (296/3).

(6) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (ص300).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعند التأمل فيما سبق ذكره لمعنى العقيدة من خلال معاجم اللغة يتبين: أن جميع معاني هذه الكلمة في اللغة ترجع إلى الشدة، والتوثيق، والإلزام، والربط، والإحكام بقوة كما هو في عقد اليمين والحبل والبيع.

وعلى الرغم من ورود الكثير من مشتقات مادة "عَقَدَ" في القرآن الكريم مثل "عَقَدَ، عَقَّدَ، عقود، عُقْدة، العُقَد"[1]، فإن لفظة العقيدة تحديداً لم ترد في القرآن، وكذلك الحال بالنسبة للسُّنة، وإنما المستعمل في القرآن الكريم والحديث الشريف "الإيمان"، وتم استخدام مصطلح العقيدة في القرون التي تلت عصر النبي ﷺ.

المطلب الثاني

تعريف العقيدة اصطلاحاً

للعقيدة عند التعريف بها اصطلاحان:

الاصطلاح الأول: هو تعريفها من حيث الاصطلاح العام الذي يشمل جميع العقائد، ولا يستثني منه عقيدة كائنة ما كانت فهي: "الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده"[2]، والعقيدة هنا بهذا المعنى هي: الاعتقاد عن يقين وجزم وربط وإحكام، وهي متوافقة تماماً مع معنى العقيدة في اللغة الذي معناها هو: الشدة والتوثيق والإلزام والربط والإحكام بقوة.

فهي إذن اعتقاد جازم مطابق للواقع لا يقبل شكاً ولا ظناً، فما لم يصل العلم بالشيء إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة، وإذا كان الاعتقاد غير مطابق للواقع والحق الثابت ولا يقوم على دليل، فهو ليس عقيدة صحيحة سليمة، وإنما هو عقيدة فاسدة كاعتقاد النصارى بألوهية عيسى عليه السلام وبالتثليث.

أما **الاصطلاح الثاني:** فهو تعريفها من حيث الاصطلاح الخاص؛ أي معناها في الشرع، وهي كما عرّفها الشيخ عبدالله بن عبدالحميد الأثري عندما قال: "والعقيدة الاسلامية: هي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وأُلوهيته وأَسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثَبَتَ من أُمور الغيب، وأصول الدِّين، وما أَجمع

---

(1) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، عبدالباقي، (ص 468).

(2) ذكر في المعجم الوسيط عند تعريف العقيدة أنها هي: "الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده"، انظر: المعجم الوسيط (2/ 614).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليه السَّلف الصَّالح، والتسليم التام لله تعالى في الأَمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم"[1].

وعرّفها الشيخ محمد أحمد ملكاوي في كتابه "عقيدة التوحيد في القرآن الكريم" حيث قال: "والعقيدة شرعًا: هي ما يدين به الإنسان ربه وجمعها عقائد، والعقيدة الإسلامية مجموعة الأمور الدينية التي تجب على المسلم أن يصدق بها قلبه، وتطمئن إليها نفسه، وتكون يقينًا عنده لا يمازجه شك ولا يخالطه ريب، فإن كان فيها ريب أو شك كانت ظنًّا لا عقيدة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ [الحجرات:15]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ [البقرة:2]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران:9][2].

(1) الوجيز في عقيدة السَّلف الصالح، الأثري، (ص 24).

(2) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد ملكاوي، (ص 20).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني
مفهوم العادة لغةً واصطلاحاً

وفيه مطلبان:

المطلب الأول
تعريف العادة لغةً

العادة: لغة:

قال ابن منظور في اللسان "العادةُ هي الدَّيدان والدَّيدنُ والدِّين، فتقولُ في وصف رجل مثلاً: ما زال ذلك ديدنه وديدانه ودينه ودأبه وعادته وسدمه وهجِّيره وهجِّيراه واهجيراه وذُرابته"[1].

وقيل العادة، مأخوذة من العود، قال ابن فارس: – "العين والواو والدال أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تثنية في الأم" ثم قال بعد ذلك "والعادة: الدربة والتمادي في شيء حتى يصير له سجية"، وقال أيضاً: "العادة في اللُّغة اسم من أصل العود، ويفيد تكرير الفعل والانفعال والمعاودة عليه –دون بذل جهد خاص – حتى يصير تعاطيه سهلًا كالطبع، ولذلك قيل: " إن العادة طبيعة ثانية"[2].

وقال الجرجاني: "ما استمر الناس عليه على حكم المعقول، وعادوا إليه مرة بعد أخرى"[3].

وقد ذهب الفقهاء إلى هذا التعريف، مما يدل على مصداقية الإلف والطريقة السلوكية.

ويلاحظ في بعض التعريفات اعتبار كون العادة عامة في الناس، بينما يلاحظ في بعضها الآخر اعتبار تكرر الأمر من غير نظر إلى عمومه في الناس.

ليس المراد باعتبار العادة والرجوع إليها أنها دليل شرعي يستند إليه في إثبات الأحكام، ولكن المراد هو أنها أمر مُعِين على التطبيق في بعض المسائل، وقد ضبط السيوطي تلك المسائل بقوله: – "قال الفقهاء: كل ما ورد به الشرع مطلقًا، ولا ضابط له فيه، ولا في اللغة، يرجع فيه إلى العرف" ثم ذكر أمثلة على ذلك[4].

من الملاحظ من التعريفات السابقة كلها متقاربة جداً إلى حدٍ ما، فكلها تدور حول معنىً واحدٍ.

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، (153/13، 152).
(2) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (182/4، 181)، المفردات في غريب القرآن، الأصبهاني، (594).
(3) التعريفات، الجرجاني، (146).
(4) الأشباه والنظائر،السيوطي، (ص 98).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

تعريف العادة اصطلاحاً

مفهوم العادة عند الأشاعرة:

ولو جئنا نعرف العادة اصطلاحا عند العلماء خاصة عند الأشاعرة؛ لوجدناهم يجمعون على قول واحد ألا وهو؛ أنه ليس هناك تلازم ضروري بين الأسباب والمسببات أو العلة والمعلول، يقول الغزالي: "الاقتران بين ما يعتقد في العادة سببًا، وبين ما يعتقد مسببًا، ليس ضروريًا عندنا"[1]، فالأشاعرة ينفون الاقتران الضروري بين الأسباب والمسببات، ويقولون: بأن الأسباب لا تأثير لها في حصول المسببات، وأن التلازم الظاهر بين الأسباب والمسببات إنما يرجع إلى جريان العادة بحصول المسبب عند وجود السبب، وإلا فالمسبب حاصل سواء وجد السبب أو لم يوجد، ولو وجد، فإنه لا تأثير له في حصول المسبب، بل ليس هناك علاقة تسببية بين السبب والنتيجة، "بل كل شيئين ليس هذا ذاك، ولا ذاك هذا، ولا إثبات أحدهما متُضمناً لإثبات الآخر، ولا نفيه متضمناً لنفي الآخر"[2]، فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر، مثل الري، والشرب، والشبع، والأكل، والاحتراق، ولقاء النار، والنور، وطلوع الشمس، والموت، وجز الرقبة، والشفاء، وشرب الدواء، وإسهال البطن، واستعمال المسهل، وهلم جرا إلى كل المشاهدات من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف، وإن اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه يخلقها على التساوق؛ لا لكونه ضرورياً في نفسه غير قابل للفرق، بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل، وخلق الموت دون جز الرقبة، وإدامة الحياة مع جز الرقبة، وهلم جرا إلى جميع المقترنات، وأنكر الفلاسفة إمكانه وادعوا استحالته[3].

وإذا احتج عليهم إنسان بأنه يرى دائمًا الاحتراق يعقب النار، والإسكار يعقب الخمر، تعللوا في ذلك بأنه لا يرجع إلى تلازم بين الأسباب الطبيعية، وإنما هو نتيجة الاعتياد من رؤيتهما معًا وفي ذلك يقول الباقلاني: "إن ما هو مشاهد في الحس لا يوجد ضرورة ولا وجوبًا وإنما هو يجري مجرى العادة، بمعنى وجوده وتكراره على طريقة واحدة"[4]، فمثلاً:

---

(1) تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي،(ص 239)، وانظر: نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني، (ص72).

(2) تهافت الفلاسفة، الغزالي، (ص239)، وانظر: شرح المواقف، الجرجاني، (2/4 17).

(3) انظر: تهافت الفلاسفة، الغزالي، (ص237).

(4) البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات، الباقلاني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النار عند الأشاعرة لا تحرق، وأيضاً، هي ليست سبباً في الإحراق، ولكن عند التقاء الخشب بالنار يخلق الله تعالى الاحتراق؛ فيقولون: بأن الخشب احترق عند النار لا بالنار، والرجل إذا كسر الزجاجة يقولون: ما انكسرت بكسره وإنما انكسرت عند كسره، والإنسان إذا أكل حتى شبع، يقولون: ما شبع بالأكل؛ وإنما شبع عند الأكل، ومن قال بأن النار تحرق بطبعها أو هي علة الاحتراق، فهو كافر مشرك عند الأشاعرة؛ لأنه لا فاعل عندهم إلا الله مطلقاً، فلا ارتباط عندهم بين سبب ومسبب أصلاً، وإنما المسألة عندهم اقتران كاقتران الزميلين من الأصدقاء في ذهابهما وإيابهما، ومن متونهم في العقيدة: وخلاصة قولهم كما يذكره الناظم بقوله[1]:

والفعل في التأثير ليس إلا	**للواحد القهار جـل وعـلا**
ومن يقل بالطبع أو بالعلـة	**فذاك كفر عند أهل الملـة**
ومن يقل بالقوة المودعـة	**فذاك بـدعي فـلا تلتفـت**

وهم بذلك يستبعدون أن الطبائع موجبة للمسببات، فلو كانت كذلك لكثرت وتكررت مع مسبباتها، وفي هذا المعني يقول الباقلاني: "ولو كانت هذه الطبائع موجبة لمسبباتها لكانت كلما تكررت وكثرت تكررت مسبباتها... إلى أن قال: ومن ثم فقد فسد أن تكون الطبائع موجبة لهذه الأمور وفقاً لمبدأ السببية"[2].

والصواب في ذلك أن الله –جل وتعالى– ربط الأسباب بالمسببات إذا عملت الأسباب وقعت المسببات، والأسباب من قدر الله تعالى؛ إذا أتى بها العبد وقع المقدور، ومتى لم يأت بها انتفى المقدور، فالله –جل وعز– قدر الشبع بالأكل، وقدر الري بالشرب، وقدر الولد بالنكاح والوطء؛ فمن لم يأت بالسبب انتفى المقدور، وهذا لا ينافي قضاء الله وقدره[3].

ثم بعد ذلك جاء الغزالي وتوسع في إرجاع التلازم بين الأسباب الطبيعية وبين مسبباتها، ويرجع إلى ذلك إلى حكم العادة، ويرى أنه يجوز أن تنفك اللازمات عن الاقتران بما هو لازم لها، بل لزومه لحكم العادة[4] وأجاز الأشاعرة أن يجمع الإنسان بين النار والقطن والحلفاء فلا تحرقها على نقض العادة[5] فليس لأية ظاهرة طبيعية فعل خاص يصدر عنها،

---

(1) منظومة الدردير، (ص240).

(2) موقف ابن القيم من الأشاعرة، ضياء الدين محمد البكري، (ص18).

(3) المصدر السابق (ص18–19).

(4) الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي،(ص46).

(5) أصول الدين، عبد القاهر البغدادي،(ص76).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فليس في الخمر إسكار مثلاً، وأنه لا مقوم داخلي لأي جسم يجعل منه فاعلاً؛ إذ إن الأجسام منفصلة إلى أجزاء فهي جواهر فردة لا يربط بينها إلا بالقدرة الإلهية[1]، والسبب في الحقيقة لا أثر لها البتة بدليل إمكان انفكاك المسببات عن أسبابها ولكن اعتاد الناس وألفوا هذا الاقتران بينهما؛ فحكموا بالضرورة، وليس لديهم من حجة إلا المشاهدة، يقول الغزالي: "فإن اقترانها بما سبق من تقدير الله – سبحانه– يخلقها على التساوق لا لكونه ضروريًا في نفسه؛ بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل، وخلق الموت دون جز الرقبة، وإدامة الحياة مع جز الرقبة"[2]، وإن كان الناس لم يألفوا هذه الأمور أو ألفوا بعضها، ولم يألفوا جز الرقبة مع بقاء الحياة، فالنار التي تعد من الجمادات، فلا فعل لها، فهل يوجد دليل على أنها هي الفاعل، فلا دليل لهم إلا مشاهدة حصول الاحتراق[3]، فهي العادة، لا أكثر، ولا أقل، فلا شيء يفعل في شيء ولا يؤثر فيه.

ويشرح الدكتور البوطي عقيدة العادة عند الأشاعرة بالانقضاض على علاقة الأسباب بمسبباتها فيقول: "وإذًا فما معنى كون هذه الأمور أسبابًا؟، إن معنى ذلك محصور في أن الله ﷻ ربط بينهما وبين أمور أخرى بمحض إرادته وقدرته فقط، فظهر استمرار هذا الارتباط أمامنا بمظهر السببية والتأثير فاستعرنا له كلا من هاتين الكلمتين على سبيل المجاز"[4]، ومعنى ذلك أنه لا يوجد سبب حقيقي ولا علة حقيقية لها تأثير في أسبابها ومعلولها، والمعلوم أن نفي السببية والعلية سمة واضحة في مذهب الأشاعرة، يقول البوطي "من المعلوم أن الشيء لا يسمى سببًا لغيره إلا إذا أثر فيه إيجادًا أو إعدامًا أو تكييفًا، وهذا التأثير لا بد أن يكون حتميًا ما دام المؤثر سببًا، وإلا لامتنع كونه كذلك"[5]، بل إن البغدادي رحمه الله يقول: إن أهل السنة أجمعوا على أنه لا يوجد أثر البتة للطبائع، وضللوا من قال باختلاف الأجسام لاختلاف الطبائع[6]، بل إن الأمر أبعد من ذلك فحتى يحقق الأشاعرة مفهوماً خاصاً لعقيدة العادة، وردّاً للسببية منعوا أن يقال للشيء احترق بالنار وإنما احترق عندها، يقول الغزالي:

---

(1) التمهيد، الباقلاني، (ص57).

(2) تهافت الفلاسفة، الغزالي، (ص239)، وانظر: شرح جوهرة التوحيد، البيجوري، (ص98).

(3) تهافت الفلاسفة، الغزالي، (ص240)، وانظر: عون المريد شرح جوهرة التوحيد، عبد الكريم تنان، ومحمد أديب الكيلاني، (555/1، 402، 401).

(4) كبرى اليقينيات الكونية، البوطي، (ص307).

(5) المصدر السابق (ص306).

(6) الفرق بين الفرق، البغدادي، (ص328)، وانظر: مقدمة مناهج الأدلة، ابن رشد، (ص51).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"فقد تبين أن الوجود عند الشيء، لا يدل على أنه موجود به"[1]، فالأدلة الحسية المشاهدة لا تكفي عندهم في إثبات باء السببية، وهكذا تم التعامل مع آيات الذكر الحكيم الواردة بباء السببية، وكذلك الآيات التي رتبت النتائج على الأسباب، بل التجارب العلمية والأدلة العقلية لا تستقيم كأدلة عند الأشاعرة في رد عقيدة العادة، ولهذا يقول الغزالي في معرض رده على المخالفين: "فما الدليل على أنها الفاعل؟ وليس لهم دليل، إلا مشاهدة حصول الاحتراق منذ ملاقاة النار، والمشاهدة تدل على الحصول عندها، ولا تدل على الحصول بها"[2]، وكذلك التجارب العلمية لا تنهض كدليل على إثبات السببية يقول مصطفى صبري: "ولا تقل أيها القارئ أن التردد في كون علة الاحتراق الفاعلية هي النار بعد مشاهدة النار مع كل حادثات الاحتراق، مكابرة ظاهرة، لأني أقول: على أي دليل قطعي الدلالة ينبني حكمك هذا؟ فإن بنيته على التجربة المشاهدة؛ فالتجربة لا تشاهد العلية لأن العلية أمر معنوي لا يرى، وإنما مدلول التجارب ومشهودها كون النار مجتمعة مع حادثة الاحتراق والجسم المحترق ودائرة حيثما دار، وإن بنيته على الدليل المنطقي فالمنطق لا يعترف بدلالة دوران شيء مع شيء ودوام اقترانه به على كون صلة أحدهما بالآخر صلة العلة بمعلولها"[3]، أي لا بالمشاهدة ولا بالعقل ويزيد البوطي هذا الكلام وضوحًا حيثما فيقول: "والعلم لا شأن له في الأشياء إلا أنه يصفها على ما هي عليه في أدق مظاهرها، ثم يمارس هذا الوصف بالتجربة في مجالات متكررة وهيهات أن يتوصل العلم إلى أن مقارنة الأسباب بمسبباتها أمر حتمي لا مناص من تلازمها ولا حيلة لانفكاكها"[4]، وهكذا فإن الأشاعرة ينفون أن يكون هناك دليل من المشاهدة والعلم أو المنطق على ضرورة التسبب، أو أن هذه الأدلة لا تنهض على أن تكون لضرورة التلازم بين الأسباب والمسببات، وهذا يعني انتفاء نوع الأدلة كلية في إثبات العلاقة بين الأسباب الطبيعية، وهم بهذا يغلقون باب البحث عن دليل حسي أو عقلي أو علمي[5].

---

(1) الغزالي، تهافت الفلاسفة، (ص241)، وانظر: غاية المرام في علم الكلام، الآمدي، (ص220، 212).

(2) تهافت الفلاسفة، الغزالي، (ص240)، وانظر: التمهيد، الباقلاني، (ص64).

(3) مختصر موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين، مصطفى صبري، (ص31).

(4) كبرى اليقينيات الكونية، البوطي، (ص313)، وانظر: غاية المرام في علم الكلام، الآمدي، (ص220، 213).

(5) انظر: عقيدة العادة عند الأشاعرة، جابر السميري، (ص5-8).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما سبق يتضح لنا بإن كلام الأشاعرة مردود والصواب هو:

أن الله –جل وتعالى– ربط الأسباب بالمسببات إذا عملت الأسباب وقعت المسببات، والأسباب من قدر الله تعالى؛ إذا أتى بها العبد وقع المقدور ومتى لم يأتِ بها انتفى المقدور. فالله –جل وعز– قدر الشبع بالأكل، وقدر الري بالشرب، وقدر الولد بالنكاح والوطء، فمن لم يأت بالسبب انتفى المقدور وهذا لا ينافي قضاء الله وقدره[1].

(1) انظر: موقف ابن القيم من الأشاعرة، ضياء الدين محمد البكري، (ص19).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

علاقة الكسب والسببية بالعادة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

علاقة الكسب بالعادة

أولاً: الكسب لغة:

الكَسْبُ: طلب الرزق. وأصله الجمع، قاله الجوهري، تقول منه: كَسَبْتُ شيئاً واكْتسبْته بمعنًى. وفلان طيِّبُ الكَسْب، وطيِّب المَكْسِبَة وطيِّب الكِسْبَةِ. وكَسَبْتُ أهلي خَيْرا، وكَسَبْتُ الرجلَ مالاً فكَسَبَه. وهذا ممَّا جاء على فَعَلْتُهُ فَفَعَلَ. والكواسب: الجوارح. وتكسَّب، أي تكلَّف الكَسْبَ. والكُسْبُ بالضم: عُصارة الدُهْن[1].

وعرفه الجرجاني، فقال: "الكسب هو المفضي إلى اجتلاب نفع أو دفع ضرر، ولا يوصف فعل الله بأنه كسب؛ لكونه منزهًا عن جلب نفع أو دفع ضرر[2].

فالكسب في اللغة هو اجتلاب النفع أو دفع ضرر، والله منزه عن ذلك، لكون فعل الله لا يوصف بأنه كسب.

والكسب قد وقع في القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: عقد القلب، وعزمه كقوله تعالى: ﴿**لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾ [البقرة:225]، أي بما عزمتم عليه وقصدتموه وقال الزجاج: "أي يؤاخذكم بعزمكم"، على أن لا تبروا، وأن لا تتقوا، وأن تعتلوا في ذلك بأنكم حلفتم، وكأنه التفت إلى لفظ المؤاخذة وأنها تقتضي تعذيبا؛ فجعل كسب قلوبهم عزمهم على ترك البر والتقوى لمكان اليمين، والقول الأول أصح، وهو قول جمهور أهل التفسير فإنه قابل به لغو اليمين؛ وهو أن لا يقصد اليمين، فكسب القلب المقابل للغو اليمين هو عقده وعزمه، كما قال في الآية الأخرى: ﴿**وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ**﴾ [المائدة:89]، فتعقيد الأيمان هو كسب القلب[3].

---

(1) الصحاح، الجوهري، (ص4442).

(2) التعريفات، الجرجاني، (ص184).

(3) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (229/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوجه الثاني: من الكسب: كسب المال من التجارة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:267]، فالأول للتجار والثاني للزراع[1].

والوجه الثالث من الكسب: السعي والعمل كقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ [البقرة:286]، وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:39].

﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الأنعام:70]، فهذا كله للعمل[2].

ثانياً: الكسب اصطلاحاً:

الكسب اصطلاحاً عند الأشاعرة: عرّفه الرازي فقال: الكسب هو الفعل المفضي إلى اجتلاب نفعٍ أو دفع ضر، ولهذا السبب لا يوصف فعل الله بأنه كسبٌ[3].

وهو ما يسمى بنظرية الكسب عند الأشاعرة، فنظرية الكسب، أو مصطلح الكسب عند الأشاعرة ترد كثيراً في كتبهم، وفي كتب من يخالفونهم إذا أرادوا الرد عليهم، وهي ترد في باب القدر على وجه الخصوص؛ فجمهور الأشاعرة ومتأخروهم يرون أن الله خالق أفعال العباد فيثبتون مرتبتي المشيئة والخلق، ولكنهم يقولون: "إن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله – تعالى – وحدها، وليس لقدرتهم تأثير فيها، بل الله – سبحانه – أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختياراً؛ فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارناً لهما؛ فيكون الفعل مخلوقاً لله إبداعاً وإحداثاً، ومكسوباً للعبد، والمراد بكسبه إياه: مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك من تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلاً له"[4].

فهم يرون أن؛ أفعال العباد كلها مخلوقة لله وهي كسب للعباد، وعلى ذلك يترتب الثواب والعقاب، ولا تأثير لقدرة العبد في الفعل.

وهذا قول جمهور الأشاعرة، وهو القول الذي شنع بسببه المعتزلة على الأشاعرة؛ لأنهم لما لم يثبتوا للعبد قدرة مؤثرة لم يكونوا بعيدين من قول الجبرية الجهمية؛ فهم أرادوا

---

(1) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (349/1).

(2) المصدر السابق، (369/1).

(3) مفاتيح الغيب، الرازي، (165/12)، وعلى الشاملة، (220/6).

(4) الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتردية، أبو عذبة، (ص42) وما بعدها، شرح المواقف، الموقف الخامس، الزنجاني، (ص237).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن يوفقوا بين الجبرية والقدرية؛ فجاؤوا بنظرية الكسب، وهي في مآلها جبرية خالصة؛ لأنها تنفي أي قدرة للعبد أو تأثير[1].

ولهذا اشتهر المذهب الأشعري بناءً على مقالتهم تلك بنظرية الكسب؛ التي صارت علماً عليهم، فما معنى الكسب عندهم؟.

يستدل أبو الحسن الأشعري استدلالاً عقلياً على مسألة الكسب، وذلك لكي يقرر أن أفعال العباد مخلوقة لله، وأنه ليس للإنسان فيه غير اكتسابها، فإن الإنسان يفعل أفعالاً غير مرادة ولا مقصودة، فلو كان الفاعل لآتت موافقة لما يشتهي، فإذا لم يكن كذلك، فالله هو الفاعل الحقيقي، وقد استقر قوله على أن القدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها، فإذا وقع المقدور، فإنما وقع بقدرة قديمة، جاءت به على جميع الصفات[2]، ونتج عن ذلك أن العبد ليس بفاعل، وأن نسب إليه فعله، وإنما الفاعل حقيقة هو الله، فلا فاعل غيره.

ويضرب بعضهم للكسب مثلاً؛ "في الحجر الكبير قد يعجز عن حمله رجل، ويقدر آخر على حمله منفرداً به، إذا اجتمعا جميعاً على حمله كان حصول الحمل بأقواهما، ولا خرج أضعفهما بذلك من كونه حاملاً، لكن هذا التفسير يثبت أن العبد يستقل بجزء من الفعل دون الله، وهذا باطلٌ.[3]

كذلك العبد لا يقدر على الانفراد بفعله، ولو أراد الله الانفراد بإحداث ما هو كسب للعبد قدر عليه، وَوُجِدَ مقدوره؛ فوجوده على الحقيقة بقدرة الله، ولا يخرج مع ذلك المُكْتَسبُ من كونه فاعلاً، وإن وجد الفعل بقدرة الله[4].

وهكذا تؤول هذه النظرية جبرية خالصة، ويبقى الخلاف بينهم وبين الجبرية خلافاً لفظياً بل طريقتهم أكثر غموضاً.

وعرّفه الرازي فقال: الكسب هو الفعل المفضي إلى اجتلاب نفعٍ أو دفع ضر، ولهذا السبب لا يوصف فعل الله بأنه كسبٌ[5].

---

(1) انظر: الروض الباسم، ابن الوزير، (356/2)، والروضة البهية، أبو عذبة، (ص42)، وما بعدها، ولوامع الأنوار، السفاريني، (292/1، 291).

(2) انظر: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، الأشعري، (ص49) وما بعدها، وشفاء العليل، ابن القيم، (ص122، 121).

(3) انظر: أصول الدين، البغدادي، (ص133، 134).

(4) انظر: المصدر السابق، وانظر: القضاء والقدر، المحمود، (ص313).

(5) مفاتيح الغيب، الرازي، (165/12)، وعلى الشاملة، (220/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الأشاعرة من يرى أن الفعل واقع بقدرة العبد، وأن العبد له كسب، وليس مجبوراً، وهذا هو قول الباقلاني: "ويجب أن يعلم أن العبد له كسب، وليس مجبوراً، بل مكتسب لأفعاله من طاعة ومعصية؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة:286]، يعني من ثواب طاعةٍ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:286]، يعني من عقاب معصية. وقوله: ﴿كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:41]، وقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:30]، وقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ [فاطر:45]، ويدل على صحة هذا أن العاقل منا يفرق بين تحرك يده جبراً، وسائر بدنه عند وقوع الهم به، أو الارتعاش وبين أن يحرك هو عضواً من أعضائه قاصداً إلى ذلك باختياره؛ فأفعال العباد هي كسب لهم، وهي خلق الله – تعالى – فما يتصف به الحق لا يتصف به الخلق، وما يتصف به الخلق لا يتصف به الحق، وكما لا يُقال لله تعالى إنه مكتسب، كذلك لا يُقال للعبد: إنه خالق"[1].

الرد على نظرية الكسب:

مما سبق يتبين لنا أن القول بالكسب ليس من منهج السَّلف، بل هو مخالف لمنهجهم، فقد خالف الأشاعرة السَّلف في هذا القول، ويمكن نقض نظرية الكسب عند الأشاعرة، والردّ عليهم، وذلك على النحو التالي:

1- أن حقيقة الكسب لا مفهوم له، بل إن الأشاعرة لم يفسروه تفسيراً معقولاً؛ فضلاً عن تفسيره تفسيراً شرعياً، والذي يدل دلالة واضحة، على أن الكسب اسم بلا مسمى قول الرازي: "إن العبد إما أن يكون مستقلاً بإدخال شيء في الوجود، وإما أن لا يكون، فهذا نفي وإثبات ولا واسطة بينهما، وعند هذا التحقيق يظهر أن الكسب اسم بلا مسمّى[2].

2- وافق الأشاعرة الجبرية في معنى القول بانه ليس للعبد قدرة مؤثرة في شيء، وقولهم بالكسب لا وجود له، فوجوده كعدمه، ومن هنا فلا يمكن للأشاعرة أن يردّوا على قول القدرية، إذ قالوا: إن رجحانيّة العبد فاعلية العبد على تركانيّته لا بد لها من مرجح، وموقف الأشاعرة من هذا الأصل متناقض، فهم يبطلونه عند مناظرتهم للمعتزلة، ويقولون به عند مناظرة الفلاسفة في مسألة حدوث العالم[3].

---

(1) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، الباقلاني، (ص43، 44).

(2) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، الرازي، (199).

(3) انظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، (398/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- لم يفرق الأشاعرة بين الكسب والفعل بفرق معقول، ولا بين الخلق والفعل بفرق مفهوم، إذ جعلوا الكسب هو الفعل القائم في محل القدرة، بينما الخلق هو الفعل الخارج عنها، وعليه؛ فالحاصل أنه لا تأثير للقدرة، سواء كان المقدور في محل القدرة، أو خارجاً عنها، لكونهم فسرو التأثير بمجرد الاقتران فُيقال لهم:" فلا فرق بين هذا الكسب، وبين سائر ما يحدث في غير محلها، وغير مقارن لها؛ إذ إشتارك الشيئين في زمانهما ومحلهما لا يوجب كون أحدهما له القدرة على الآخر، كاشتراك العرضين"[1].

وقد ناقش شيخ الإسلام رحمه الله قضية الكسب عند الأشاعرة، وردّ عليها في مواضع عديدة من مصنّفاته القيّمة، فمن ذلك قوله عنهم: "وأخذوا يفرقون بين الكسب الذي أثبتوه، وبين الخلق؛ فقالوا: الكسب: عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة الحادثة، والخلق هو المقدور بالقدرة القديمة، وقالوا أيضاً: الكسب هو الفعل القائم بمحل القدرة عليه، والخلق هو الفعل الخارج عن محل القدرة عليه، فقال لهم الناس: هذا لا يُوجب فرقاً بين كون العبد كسب، وبين كونه فعل وأوجد وصنع وعمل ونحو ذلك؛ فإن فعله وإحداثه وعمله وصنعه هو أيضاً مقدور بالقدرة الحادثة، وهو قائم في محلّ القدرة الحادثة، وأيضاً فهذا فرق لا حقيقة له؛ فإنّ كون المقدور في محل القدرة أو خارجاً عن محلها لا يعود إلى نفس تأثير القدرة فيه، وهو مبني على أصلين:

أ- أن الله -بزعمهم- لا يقدر على فعل يقوم بنفسه، وأن خلقه للعالم هو نفس العالم، وأكثر العقلاء من المسلمين وغيرهم على خلاف ذلك.

ب-أن قدرة العبد لا يكون مقدورها إلا في محل وجودها، ولا يكون شيء من مقدورها خارجاً عن محلها، وأيضاً: فإذا فسر التأثير بمجرد الاقتران، فلا فرق بين أن يكون الفارق في المحل أو خارجاً عن المحل"[2].

4- هذه النظرية مردودة لغة، ووجه الرد أن " كل فعل يستجلب به نفع، أو يستدفع به ضرر سمّوه كسباً، ولهذا سمّوا هذه الحروف مكاسب، والمتحرف بها كاسباً، والجوارح من الطير كواسب[3]، وهذا يعني إثبات التأثير لهذه الكواسب.

---

(1) الصفدية، ابن تيمية، (151/1).

(2) مجموع الرسائل والمسائل، ابن تيمية، (32/3)، وانظر أيضاً له: مجموع الفتاوى، (118/8-121) الصفدية، (1/ 1149-153)، شرح الأصفهانية، (ص 217)،درء تعارض العقل والنقل، (1/ 182-186).

(3) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، (ص245).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- ألزم الأشاعرة، بناء على قولهم في الكسب، بعدة لوازم باطلة مما يدل على بطلان القول بالكسب، يلزم منه[1]:

أ- أنه لا فرق بين المحسن والمسيء، وأن المدح والذم يرتفعان، مع أنه" قد دل الشرع والعقل على أن العبد فاعل له، وأنه يستحق عليه الذم واللعن، قال الله: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ [الأنبياء:74]، وقال: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل:90]، وقال: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر:70]، وهذا كثير في القرآن، والحس شاهد به، فلا تقبل شبه تقام على خلافه، ويكون حكم تلك الشبه حكم القدح في الضروريات، فلا يلتفت إليه"[2].

ب-أنه لا يبقى حجة للرسل على الكفار، إذ يقول الكافر: الله هو الذي خلق الكفر فيّنا؛ لان الأشاعرة تقول: "أنه تعالى مريد بإرادة قديمة ولا يقدر على أن يريد من الكافر خلاف ما أراده منه فيما لم يزل"[3].

يلزم من هذا القول الفاسد كل اللوازم التي تلزم الجبرية، أن يصبح الرب ﷻ فاعلاً لكل ما يوجد من أفعال العباد، ويلزم من ذلك أن يكون الله تعالى فاعلاً للقبائح الله سبحانه وتعالى، " ويلزمهم أن يكون هو الفاعل للقبائح، وأن يتّصف بها على قولهم إنّه يُوصف بالصفات الفعليّة القائمة بغيره"[4].

مما سبق ذكره وبيانه؛ فقد بطلت هذه النظرية بطلاناً لا مثيل له، إذ هي وهمٌ لا حقيقة له؛ لأنه يجعل الأنسان ظرفاً، ووعاءً، ومحلاً للفعل فقط.

فلا معنى لكون العبد مسؤولا عن تطبيق شرع الله، ولا يكون له التأثير في فعله، حتى يثاب عليه ويعاقب، ولذي يقول ابن رشد" وأما الأشعرية راموا أن يأتوا بقول وسط بين القولين، فقالوا: إن للإنسان كسباً، وإن المكتَسَب به، والمكتسِب مخلوقان لله، وهذا لا معنى له، فإنه إذا كان الاكتساب والمكتسِب مخلوقان لله، فالعبد لا مجبور على اكتسابه"[5].

---

(1) مذاهب الاسلاميين، الأشعري، (ص457)، وما بعدها.

(2) شفاء العليل، ابن القيم، (ص151)، وانظر: رفع الشبه والغرر، مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي، (ص40)، وانظر: الصفدية، ابن تيمية، (151/1).

(3) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، (ص253).

(4) النبوات، ابن تيمية، (462/1).

(5) الكشف عن مناهج الأدلة، الجابري، (ص187).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أشكل على بعض الأشاعرة تصور القدرتين على مقدور واحد، فقالوا بمنع قدرة الله لقدرة العبد، والحق أن قدرة العبد من قدرة الله، فهو الذي منحه القدرة، والإرادة، والمشيئة على الفعل أو الترك، والقول الصحيح ما ذهب إليه السلف: إن أفعال العباد واقعة بقدرتهم وإرادتهم حقيقة، والله خلقها حقيقة، ولا تعارض، فالله يخلق فعل العبد بتوسط إرادته وقدرته، فالمضاف إلى الله هو خلقها، والمضاف إلى العباد هو كسبها الذي يترتب عليه المدح والذم، كما قال الله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ [البقرة:286]، وفي هذا المعنى يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله:" وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة، والله خلقها، هي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره"[1].

فأهل الحق من السَّلف يفرقون بين فعل الله وفعل العبد، فالله خالق كل شيء في الوجود، ولا يقع في ملكه شيء إلا بمشيئته وبقدرته، ولكن الإنسان له قدره ومشيئة قائمة بها يفعل ويترك، فله أفعال حقيقية صادرة منه ويسأل عنها.

ثالثاً: علاقة الكسب بالعادة:

ذهب الأشاعرة إلى أن أخص وصف للإله هو القدرة على الاختراع، فلا يشاركه فيه أحد غيره، ومن زعم بذلك، وأثبت فيه شركه فقد أثبت إلهين، وهذا ما نقله الشهرستاني الأشعري[2]، ومن خلال ذلك أراد الأشاعرة أن يتمسكوا ويحافظوا على أخص وصف لله، فصفة القادرية والفاعلية والإحداث لا تنسب إلا لله، فلا تنسب لغيره، لأن ذلك من خصائص الله، والتي لا تليق إلا بالله، وليس من خصائص البشر، ومن هنا لو نظرت إلى هذه الألفاظ، الخلق، والفعل، والإحداث، والاختراع كلها بمعنى واحد، وهي لا تليق إلا بالله، ولهذا فإن الإمام أبو الحسن الأشعري يسوي بين هذه الألفاظ في المعني، وإذا أُطلقت على الإنسان فإنه لا يراد بها إلا الكسب، ولهذا يقول رحمه الله: "والحق عندي أن معنى الكسب هو أن يقع الشيء بقدرة محدثة فيكون كسباً لمن وقع بقدرته"[3]؛ بمعنى لا أثر لقدرة الإنسان في فعله إلا الاكتساب، ومن هنا لا شغل لقدرة العبد إلا الاقتران، أما أن يؤثر فلا.

---

(1) الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة، محمد عبد الرحمن الخميس، (33/1).
(2) نهاية الإقدام، الشهرستاني، (ص91)، وانظر له أيضاً، الملل والنحل، (100/1).
(3) مقالات الإسلاميين، الأشعري، (ص221).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأما مذهب السَّلف أنّ أخص وصف لله هو أنه ربُّ العالمين، وأنه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، ومن هنا يتبين لنا لا فرق بين العادة والكسب، بل كلاهما معناه اقتران شيء بشيء، وهما يؤديان نفس الغرض.

المطلب الثاني
علاقة السببية بالعادة

أولاً: تعريف السببية لغة:

السبب في اللغة: اسم لما يتوصل به إلى المقصود[1].

ويتعدد معناه بحسب السياق، فقد يكون حسياً كالحبل، وقد يكون معنوياً كالعلم.

قال ابن منظور في اللسان[2]: "السبب كل شيء يتوصل به إلى غيره؛ والجمع أسباب؛ وكل شيء يتوصل به إلى الشيء فهو سبب"، وهذا الذي يتوصل به يكون حسياً كالحبل، كما في قوله تعالى: ﴿**فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ**﴾ [الحج:15]، أو معنوياً كالعلم، فإنه سبب للخير كما في قوله: ﴿**وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا**﴾ [الكهف:84]، فسره بعض أهل العلم: بالعلم[3].

سواء كان هذا الشيء مادياً كآلة من الآلات المادية، أو كان معنوياً كالعلم والقدرة.

واستعير من هذا الأصل ما يتوصل به إلى غيره من الأشياء، وقد يطلق على السبيل، وعلى المراقي، وعلى النواحي، وعلى الطريق.

يقول ابن الأثير الجزري رحمه الله: "وأصله من السبب، وهو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء، ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيء"، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ**﴾ [البقرة:166]، أي الوصل والمودات"[4].

ويقول الفيروز آبادي: "والسبب الحبل وما يتوصل به إلى غيره، وأسباب السماء مراقيها، أو نواحيها، أو أبوابها، وقطع الله به السبب، الحياة"[5].

---

(1) التعريفات، الجرجاني، (154/1).

(2) لسان العرب، ابن منظور، (459/1)، وانظر: كشف الأسرار، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (13/1)، وانظر: أصول السرخسي، السرخسي، (22/1).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (94/18).

(4) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير الجزري، (329/2).

(5) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة (سبب) (ص96).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول الفيومي: " السبب هو الحبل وهو ما يتوصل به إلى الاستعلاء، ثم استعير لكل شيء يتوصل به إلى إمر من الأمور، هذا سبب هذا، وهذا مسبّب عن هذا".

والسّبيل السبّب، ومنه قوله: ﴿يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾ [الفرقان:27]، "أي سبباً ووُصلة"[1].

والحاصل أن الناظر إلى تعريف السَّبب عند اللُغويين يجد أنه وسيلة من الوسائل التي يتوصل بها إلى المطلوب، من غير أن يكون وسيلة كافية في تحقيق المسبب استقلالاً.

مع العلم أنه الأثر الجزئيُّ في ظهور المسَّبّب، وليس هو مجرد اقتران لا تأثير له.

ثانياً: تعريف السببية اصطلاحاً:

والسببية في اصطلاح الأشاعرة هو" عبارة عما يكون طريقاً للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه"[2].

فليس للسبب تأثير في مسبب، بل العلاقة بينهما علاقة اقترانية لا تأثيرية.

وحول هذا المعني يعرف الغزالي السبب بأنه ما يحدث عنده الشئ لا به، فيقول:"واعلم أن اسم السبب السبب مشترك في اصطلاح الفقهاء، وأصل اشتقاقه من الطريق، ومن الحبل الذي به ينزح الماء من البئر، وحده ما يحصل الشئ عنده لا به، فإن الوصول السير لا بالطريق لكن لا بد من الطريق، والمردي صاحبه علة، فإن الهلاك بالتردية لكن عند وجود البئر، فما يحصل الهلاك عنده لا به يسمى سبباً[3].

وأكد الزكشي على أن السبب ليس مؤثراً في مسببه، حيث قال: إن السبب"عبارة عما يحصل الحكم عنده لا به، أي: لأنه ليس بمؤثر في الوجود بل وسيلة إليه، فالحبل مثلاً يتوصل به إلى إخراج الماء من البئر، وليس المؤثر في الإخراج، وإنما المؤثر حركة المستقي للماء"[4].

مما سبق يلاحظ أن الأشاعرة في تعريفاتهم للسبب أنهم يربطون بمعتقدهم في عدم تأثير السبب مع مسببه[5].

---

(1) المصباح المنير، الفيومي، (262/1)

(2) التعريفات، الجرجاني (154/1).

(3) المستصفي في علم الأصول، الغزالي، (75/1).

(4) البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، (245/1).

(5) انظر: مبدأ السببية عند الأشاعرة، جمعان الشهري، (17).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: نقض مذهب الأشاعرة النافين للسببية المؤثرة:

ويمكننا الرد على الأشاعرة النافون للسببية المؤثرة من خلال النقاط التالية:

1- أدى نفي السببية إلى إنكار الأفعال الصادرة عن الطبيعة، وما يحصل في عالم الكون والفساد من المشاهدات المقترنة ليس لها فاعل حقيقيٌّ في الشاهد، بل الفاعل الأصلي الحي الغائب.

2- إنه لم يكن للطبائع وجود مؤثر في نظر الأشاعرة، فإن الكون وما فيه يسير على مبدأ التجويز، وأن الذي يجوز أن يوجد هذا الكون خلافاً على ما هو عليه[1].

3- إن إنكار العليّة عند الأشاعرة هو الذي جعلهم يقولون بنفي القوة قبل الفعل، وإنما هي بحسبهم مع الفعل، وقد ألزم ابن رشد من أنكر القوة قبل الفعل أنه" لا يصدق على البناء أنه بناء إذا لم يكن يبنى، وذلك في غاية الشناعة"[2]، وعلى ذلك فقس.

4- إن نفي السببية قد يؤدي إلى إنكار الصانع[3].

رابعاً: علاقة السببية بالعادة:

لو نظرنا إلى السببية عند الأشاعرة فهي تكمن في إنكار الضرورة المنطقية بين السبب والمسبب، وهدفهم من وراء ذلك إطلاق القدرة الإلهية في كل شيء مما ييسر خوارق العادات، فجعلوا الفاعلية المطلقة الوحيدة لله وحده، إذ هو المحدث الحقيقي لجميع الحوادث.

فهم يعتقدون بحدوث الأسباب، لكن مع عدم تأثيرها فيما قارنها، لا بطبعها ولا بقوة جعلت فيها؛ بل لأن الله جعلها أمارات ودلائل على ما شاء من الحوادث، من غير ملازمة عقلية بينها وبين ما جعلت دليلا عليه.

فالعلاقة بين الحوادث المتعاقبة منفية، سوى علاقة جريان العادة عند مشاهدة هذا التعاقب وذلك الاقتران، والذي يعتقد أنه سبب.

فاقتران السبب بالمسبب إنما ذلك إلف، وعادة، فلا تلازم ضروري بين الأسباب ومسبباتها، وحول هذا المعني يقول الغزالي: "الاقتران بين ما يعتقد في العادة سببًا، وبين ما يعتقد مسببًا، ليس ضروريًا عندنا"[4] ومن خلال ما سبق يتبين لنا أنه لا فرق بين السببية والعادة عند الأشاعرة فكلاهما يؤديان نفس الغرض والهدف.

---

(1) الكشف عن مناهج الأدلة، الجابري، (ص166).

(2) عزيز بوستا "مقال"، مجلة النقد الأدبي والبحث الفلسفي، السنة الخامسة، العدد الخامس، 2003م، دار النشر المغربية دار البيضاء، نقض ابن رشد، لـــ"فيزياء" المتكلمين.

(3) تاريخ الفكر الفلسفي، أبو ريان، (ص92).

(4) تهافت الفلاسفة، الغزالي، (ص 239)، وانظر: نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني، (ص72).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

أسباب قول الأشاعرة بعقيدة العادة، وما ترتب عليها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

أسباب قول الأشاعرة بعقيدة العادة

الأشاعرة ذهبوا إلى أن أخص وصف للإله هو القدرة على الاختراع، فلا يشاركه فيه أحد غيره، وقالوا: هذا تفسير اسمه تعالى الله، وقال الأستاذ أبوإسحاق الإسفراييني: أخص وصفه هو: كون يوجب تمييزه عن الأكوان كلها، وقال بعضهم: نعلم يقيناً أن ما من موجود إلا ويتميز عن غيره بأمر ما، وإلا فيقتضي أن تكون كلها مشتركة متساوية، والباري تعالى موجود، فيجب أن يتميز عن سائر الموجودات بأخص وصف، إلا أن العقل لا ينتهي إلى معرفة ذلك الأخص، ولم يرد به سمع فنتوقف[1]، ومن زعم بذلك، وأثبت فيه شركه فقد أثبت إلهين، وهذا ما نقله الشهرستاني عن أبي الحسن الأشعري[2]، ومن خلال ذلك أراد الأشاعرة أن يتمسكوا ويحافظوا على أخص وصف لله، فصفة القادرية والفاعلية والإحداث لا تنسب إلا لله، فلا تنسب لغيره، لأن ذلك من خصائص الله، والتي لا تليق إلا بالله، وليس من خصائص البشر، ومن هنا لو نظرت إلى هذه الألفاظ، الخلق، والفعل، والإحداث، والاختراع كلها بمعنى واحد، وهي لا تليق إلا بالله، ولهذا فإن الإمام أبو الحسن الأشعري يسوي بين هذه الألفاظ في المعني، وإذا أُطلقت على الإنسان فإنه لا يراد بها إلا الكسب، ولهذا يقول رحمه الله: "والحق عندي أن معنى الكسب هو أن يقع الشيء بقدرة محدثة فيكون كسباً لمن وقع بقدرته"[3]، بمعنى لا حقيقة الفعل، ولا يكون قادرا عليه، ولا يكون عليه من حقيقة إلا أن يخترعه الله، وبمعنى هذا الكلام يقول الأشعري رحمه الله: "لا قادر عليه، -أي لا يقدر على الفعل- أن يكون ما هو عليه من حقيقة أن يخترعه إلا الله"[4] بمعنى لا أثر لقدرة الإنسان في فعله إلا الاكتساب، ولذا كان من مذهبهم أي الأشاعرة أن القدرة الحادثة لا تؤثر ولا تعد مبدأ لأثر، وفي هذا المعنى يقول الإيجي:" القدرة الحادثة على رأينا، فإنها لا تؤثر، وليست مبدأ

---

(1) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، (ص100).

(2) المصدر السابق (ص29).

(3) المصدر السابق (ص29).

(4) اللمع في على الرد على أهل الزيغ والبدع، الأشعري، (ص72).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأثر"[1]، ومن هنا لا شغل لقدرة العبد إلا الاقتران أما أن يؤثر فلا، " وعندنا لا فرق إلا ما يعود إلى جريان العادة"[2]، وعليه فإن هذا المبدأ الذي اهتم به الأشاعرة، وهو لا فاعلية ولا خالقية ولا إحداث ولا اختراع، كان الأساس في القول بعقيدة العادة وأنه لا أثر لشيء في شيء البتة وإلا ثبت الشرك فالعادة هي الكسب، ومن هنا يتبين لنا لا فرق بين العادة والكسب، بل كلاهما معناه اقتران شيء بشيء، وعليه فإن الأشاعرة يستدلون على ذلك بكثير من الآيات من القرآن الكريم، موضّحين بذلك أن الله أسند لنفسه الخلق، وما دام أن الله هو المتفرد بالخلق فهو الذي يستحق العبادة دون غيره "قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الأنعام:102]، فالله ﷻ استحق العبادة لا ستحقاقه الخلق فإنه لا شيء له الألوهية والعبادة، إلا الذي خلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم، فإنه لا ينبغي أن تكون عبادتكم وعبادة جميع من في السموات والأرض إلا له خالصة بغير شريك تشركونه فيها، فإنه خالق كل شيء وبارئه وصانعه، وحق على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة[3].

ومن الدوافع التي دفعت الأشاعرة كما يصوره ابن رشد إلى القول بالتجويز؛ هو الهروب من القول بفعل القوى الطبيعية أن يكون العالم صادراً عن سبب طبيعي[4]، بمعنى أن الطبيعة هي التي أوجدت نفسها، وأنها هي الخالقة للكون، وهذا فيه إنكارٌ وجحودٌ لوجود الله سبحانه وتعالى، ومن خلال ذلك ردّ الأشاعرة على الطبائعيين ذلك الاعتقاد بإن الطبيعة هي الخالقة أو أن لها أثراً في الأشياء، بل إن الخالق الفاعل المحدث هو الله وحده.

الرد على أصحاب الطبيعة:

هذا القول ليس له مستند ودليل صحيح يُتكَأ عليه في الواقع، بل هو مجرد أوهام، وذلك أن الطبيعة التي هي مخلوقة وليست خالقة لا تعطيك ولا تمنحك من واقعها إلا الاقتران، والذي يعد في حد ذاته ليس أكثر من الاقتران مهما اتصف بالثبوت والاستمرارية[5]، ومن الطبيعي أن الذي ينكر للإله بالمرة، من يقول لشيء من الأشياء

---

(1) المواقف في علم الكلام، الإيجي، (ص150).

(2) المصدر السابق، (ص153).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (12/12، 13).

(4) مقدمة الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، محمد عابدي الجابري، (ص83)، وانظر، مناهج الأدلة، ابن رشد، (ص170، 169).

(5) نقض أوهام المادة الجدلية، البوطي، (ص162).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خاصة في الكائنات ناشئة من ذاته غير قابلة للانفكاك عنه، لا يقل ذلك إلا من ينكر وجود الله[1]، والذي يُستشف من هذا القول بعدم تأثير الطبائع أو السبب أو لا يوجد لها عمل في الوجود، بمعنى الكلام لا طبيعية ولا سببية، والأشاعرة لهم موقف آخر؛ فهم يقولون ويقرون أن جميع الكائنات الحية مستندة إلى الله بغير واسطة[2]، والذي يؤخذ من كلامهم أي لا مكانة لواسطة الأسباب والمسببات أو التأثير، فالاعتراف مثلاً أن الماء سببٌ للإنبات أو أن الشمس تعطي الحركة للأشياء والحياة يعد شركاً[3].

بعد هذا الكلام يتبين لنا أن الأشاعرة رتّبوا على هذا القول؛ أي القول بعقيدة العادة أنهم يثبتون المعجزات الخارقة للعادة، والرجوع بها وعدم القول بذلك يعد إنكاراً للمعجزات، جاء الردّ من الغزالي على المخالفين مبيناً حكمهم بإن الاقتران الذي يشاهد في الوجود هو اقتران بين الأسباب والمسببات هو اقتران تلازم ضروري، وليس في المقدور، ولا في الإمكان في إيجاد السبب دون المسبب، ولا وجود المسبب دون السبب مما رتب عليه عدم إثبات المعجزات الخارقة للعادة، مثل شق القمر، وقلب العصى ثعباناً، وإحياء الموتى، ومن جعل مجاري العادات لازمة لزوماً ضرورياً أحال جميع ذلك، وأولوا ما في القرآن من إحياء الموتى وقالوا: أراد به إزالة موت الجهل بحياة العلم، وأولوا تلقف العصا سحر السحرة على إبطال الحجة الإلهية الظاهرة على يد موسى شبهات المنكرين، وأما شق القمر فربما أنكروا وجوده وزعموا أنه لو يتواتر[4]، "فمن عقيدة المؤمن أن الله يفعل ما يشاء متى شاء وكيف يشاء في الوقت الذي يشاء، فالله تعالى في عقيدة المؤمنين، إذا شاء يسلب الأشياء ما جرت سنته فيها، ويكون هذا السلب خرقاً منه للعادة لا خرقاً للعقل حتي يكون محالاً، وكذلك الكلام في إحراق النار ما تحرقه أنه كما يكون بإذن الله تعالى كون كف النار عن الإحراق بإمر الله، ولا خرق بين الحالين بالنسبة إلى قدرة الله"[5]، ومعنى الكلام إلى أن قدرة الله تكون مستوية أن تكون الأسباب مقترنة بالجواز أو بالضرورة، فقدرة الله لا يمنعها شيء من أن يسلب النار عملها فلا تعود

---

(1) مختصر موقف العقل أو القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، مصطفى صبري، (ص32)، وانظر: الإنسان في الفلسفة الإسلامية، مني أحمد أبو زيد، (ص131).

(2) الإنسان في الفلسفة الإسلامية، مني أحمد أبو زيد، (ص131).

(3) المصدر السابق، (ص131).

(4) انظر: تهافت الفلاسفة، الغزالي، (ص234)، وانظر: إشارات المرام من عبادات الإمام، الإباضي، (ص258).

(5) الملل والنحل، الشهرستاني، (97/1)، و(178/2)، وانظر: القول الفصل، مصطفى صبري، (ص30).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محرقة، هذا ما ثبت من معجزة إبراهيم عليه السلام بأن النار لم تحرقه ولم تؤثر فيه بشيء، ومن هنا فإن الله الذي أوجد العديد من سلسلة الأسباب والعلل، ومن قدرته جعلها تؤثر، فإن الله قادرٌ على تعطيل هذه السلسلة من الأسباب والعلل، فهو سبحانه قادر على أن يسلب منها خاصية التأثير، مثل سلب قدرة احراق النار للشيء، وهذا ما حصل مع الخليل إبراهيم عليه السلام.

فلا تكون المعجزة خارقة بهذا الاعتبار، ولا يختل قانون السببية[1]، ومن خلال ما سبق؛ يتبين لنا أن هذا القول وكأنه يجمع بين ثبوت المعجزات وقانون السببية، وهو غير معتمد عند الأشاعرة، ويقولون بعدم ثبوته، وبطلانه بعقيدة العادة، ولعل مراده من النص السابق هو من عدم كون المعجزات خارقة أنها غير مخلة بقانون السببية، والذي يعد من أهم النواحي المهمة للمسألة لوجود سببها، ألا وهو إرادة الله، وإلا فالمعجزة تخرق العادة لتعطيل عمل سلسلة الأسباب[2].

وبعد هذا الأستعراض السابق لأسباب القول بعقيدة العادة يمكن القول بأمرين:

الأمر الأول: بيان وثبوت قدرة الله:

وهي على وجهين، الوجه الأول من كتاب الله، والوجه الثاني من سنة النبي ﷺ،

الوجه الأول: من كتاب الله:

فمن كتاب الله، فالله تكلم عن القدرة الربانية، وأنه لا يعجزه شيء لا في السماء ولا في الأرض، وأنه على كل شيء قدير، وذلك في أكثر من موضع، مبيناً قدرته الفائقة التي تبهر العقول، فقال سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:1]،" يخبر الله في هذه الآية أنه بيده ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما نافذ فيهما أمره وقضاؤه، وهو على ما يشاء فعله ذو قدرة لا يمنعه من فعله مانع، ولا يحول بينه وبينه عجز"[3]، "ولفظة "شيء" نكرة تفيد أن الله قادر عليه سواء صغر أم كبر، وجملة وهو على كل شيء قدير معطوفة على بيده الملك الذي هو صلة الموصول، وذلك لإفادة التعميم بعد التخصيص، لأن الجملة الأولى وهي بيده الملك أفادت عموم تصرفه في سائر الموجودات، وهذه أفادت عموم تصرفه

---

(1) القول الفصل، مصطفى صبري، "الهامش"، (ص30).

(2) المصدر السابق، وانظر: عقيدة العادة عند الأشاعرة، جابر السميري، (ص11، 10، 9).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (505/23).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في سائر الموجودات والمعدومات، إذ بيده إعدام الموجود، وإيجاد المعدوم"[1]، هذا بالنسبة لقدرة الله عموماً، أما عن قدرة الله على وجه الخصوص، فمثلاً، كثيرٌ ما يقرن الله بين إحيائه للموتى وبين إحياءه للأرض، ثم يختم سياق الآية موضحاً فيها قدرته المطلقة، وهذا موجود في القرآن في أكثر من موضع، فنذكر مثلاً واحداً من ذلك، قال الله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:39]، "بين الله في هذه الآية قدرته على إعادة الموتى، فالأرض التي لا نبات فيها جرداء بل هي ميتة، فإذا أنزل الله عليها الماء أخرجت من جميل ألوان الزورع والثمار، فالذي أحيا الأرض قادر على إحياء الموتى من قبورهم"[2]، ثم إن الله بين في كتابه أن قدرته فاقت ذلك، فهو الذي يعيد الخلق كما بدأه أول مرة قال الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم:27]، "فالذي خلق الخلق قادر على إعادة الخلق بعد موتهم، بل هو أهون عليه من إبتداء خلقهم وهذا بالنسبة إلى الأذهان والعقول، فإذا كان قادراً على الابتداء الذي تقرون به كانت قدرته على الإعادة التي أهون أولى وأولى"[3]، والله له القدرة المطلقة فهو إذا أراد شيئاً فإنما يقول له يكون يقول له كن فيكون، قال الله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل:77]، يخبر الله في الآية السابق عن كماله وقدرته على الأشياء، في علمه غيب السموات والأرض، واختصاصه بذلك، وفي قدرته التامة التي لا تخالف ولا تمانع، وأنه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، كما قال: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر:50]، أي: فيكون ما يريد كطرف العين وهكذا قال هاهنا: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل:77]، كَمَا قَالَ: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان:28].

---

(1) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، (8/15).

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (182/8).

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص640).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوجه الثاني: من سنة النبي ﷺ:

هذا شيء قليل من كتاب الله، وبعد ذلك ننظر في سنة النبي ﷺ فالسُّنة النبوية ذاخرة بالأحاديث التي تشير إلى قدرة الله، ونكتفي بذكر مثالين اثنين خشية الإطالة؛ فقد أخبر النبي ﷺ عن قدرة الله، وضرب أروع الأمثلة على ذلك فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَيْفَ يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ: "**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ" قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا**".[1]

هذا يصف حال الكافر يوم القيامة حينما يأتي مكباً على وجهه، وهنا استغرب الصحابة ﷺ كيف يحشر على وجهه، فأخبرهم النبي ﷺ أن الذي أمشاه على قدمين في الدنيا قادرٌ على أن يمشيه في الآخرة على وجهه، وهذا إن دلَّ فإنما يدلُ على قدرة الله سبحانه، بل هناك أحاديث تشير إلى أبعد من ذلك، فهذا الحديث التالي يبين لنا قدرة الله على جمع أجزاء الإنسان التي كونها؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "**أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا، قَالَ فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: خَشْيَتُكَ، يَا رَبِّ – أَوْ قَالَ مَخَافَتُكَ – فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ**[2]".

في الحديث السابق يوضح لنا أن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه على كل شيء قدير، فهذا الرجل الذي غرق في المعاصي ظن أنه بمنجاة من عذاب الله، وكأن الحرق وطحن الجثة يعجز الله، وكأنه يستخف بقدرة الله، لكن الله بكلمة كن فكان كما كان، وهنا تتجلى قدرة الله في إعادة الموتى التي يستخف بها بعض البشر من وجود البشرية، بل قولهم هذا يدل على جحودهم وكفرهم بالله، قال الله: ﴿**وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٖۚ بَلۡ هُم بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ**﴾ [السجدة:10]، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه ترجعون.

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الرقائق/ كيف يحشر، (109/8، حديث رقم6523)، ومسلم: صحيح مسلم، صفة القيامة والجنة والنار/ باب يحشر الكافر على وجهه، (2161/4، حديث رقم2806)].

(2) [مسلم: صحيح مسلم، التوبة/ في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه، (2110/4، حديث رقم2756)].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمر الثاني: إثبات معجزات الأنبياء:

قبل الشروع في الحديث عن المعجزة، فإنه لا بد من التعريف بالمعجزة، وهو على النحو الآتي:

أولاً: المعجزة لغة:

وأصل المعجزة من "العَجْز"، "والعَجْزُ الضعف، تقول: عَجَزتُ عن كذا، أعْجِزُ بالكسر عَجْزَاً ومَعْجِزَةً ومَعْجِزاً بالفتح "والعَجْزُ "نقيض الحزم"، و"المعجزة: واحد معجزات الأنبياء"[1]، وبالتالي فإن المعاني الواردة في المعجزة تدل على ضعف الخصم وتأخره وعدم قدرته على المواجهة بالشيء المتحدى به.

ثانياً: المعجزة اصطلاحاً:

هي ما يجريه الله على أيدي رسله وأنبيائه من أمور خارقة للسنن الكونية المعتادة التي لا قدرة للبشر على الإتيان بمثلها، كتحويل العصا إلى أفعى تتحرك وتسعى، فتكون هذه الآية الخارقة للسنة الكونية المعتادة دليلاً غير قابل للنقض والإبطال، يدلُّ على صدقهم فيما جاؤوا به[2].

وعليه فإننا نثبت معجزات الأنبياء، وأنها حقيقية وليست خيالية، وهي كما أخبر الله، فالمعجزة هي أمر خارق للسنن الكونية، يؤيد الله بها أنبياءه ورسله، ليقيموا بها الحجة الغالبة المعجزة لأقوامهم، ولقد كان للعلماء من المعجزات مواقف[3]:

الموقف الأول: فمنهم من اتخذ "الإنكار" سبيلاً، وجعل التكذيب له رزقا ومذهباً، وارتفق العناد دربا؛ فساء مرتفقا، وهؤلاء وأسلافهم وأخلافهم، هم من الذين قال الله فيهم: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** ﴾[يونس:39][4].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، (396/5)، "مادة عجز".

(2) الرسل والرسالات، عمر الأشقر، (ص121).

(3) المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل، عبد الفتاح إبراهيم سلامة، (ص160).

(4) انظر: المصدر السابق (ص160).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وزعم أن إنكاره يستند على ركيزتين من العلم التجريبي، والعقل المادي، والحق أنّ تكذيبه يقوم على الشطط الغرور، وخبل الأوهام، والعلم التجريبي شاهد عدل على كذب دعواه، والعقل البصير يجانبه ويجافيه[1].

وفي كل يوم نرى من جديد البحث العلمي التجريبي: ما يقوم آية ناطقة وحجة شاهدة على عجائب الصنع الرباني، وبدائع الإعجاز الإلهي، وهذه الكشوف تفسير بليغ، وتوضيح فصيح، لقول رب العزة: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:53]، أي سنظهر لهم دلالات صدق القرآن، وعلامات كونه من عند الله في أقطار السموات والأرض المشتملة على خلق الشمس والقمر والنجوم، وتعاقب الليل والنهار، وأحداث الكون الرهيبة من الأعاصير والبراكين والصواعق، وعظمة الجبال والبحار، وإبداع صنع النباتات والأشجار، وما يحدث في الأرض من فتوحات كبري على أيدي المسلمين في أرجاء الأرض المحيطة بمكة والجزيرة العربية، وهذا الإخبار عن الغيب معجزة[2].

وقوله سبحانه: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:20-21] أي: فيها من الآيات الدَّالَة على عظمةِ خالقها وقدرته الباهرة، ممَّا قد ذرأ فيها من صنوفِ النَّباتِ والحيواناتِ، والمهادِ والجبال، والقفارِ والأنهارِ والبحارِ، واختلافِ ألسنَةِ النَّاسِ وألوانهم، وما جبلوا عليهِ من الأرادات والقوى، وما بينهُم من التَّفاوتِ في العقولِ والفهومِ والحركات، والسَّعادةِ والشَّقاوةِ، وما في تركيبهم من الحكمِ في وضعِ كُلِّ عضوٍ من أعضائهم في المحلّ الَّذي هو محتاجٌ إليهِ فيه؛ ولهذا قال: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: قال قتادةُ: من تفكَّر في خلق نفسه عرف أنَّه إنَّما خلق وليّنت مفاصله للعبادة[3].

الموقف الثاني: وقف من "المعجزات" موقفاً يتذبذب بين الإيمان والجحود، فهو يؤمن ببعضها، ويكذب ببعض، فاتبع في إيمانه غير سبيل المؤمنين وهو إلى المكذبين أقرب، ومن المنافقين أكثر دنوا، ومن هذا الفريق بعض المتفلسفين، والذين زعموا أن في القرآن أخباراً لم تكن واقعا ملموسا في يوم من أيام هذه الدنيا، بل تواقح منهم من زعم أن في القرآن "أساطير فنية"، وإذا كان هؤلاء من عبيد الشهوة، فإن نقل هذيانهم إلى من لم يسمع بهم قد

---

(1) انظر: المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل، عبد الفتاح إبراهيم سلامة، (ص160).
(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، (16/25).
(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (419/7).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يبعث من "قبر الخمول" جيفا أحرى بها أن تظل في أجداثها مع البلى والدثور، وهؤلاء لا يؤمنون حتى يصدقوا موقنين بكل خبر جاء عن الله، أو صح عن إمام المرسلين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، فالفريق الأول يتمثل في الماديين الذين يعبدون أوهاما يسمونها بغير اسمها، ويصفونها بغير صفتها، والفريق الثاني يتمثل في أفراخ "الاستشراق" وعبيد "الاستغراب "وصبيان "التضليل" الذي يسمونه "تنصيراً"[1].

الموقف الثالث: وقف من المعجزات موقف التأويل، والتأويل أنواع وأشكال؛ فمنه ما يمت إلى الحقيقة بسبيل، ومنه ما ينتمي إلى التلبيس والتضليل،" وهذا هو الفريق الحق إن شاء الله وذلك لأنه ينهض على بيان الحجة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة"[2].

ولما كانت المعجزاتُ أموراً لا تقع غالبا تحت الحس، ولا تخضع لمألوف العقل البشري، ولا تجري على السنن المعتادة، أقدم نفر ممن جعلوا عقولهم آلهتهم على إنكارها، وحاول آخرون تأويلها، وهاكم شذرات من تفاصيلها؛ ونكتفي بذكر مثالين فقط خشية الإطالة:[3]

المثال الأول: تأويل ناقة صالح عليه السلام بأنها رمز:

أوّلوا ما ورد في القرآن عن ناقة صالح عليه السلام كقوله سبحانه: ﴿**هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [الأعراف:73]، فقالوا: هي رمز لحجة دامغة وسلطان قاهر، أذعن له القوم، وأولوا ما ورد في القرآن عن شربها في قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ**﴾ [الشعراء:155]، بأن معنى هذا الشرب هو أن هذه الحجة قد أبطلت جميع ما خالفها، وتغافلوا عن وصف القرآن لها بأنها ﴿**تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ**﴾ [الأعراف:73]، وقوله: ﴿**لَّهَا شِرْبٌ**﴾ [الشعراء:155]، وأنهم عقروها ﴿**فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا**﴾ [الشمس:14]، وكل هذا ينقض دعواهم[4].

المثال الثاني: تأويل الهدهد بأنه رجل وليس طيراً:

قرأوا ما ذكره الله في كتابه عن هدهد سليمان في قوله سبحانه: ﴿**وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ**﴾ [النمل:20]، واستبعدوا كيف يتكلم هذا الهدهد؟ وكيف

---

(1) المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل، عبد الفتاح إبراهيم سلامة، (ص161).
(2) المصدر السابق، (ص160).
(3) المصدر السابق، (ص165).
(4) المصدر السابق، (ص167، 166).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول لسليمان عليه السلام كما ذكر الله سبحانه: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل:22]، فقالوا: إن الهدهد رمز لرجل، أو أنه اسم لجندي من جنود سليمان عليه السلام، كانت مهمته أن يجمع له المعلومات، ولو أن هؤلاء فَهموا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ [النمل:20]، وقوله تعالى: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل:16]، وكانت لهم عقول يعلمون بها أن الهدهد طائر من هذا الطير لما قالوا بهذا، ولقد كان الطيرُ جنوداً لسليمان كما قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل:17][1].

موقف السلف:

وعليه فإن أصحاب المنهج السليم من السَّلف الصالح ومن تبعهم يؤمنون بالمعجزات الخارقة للسنن الكونية مثل قلب العصا ثعباناً، وإحياء الموتى وشق القمر، وإلى غير ذلك من معجزات الأنبياء عليهم السلام، ويثبتونها على حقيقتها، وفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله، من غير تأويلٍ فاسدٍ.

المطلب الثاني

ما ترتب على قول الأشاعرة بالعادة

عقيدة العادة رغم أنها صعبة في فهمها؛ بل إنها مخالفة لما يراه الناس بعيونهم ويلمسونه في واقعهم وحياتهم أثناء إجراء تجاربهم وإبداء ملاحظاتهم، ومع أن المسألة دقيقة جداً، وتحتاج إلى إمعان النظر فيها، وإلى بذل الجهد واستحضار الأفهام، وجمع كل القوى العقلية في فهمها، فإن الأشاعرة لم يلتمسوا العذر لمن خالف عقيدة العادة، أي في إثباتها، مع أن القرآن الكريم والسُّنة النبوية يرتكزان على إثبات السببية، وأنه لا يوجد شيء في الكون يتحقق إلا بالسبب، وأن من يقول بخلاف ذلك يخل بالأسباب، ومن يخل بالأسباب فقد خالف الشرع[2]، ومن هنا فإن الله سبحانه ربط الأسباب بمسبباتها، وجعل ذلك من حكمته، وبل كل الشرع أسباب ومسببات، وفي هذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله: "إنه سبحانه ربط الأسباب بمسبباتها شرعاً وقدراً، وجعل الأسباب محلّ حكمته في أمره الديني والشرعي، وأمره الكوني القدري ومحل ملكه وتصرفه، فإنكار الأسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات وقدح في العقول والفطر، ومكابرة للحسّ، وجحد للشرع والجزاء، فقد جعل

(1) المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل، عبد الفتاح إبراهيم سلامة، (ص 167).
(2) انظر: عقيدة العادة عند الأشاعرة، السميري، (ص11).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سبحانه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم؛ والثواب والعقاب والحدود والكفارات والأوامر والنواهي والحل والحرمة، كل ذلك مرتبطاً بالأسباب قائماً بها، بل العبد نفسه وصفاته وأفعاله سبب لما يصدر عنه، بل الموجودات كلها أسباب ومسببات، والشرع كله أسباب ومسببات، والمقادير أسباب ومسببات، والقدر جار عليها متصرف فيها، فالأسباب محل الشرع والقدر، والقرآن الكريم مملوء من إثبات الأسباب، كقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:105]، "أَيْ: فَيُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شرًّا فَشَرٌّ"[1]، وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:39]،" بيانٍ لأسباب الحكم عليهم، وأنهم ما وردوا هذا المصير الأليم إلا بسبب، ما اكتسبوه من آثام، واجترحوه من سيئات"[2]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الحج:10]" ذلك العذاب بسبب ما فَعَلْتَ من المعاصي واكتسبت من الآثام، والله لا يعذب أحدًا بغير ذنب"[3]، وقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:30][4].

فكيف لمن يفهم هذه الأمور والمعتقد لها أن ينتقل إلى عقيدة تخالف مخالفة كلية؛ ألا وهي عقيدة العادة، حيث يقال له: إن التوحيد والإيمان ناقصان، لا يكتملان ولا يتمان إلا على عقيدة تقوم على إنكار السببية، فمن أعظم الافتراء على الله وعلى الرسل هو أن يتوهم الناس على أن التوحيد ناقصٌ ولا يكتمل ولا يتم إلا على طائلة إنكار الأسباب والمسببات، وفي هذا يعلّق ابنُ القيم قائلاً: "ثم من أعظم الجناية على الشرائع والنبوات والتوحيد إيهام الناس أن التوحيد لا يتم إلا بإنكار الأسباب؛ فإذا رأى العقلاء أنه لا يمكن إثبات توحيد الرب سبحانه إلا بإبطال الأسباب، ساءت ظنونهم بالتوحيد وبمن جاء به، وأنت لا تجد كتابا من الكتب أعظم إثباتاً للأسباب من القرآن، وباللّه العجب! إذا كان اللّه خالق السبب والمسبب، وهو الذي جعل هذا سببا لهذا، والأسباب والمسببات طوع مشيئته، وقدرته منقادة لحكمه، إن شاء أن يبطل سببية الشيء أبطلها، كما أبطل إحراق النار على خليله إبراهيم، وإغراق الماء على كليمه وقومه، وإن شاء أقام لتلك الأسباب موانع، تمنع تأثيرها مع بقاء قواها، وإن شاء خلّى بينها وبين اقتضائه لآثارها، فهو سبحانه يفعل هذا وهذا وهذا، فأيّ قدح يوجب ذلك في التوحيد،

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (212/3).

(2) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سيد طنطاوي، (270/5).

(3) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، (333/1).

(4) شفاء العليل، ابن القيم، (ص188).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأي شرك يترتب على ذلك بوجه من الوجوه؟! ولكنّ ضعفاء العقول إذا سمعوا أنّ النار لا تحرق، والماء لا يغرق، والخبز لا يشبع، والسيف لا يقطع، ولا تأثير لشيء من ذلك البتة، ولا هو سبب لهذا الأثر، وليس فيه قوة، وإنما الخالق المختار يشاء حصول كلّ أثر من هذه الآثار عند ملاقاة كذا لكذا، قالت: هذا هو التوحيد، وإفراد الرب بالخلق والتأثير، ولم يدر قائل هذا أن هذه إساءة ظن بالتوحيد، وتسليط لأعداء الرسل على ما جاءوا به، كما تراه عيانا في كتبهم، ينفّرون به الناس عن الإيمان، ولا ريب أنّ الصديق الجاهل قد يضرّ ما لا يضره العدو العاقل. قال تعالى عن ذي القرنين: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف:84]"[1]، وأنه من الممكن أن يفصل بين النار وفعلها، وبين الموت وجز الرقبة، إلى غير ذلك من الأمور التي قد يحيل فَهم العقيدة إلى المستحيلات.

حكم الأشاعرة على من خالف عقيدة العادة عندهم:

ومع ذلك فإن الأشاعرة قد حكموا على من يخالف عقيدة العادة، بالكفر تارة، وبالفسق تارة، وبالتضليل أخرى، بل ويقولون بالإجماع على ذلك، وفي هذا المعنى يقول البوطي: "وإذ قد ثبت الدليل القطعي على ما قلناه، فقد كان جحود ذلك كفرًا بإجماع المسلمين"[2]، فالبوطي يدعي أن الأدلة القطعية ثابتة على اما دعاه، ولذا فهو يحكم على الجاحد بالكفر، بل ويقول: إن ما قاله هو من إجماع المسلمين، والدليل القطعي الذي ذكره هو نفس ما ذكرناه من عدم نسبة التأثيرات إلى السببية وإن من يثبت السببية يترتب عليه الكفر بالمعجزات والنبوات.. إلخ، ويقول في مكان آخر: " ولعلك تسأل بعد هذا استعمال المسلم ألفاظًا تعبر عن سببية بعض الأشياء وتأثيرها كقول القائل: لقد نفعني هذا الدواء وشفاني هذا الطبيب، وأينع الزرع بكثرة الأمطار، فالجواب أن ذلك إذا صاحب اعتقادًا بتأثير واحد من هؤلاء فهو كفر بالاتفاق"[3]، وهذا يعني أنه لا وسطية بين الله وهذه النتائج؛ فالماءَ مثلاً وجوده كعدمه بالنسبة للإنبات، ولكن هو موجود شكلاً، وقس على ذلك في سائر الأسباب والمسببات[4].

وهذا الكلام يخالف ظاهر القرآن الكريم، فالله ربط بين الأسباب والمسببات، والقرآن

---

(1) شفاء العليل، ابن القيم، (ص189).

(2) كبرى اليقينيات الكونية، البوطي، (ص313)، وانظر: الملل والنحل، الشهرستاني، (178/1).

(3) كبرى اليقينيات الكونية، البوطي، (ص314)، والملل والنحل، الشهرستاني، (178/2،).

(4) انظر: عقيدة العادة عن الأشاعرة، السميري، (ص12).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مملوء من إثبات الأسباب، مثلا لولا نزول الماء لم يكن هناك نباتٌ قال: الله سبحانه مخبراً عن ذلك: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:57]، وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾ [النبأ:14-15]، وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق:9]، فمن الملاحظ في الأمثلة السابقة أن الله رتب في كل موضع فيه الحكم الشرعي، حيث أفاد كونه سبباً، في هذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله: "وكلّ موضع رتب فيه الحكم الشرعي أو الجزائي على الوصف، أفاد كونه سببا له" [1].

وذهب بعض الأشاعرة إلى التفصيل، وأطالوا النفس في الحكم على المخالف، وكأنهم يرون أن المسألة فيها من الغموض ما يفرض على الحاكم أن يكون مستبصرًا بمسائل الخلاف، وبمجاري البحث والتحدي، قال: البيجوري: "..فمن اعتقد أن الأسباب العادية كالنار والسكين والأكل والشرب تؤثر في مسبباتها كالحرق والقطع والشبع والري بطبعها وذاتها فهو كافر بالإجماع، أو لقوة خلقها الله فيها ففي كفره قولان، والأصح أنه ليس بكافر بل فاسق مبتدع، ومن اعتقد أن المؤثر هو الله لكن جعل بين الأسباب ومسبباتها تلازمًا عقليًا بحيث لا يصح تخلفها فهو جاهل، وربما أوقعه ذلك في الكفر، فإنه قد ينكر معجزات الأنبياء لكونها على خلاف العادة، ومن اعتقد أن المؤثر هو الله وجعل بين الأسباب والمسببات تلازمًا عاديًا؛ بحيث يصح تخلفها الناجي إن شاء الله تعالى"[2]، فهذه أربعة فرق اختلفت؛ وكل فرقة يحكم عليها بما تعتقده[3].

فالفرقة الأولى: وهي التي تقول وتجعل الطبائع مستقلة، ولعلها تنكر أي أثر لقدرة الله سبحانه وتعالى في المسببات فهؤلاء هم الطبائعيون الذين لا خلاف في كفرهم وهم الذين ذكرهم وأشار إليهم الإمام الشاطبي في قوله: "فالالتفات إلى المسببات بالأسباب له ثلاث مراتب، إحداها، أن يدخل فيها على أنه فاعل للمسبب أو مولد له، فهذا شرك أو مضاه له،

---

(1) شفاء العليل، ابن القيم، (ص188).

(2) شرح الجوهرة التوحيد، البجوري، (ص98)، وانظر: عون المريد شرح الجوهرة، عبد الكريم تنان، ومحمد أديب الكيلاني (556/2).

(3) انظر: عقيدة العادة، السميري، (ص13).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والسبب غير فاعل بنفسه، قال الله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ [الزمر:62]، وقال الله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات:96]، وَفِي الْحَدِيثِ قال رسول الله ﷺ: "**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ**"[1]، فإن المؤمن بالكوكب الكافر باللَّهِ هو الَّذي جعل الكوكب، فاعلًا بنفسه[2].

ويؤكد شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله هذا المعنى بقوله: "وإن فسر التأثير بأن المؤثر مستقل بالأثر من غير مشارك معاون ولا عائق مانع، فليس شيء من المخلوقات مؤثرًا، بل الله وحده خالق كل شيء فلا شريك له ولا ند له فَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ قال الله: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [فاطر:2]، وقال: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾ [سبأ:22]، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:23]، ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:38][3] إذن الطبائع بنفسها لا تفعل إلا بإذن الله[4].

أما الفرقة الثانية: وهي التي تقول أن الله أودع في كل شيء قوة كامنة فيه، فذكر أنهم اختلفوا فيه فمنهم من يكفروه، ومنهم من يفسقه، وكلا الحكمين يعني بأنه ليس في الأشياء طبائع ومعاني يميزها عن بعضها البعض، وهناك حكم آخر أطلقه الغزالي، ويفهم منه جواز اعتقاد ذلك دون تخوف على العقيدة يقول البوطي: "غير أن الإمام الغزالي لايرى تنافيًا بين أن تكون الأسباب الكونية جعلية، وبين أن يكون فيها تأثير أودعه الله ﷻ فيها يسلبه عنها عندما يشاء، وهو يرى أن هذا هو الحق أي فالمسألة ليست مسألة مقارنة مجردة"[5]، وهذا القول لا ينسجم أبداً مع القول الذي يلغي طبائع الأشياء، فهو على نقيض مَنْ قال بالعادة فعقيدة العادة كما تبين هي مجرد مقارنة دون تأثير، وكلام الغزالي مقارنة مع التأثير، وهذا

---

(1) {البخاري: صحيح البخاري، الأذان/يستقبل الإمام الناس إذا سلم، (333/2، ح846)، ومسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، (1/ 83-84، ح 71)}.

(2) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (321/1، 322).

(3) مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية، (330/5)، وانظر: له مجموع الفتاوى، (134/8).

(4) انظر: عقيدة العادة، السميري، (ص13).

(5) كبرى اليقينيات الكونية، البوطي، (ص309)، وانظر: المستصفى من أصول الفقه، الغزالي، (92/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يدل على أن الغزالي متردد في قوله بعقيدة العادة، وهو كما قال أبو ريان: "وقد عبّر الغزالي في قوة المذهب الأشعري حينما انتقد مبدأ السببية، وذكر أن اعتقادنا بالسببية إنما يرجع إلى العادة"[1]، ويؤمن الغزالي بأن الأسباب مسخّرة بعلم الله يقول: "والأدوية أسباب مسخرة لعلم الله تعالى كسائر الأسباب، فكما أن الخبز دواء الجوع، والماء دواء العطش، وكل ذلك بتدبير مسبب الأسباب"[2].

وأما الفرقة الثالثة: وهي الفرقة التي تقول وتجعل الاقتران ضروريًا بين الأسباب ومسبباتها، وأن الأسباب لا تؤثر إلا بإذن الله تعالى، وأنه متى صحت الأسباب ترتب عليها المسببات، ولا تتخلف المسببات إلا بنقص في الأسباب، فهذه الفرقة جاهلة بهذا الاعتقاد، وإن اعتقدت بناء على ضرورة الاقتران الحاصل من الأسباب امتناع المعجزات وعدم النبوات فهي كافرة؟ ولكن أليس بالإمكان أن يكسر الله سبحانه هذه الضرورة ويسلب هذا الاقتران بين الأسباب والمسببات، وتكون الخارقة للعادة، فلا يترتب على ذلك كفر ولا جهل[3].

أما الفرقة الرابعة: وهي الفرقة المرضى عنها؛ وهي القائلة بعقيدة العادة الفاسدة، وهي التي لا ترى في الأشياء طبائع ولا معاني لها أي أثر، ولذا قال الإمام الشاطبي: "أن يدخل في السبب على أن المسبب من الله تعالى؛ لأنه المُسبِّب فيكون الغالب على صاحب هذه المرتبة اعتقاد أنه مسبب عن قدرة الله وإرادته، من غير تحكم لكونه سببًا، وحاصله يرجع إلى عدم اعتبار السبب في المسبب من جهة نفسه، واعتباره فيه من جهة أن الله مسببه وذلك صحيح"[4]، وهذا الذي ذكره الإمام الشاطبي هو في حالة الاقتران العادي بين الأسباب ومسبباتها، وعند النظر إليهما على أنهما من الله سبحانه، ولم يستقل السبب بنفسه، وإن كان لا بد من وجود السبب حتى يوجد المسبب، لوجود المطر بالنسبة للزرع؛ فالأشاعرة تثبت السبب العام ولا تعترف بالأسباب الفاعلة بإذن الله، ولهذا قال سليمان دنيا: وهو يفرق بين فَهم الأشاعرة للأسباب وفَهم الوضعيين -أصحاب المذهب الوضعي الذي لا يوقن إلا بالمحسوس-: "فالأشاعرة إذا كانوا ينفون سببية الأشياء بعضها في بعض؛ فإنهم لا ينفون السببية العامة"[5]، وهي أن الله خالق الأسباب والمسببات.

---

(1) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أبو ريان، (ص494).

(2) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، (285/4).

(3) انظر: عقيدة العادة عند الأشاعرة، السميري، (ص14).

(4) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، (148/1).

(5) التفكير الفلسفي الإسلامي، سليمان دنيا، (ص193)، وانظر: عقيدة العادة، السميري، (ص15، 14).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

نقض عقيدة العادة في ضوء منهج السَّلف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

نقض علماء السَّلف لعقيدة العادة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول

نقض مفهوم العادة

قبل بيان مدى مخالفة عقيدة العادة لمنهج السَّلف، فإنه يتطلب منا أن نعرج على مفهوم العادة عامة:

أولاً: تأكيد الأشاعرة على عقيدة العادة، يفسد دليل الوجود المبنيِّ على قياس الغائب على الشاهد، ذلك أن نفي الأسباب في الشاهد ليس له سبيل إلى إثبات سبب فاعل في الغائب، ذلك أن نفي خصائص المخلوقات، لا يساعد على معرفة وجود بل يكون سبباً إلى معرفة الله، وفي هذا المعنى يقرر ابن رشد: "والقول بنفي الأسباب في الشاهد ليس له سبيل إلى إثبات سبب فاعل في الغائب، لأن الحكم على الغائب من ذلك إنما يكون من قبل الحكم بالشاهد فهؤلاء لا سبيل لهم إلى معرفة الله سبحانه وتعالى"[1].

ثانياً: ولنرى هذا اللفظ الذي أطلقه الأشاعرة؛ هل يحمل معنى أم أنه من الألفاظ المجملة، وهل هو ذات صلة باللغة وبالواقع، أما أنه من الألفاظ المموهة التي لا تعطينا فائدة علمية فضلاً عن عقدية، وعند التحقيق تجد أنه لفظٌ مموهٌ بل لفظٌ وضعيٌ، إذا طبق على الموجودات يلغي الحكمة أصلاً، وحول هذا المعني يقول ابن رشد: "فهو لفظ مموه إذا حقق لم يكن تحته معنى إلا أنه فعل وضعي مثل ما نقول: جرت عادة فلان أن يفعل كذا وكذا يريد أنه يفعله في الأكثر، وإن كان هذا هكذا؛ كانت الموجودات كلها وضعية ولم يكن هناك حكمة أصلاً من قبلها ينسب إلى الفاعل أنه حكيم"[2]، فيبين ابن رشد من خلال كلامه أن لفظ العادة من الألفاظ المموهة، التي إذا حقق لم يكن تحته أي معنى، غير أنه من الأفعال الوضعية الدارجة على الألسن في حياة الناس، كأن يقال: إن الطبيب الفلاني من عادته كذا وكذا، ومربي الأسرة من عادته كذا وكذا، وهكذا، وإذا كان الأمر هكذا، كانت كل المخلوقات وضعية، وإذا كانت المخلوقات كلها وضعية، لم يكن هناك حكمة من قبل ذلك تنسب إلى الفاعل أنه حكيم[3].

---

(1) الكشف عن مناهج الأدلة، محمد عابدي الجابري، (ص193).

(2) تهافت الفلاسفة، ابن رشد، (786/2).

(3) انظر: عقيدة العادة عند الأشاعرة، السميري، (ص16).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويزيد ابن رشد البيان وضوحاً، فيبين أن هذا اللفظ ما يجوز منها وما لا يجوز فيقول: "ومحال أن يكون لله تعالى–عادة، فإن العادة ملكة يكتسبها الفاعل، توجب تكرر الفعل منه على الأكثر"[1].

ولكن يجوز بدلاً من كلمة العادة بالنسبة لله أن يستخدم كلمة "السُّنة" فيقول قال الله: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:77]، وقوله: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر:43]، فهو يرى أن كلمة السُّنة بالنسبة لله لا تتبدل ولا تتحول أبدًا ودائمًا، أما "كلمة عادة" فإنها لم تطلق على الله في الكتاب ولا في السُّنة، وهي لا تفيد إلا الأكثر، وتدل على الملكة المكتسبة وكل ذلك لا يليق بالله سبحانه[2].

ويؤيد هذا القول ما جاء في تفسير ابن كثير عند قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر:43]، فقال رحمه الله "أي تلك سنة الله وطريقته لَا تُغَيَّرُ ولَا تُبَدَّلُ، بل هي جارية كذلك في كل مكذب"[3].

إذاً: لفظ العادة من الألفاظ المموهة التي لا تعطي فائدة، من خلال بيان ابن رشد لهذا اللفظ ما يجوز منها وما لا يجوز، ثم استبعد أن يكون لله عادة، ولكن يجوز أن يطلق بدلاً من كلمة "عادة" كلمة "سنة"، فلا يُقال عادة الله في خلقه، بل يُقال سنة الله خلقه، وهذا ما عبّر به القرآن كما مرّ معنا، ذلكم أن سُنة الله لا تتغير ولا تتبدل ولا تتحول، لكن لفظ "عادة" توهم أنها تتغير وتتبدّل، ويشهد لهذا الواقع، فربما يكون من عادة فلان في صغره على خلق معين، لكن مع تقدم السنّ يغير هذا الخلق، وهكذا الرأي، لكن سنة الله ثابتة لا تتغير فالمخلوقات هي هي منذ وجود الخليقة، فالليل هو الليل والنهار هو النهار...إلخ.

ويؤكد ابن حزم هذا المعنى السابق ويبين مدى فساده وذلك بقوله: "وهذا المذهب الفاسد جعلهم ؟ على أن سموا ما تأتي به الأنبياء من الآيات المعجزات خرق العادة؛ لأنهم جعلوا امتناع شق القمر، وشق البحر وسائر معجزاتهم إنما هي عادات فقط، فمعاذ الله من هذا، ولو كان ذلك عادته لما كان فيها إعجاز أصلاً؛ لأن العادة في لغة العرب الدأب والدين والديدن ألفاظ مترادفة على معنى واحد في أكثر استعمال الإنسان له، مما لا يؤمن تركه إياه ولا ينكر زواله عنه، بل هو ممكن وجود غيره ومثله بخلاف الطبيعة التي الخروج عنها ممتنع"[4].

---

(1) تهافت الفلاسفة، ابن رشد، (786/2).

(2) المصدر السابق.

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (560/6، 559).

(4) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، (11/5)، وانظر: لسان العرب، ابن منظور، (152/13، 151).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فذهب ابن حزم رحمه الله إلى بطلان هذا اللفظ وفساده، ثم إن هذا القول الفاسد دفعهم إلى أن يقول يصفوا ويسمّوا ما جاء به الأنبياء والرسّل من معجزات، كشق القمر، وشق البحر، وقلب العصى ثعباناً، إلى غير ذلك من المعجزات التي أيّد الله بها رسله، هي عادات وليست معجزات، فمعاذ الله أن تكون هذه المعجزات التي هي صحيح خرقاً للعادة المألوفة عند الناس، هي عادة، وذلك لو قلنا عن هذه المعجزات عادة؛ ما كان هناك معنى للإعجاز أصلاً، وذلك أن العادة في لغة العرب هي الدأب والديدن والدين، هي ألفاظ مترادفة تعطي معنى واحد، في استعمالات الناس في حياتهم، والذي لا يمكن زواله عنهم، بخلاف الطبيعة التي هي الخروج عنها مستحيل وممتنع.

وعلى هذا القول فإنه لا يصح أن يطلق على خلق الله للأشياء والمسببات عادة، وكذلك على الأثر الطبائعي لأن أثرها يبقى مستمرًا ما بقيت هي ولهذا يتساءل ابن رشد عن معنى عقيدة العادة فيقول: "فما أدري ما يريدون باسم العادة؟ هل يريدون أنها عادة الفاعل أو عادة الموجودات"[1]، ويتوصل إلى نتيجة مفادها " وإن أرادوا أنها عادة الموجودات فالعادة لا تكون إلا لذي النفس، وإن كانت في غير ذي النفس فهي في الحقيقة طبيعية"[2]، وهذا تفريق منه بين العادة والطبع فالعادة في كل ذي نفس، والطبع في كل ذي غير نفس، وإن كان يلحق أيضًا بكل ذي نفس "وإما أن تكون عادة لنا في الحكم على الموجودات هذه العادة ليست شيئًا أكثر من فعل العقل الذي يقتضية طبعه وبه صار العقل عقلاً"[3]، فكأن عادة العقل هي طبعه وهو الفعل الصادر عنه وهو الذي أطلق عليه الأشاعرة العادة واعتبروه جائزًا لا ضروريًا واعتبره غيرهم ضروريًا واجبًا وهو الأثر الذي يتركه السبب في مسببه وهي السببية.

ثالثاً: لم يوافق ابنُ رشد الأشاعرة في إنكارهم للضرورة واستبدالها بالعادة، فأكد على مبدأ السببية بين المحسوسات، والأفعال الإنسانية، واعتبر أن العقل له دوره المعرفي والفكري في العلوم، فالعقل لا يكتفي بالملاحظة فقط، بل له أن يناقش بين العلاقات الترابطية بين الأشياء والأسباب حتي يفسرها تفسيراً علمياً، ومن هنا يتساءل ابن رشد عن وظيفة العقل، إذا ما نفينا عنه للسببية[4].

---

(1) تهافت التهافت، ابن رشد، (ص786)، الصلة بين الزيدية والمعتزلة، أحمد عبد الله عارف، (ص231).
(2) تهافت التهافت، ابن رشد، (ص786)، الصلة بين الزيدية والمعتزلة، أحمد عبد الله عارف، (ص231).
(3) تهافت التهافت، ابن رشد، (ص786)، وانظر: الفكر التربوي عند المتكلمين المسلمين، أحمد عرفات القاضي، (ص193، 166، 167).
(4) انظر: تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي، (782/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً: هل من المعقول أنه لا يوجد فروق بين المخلوقات، حيث إن الله هو الذي خلق الخلق، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى، أي هداهم إلى صراط مستقيم، وخصّ كل واحد بما يناسبه من حياته المعيشية، "هذه الطبائع والعادات مخلوقة خلقها الله ﷻ، فرتب الطبيعة أنها لا تستحيل أبداً، ولا يمكن تبدّلها أبداً عند كل ذي عقل، كطبيعة الإنسان أن يكون ممكناً له التصرف في، العلوم، والصناعات، إن لم يعترضه آفة، وطبيعة الحمير والبغال بأنه غير ممكن منهم ذلك، وكطبيعة البُر أن لا ينبت شعيراً ولا جوزاً، وهكذا كل ما في العالم، والْقَوْم مقرون بِالصِّفَات، وهِي الطبيعة نَفسهَا"[1].

ومن هنا يتضح لنا خطورة استخدام كلمات، وألفاظٍ معينة لم ترد في الشريعة الغراء، ولم ترد لا في كتابٍ ولا في سُنةٍ، ومنحها مفهومًا ومصطلحاً عقديًا؛ ثم إصدار الحكم على مَنْ خالف في هذا المفهوم بالكفر تارةً وبالتضليل تارةً أخرى، وقد يقال: لا مشاحة في الاصطلاح؛ ولكن إذا فهم المعنى، تقلصت الفتنة وخاصة في مجال الدين والاعتقاد[2].

المطلب الثاني

مخالفة عقيدة العادة للتوحيد

قبل أن نتحدث عن مخالفة عقيدة العادة للتوحيد، فلابدّ أنّ نبيّن فضل علم التوحيد، والتعريف بالتوحيد لغةً واصطلاحاً:

أولاً: التوحيد لغةً واصطلاحًا:

التوحيد مصدر وحَّدَ يوحِّد توحيداً، يُقال: وحَّدهُ وأحَّدَهُ، كما يقال ثنَّاهُ وثلَّثهُ، ووحّد الله أي: جعله واحدًا، واعتقد وحدانيتَه سبحانه، وأنه ليس اثنين ولا ثلاثة ولا أكثر من ذلك[3].

أما تعريف التوحيد عند أهل السُّنة قاطبةً دون خلاف فهو ما عرفه به السفاريني– رحمه الله– الرسالة الوافية لمذاهب أهل السُّنة في الاعتقادات فقال: "التوحيد هو إفراد الله بالعبادة ذاتًا وصفاتًا وأفعالاً"[4].

والتوحيد أول ما يدخل به في الاسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال: النبي ﷺ.

---

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، (12/5).
(2) انظر: عقيدة العادة عند الأشاعرة، السميري، (ص17).
(3) انظر: الصحاح، الجوهري، (ص5657).
(4) لوامع الأنوار البهية، السفاريني، (57/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: فضل علم التوحيد:

فعلم التوحيد هو أشرفُ العلوم، وأجلُّها قدرًا، وأوجبُها مطلبًا؛ لأنه العلم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وحقوقه على عباده، ولأنه مفتاح الطريق إلى الله تعالى، وأساس شرائعه ولذا؛ أجمعت الرسل على الدعوة إليه، قال الله تعالى: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ**﴾ [الأنبياء:25].

وشهد لنفسه –تعالى– بالوحدانية، والعبودية، وشهد بها له ملائكته، وأهل العلم، قال الله تعالى: ﴿**شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ**﴾ [آل عمران:18]، ولما كان هذا شأن التوحيد؛ كان لزامًا على كل مسلم أن يعتني به تعلُّمًا، وتعليمًا، واعتقادًا؛ ليبني دينه على أساس سليم، واطمئنان، وتسليم، يسعدُ بثمراته، ونتائجه[1].

وعليه فالعقيدة هي ما يعتقده الشخص في قرارة نفسه، ويعقد العزم عليه، ويراه صحيحاً سواء أكان صحيحاً؛ في حقيقة الأمر أم باطلاً.

ومن هنا فإن عقيدة السَّلف التي يعتقدونها في قرارة أنفسهم؛ وقد عقدوا العزم على العمل بها هي جملة ما أخذوه عن كتاب الله وسنة نبيه وهو الاعتقاد الصحيح والواقع الحق الذي لا يزيغ عنه إلا هالك، بخلاف عقائد غيرهم الذين خلطوها بعلم الكلام وآراء الفلاسفة؛ فجاءت نتاجاً مشوهاً خصوصاً في ما يتعلق بأسماء الله وصفاته، وبعضهم لم يقف عند هذا الحد بل تعدى هذا الخطأ إلى أخطاء أخرى تتعلق بالنبوات وبالسمعيات بسبب تأثرهم بالأفكار المنحرفة؛ فإذا بعقائدهم تقوم على خليط من الآراء والأفكار المنحرفة بأدلة متنوعة؛ إما من القرآن الكريم الذي حرفوا معانيه وأولوها لتوافق أهواءهم، أو من السُّنة النبوية التي لا يميزون في قبولها بين الصحيح والضعيف والمكذوب وغيره؛ سواء أكان بسند أم بغير سند ولا يهمهم من الراوي إلا أن يكون على وفق معتقدهم، أو من المكاشفات التي يزعمون أن الله يخاطبهم بها، أو من الأحلام المنامية أو من التقائهم برسول الله ﷺ يقظة لا مناماً؛ كما يدعون كذباً وزوراً، أو من العلم اللدني الذي يقذفه الله في قلوبهم كما يدعون، أو من الخرافات والأساطير التي لم ينزل الله بها من سلطان، لأن كل ذلك في ميزان السَّلف أمور مرفوضة لانقطاع التشريع بموت الرسول ﷺ ولم يبق في مفهوم السَّلف إلا الاجتهاد حول فهم النصوص واستخراج الحق منها[2].

---

(1) انظر: نبذة في العقيدة الإسلامية "مطبوع ضمن كتاب الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين، (ص29).

(2) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، غالب عواجي، (131/1، 130).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن منهج السَّلف في مسائل الاعتقاد والاستدلال لها يقوم على إيمانهم بكل ما ثبت دليله من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ؛ إيماناً راسخاً ظاهراً وباطناً.

والطريق الواضح؛ هو ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ عن ربه تاماً كاملاً الذي لا يقبل الله ديناً سواه، قال الله: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾ [المائدة:3]، وقوله: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾ [النساء:65].

ومن هنا جعل السَّلف هذه الآية هي أساس منهجهم وأبرز صفاتهم؛ فكانوا المثل الأول في التسليم لنصوص الشرع؛ لاعتقادهم أن التسليم هو الطريق الذي فيه النجاة والفوز.

ومن هنا لا بدّ من الاهتمام بالتوحيد الذي من أجله أرسل الله الرسل، قال الله: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ**﴾ [النحل:36]، ومنهم النبي ﷺ، ولهذا الأحكام الشرعية لم تفرض إلا في المدينة، أم العهد المكّي كان لتقرير التوحيد، وترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس الصحابة الكرام، ومكث النبي صلى الله عه وسلم، قرابة ثلاثة عشر عاماً، وهو يؤكد على التوحيد، وسار عليه في المدينة حتى في آخر حياته؛ بل في آخر أيامه، وهذه جندب ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ، قبل أن يموت بخمس وهو يقول "**أَلَا وَإِنّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلَا فَلَا تَتَّخِذوا القُبُورَ مَسَاجِدَ إِنّي أَنْهاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**[1]"، هذا في آخر الأيام، وفي آخر اللحظات أيضاً، ولذلك قالت عائشة – رضي الله عنها– قالت: لمَّا نَزَلَ برسُول ﷺ طفق يطرح خَمِيْصَةً لَهُ علَى وَجهه، فإذا اغْتَم كشفها عن وجهه فقال –وهو كذلك–: "**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورِ أَنْبِيَائِهِمْ مَساجِدَ**"، يحذر ما صنعوا[2]، بل لمّا كان النبي ﷺ، يرسل دعاته ورسله يأمرهم أوّل ما يدعوهم إليه هو التوحيد، فعن ابن عباس: أن معاذاً قال بعثني رسول الله ﷺ، قال: "**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهلِ الكِتَابِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَا اللهُ وَأَنّي رَسُولُ اللهِ**[3]"، لأن التوحيد يُنتقل معه إلى غيره ولا يُنتقل منه إلى غيره، مثلاً ننتظر الصلاة إلى الصلاة، ثم إلى الزكاة، ثم إلى الصيام، وهكذا في سائر الفرائض، ننتقل من عبادة إلى عبادة أخرى، إلا في التوحيد، لا

---

(1) [مسلم: صيح مسلم، المساجد ومواضع الصلاة/ النهي عن بناء المسجد على القبور...، (256/23، ح532)].

(2) [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/ مَرَضِ النبي ﷺ ووفاته، (755/64، ح4444)].

(3) البخاري: صحيح البخاري، الزكاة/ وجوب الزكاة، (224/24، ح1395)، مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، (37/29، ح19)].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يمكن البتة أن ننتقل منه أي التوحيد إلى غيره، لأننا لو انتقلنا من التوحيد إلى غيره، من الممكن؛ بل من المؤكد أن نقع في الكفر والشرك والضلال.

ولهذا الأنبياء عليهم السلام جعلوا التوحيد المحور الأساسي، وهكذا النّبي ﷺ، وهو الهدف والغاية في القوة والضعف، وفي العهد المكي والمدني؛ بل في الغزوات، وذلك أن الموحّد إذا كان التوحيد راسخاً في قلبه انساق وانقاد إلى كل الشرائع والأحكام، ولذا نجد أن الله أخبر أن الشريعة ثقيلة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل:5]، هذه الأحكام لا يمكن للنفوس أن تتقبلها، لكن يقبلها من عَمَّرَ التوحيد قبله، وفي كل نواحي حياته، ولهذا قصة تحريم الخمر التي كانت تشاركهم في حياتهم، لكن النفوس عندما تربت على التوحيد، قال الله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:91]، قالوا: انتهينا ربَّنَا[1]، هذا الذي يصنعه التوحيد، انتهوا من شرب الخمر فور نزول وسماعهم لهذه الآية، وهذا الذي حصل مع سحرة فرعون جاءوا في أول النهار يحادون الله ورسوله، جاءوا يريدون الرتب والمناصب، قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الأعراف:113]، هذا في بداية الأمر، ولما استقر التوحيد في قلوبهم فماذا كانت النتيجة، قال الله تعالى: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأعراف:118-121]، في أول النهار كانوا كفرة كانوا فجرة وفي آخر النهار صاروا بررة صاروا شهداء لله، فإن النفوس بعد التوحيد تكون الأوامر في غاية السهولة.

والتوحيد هو الغاية من وجودنا قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]، أي: إلَّا ليوحِّدونِ[2].

ومن هنا من أراد العز والمجد والدولة، فعليه بالتوحيد، فلن تقوم للأمة دولة ولا مجد ولا عزة، إلا إذا حققت التوحيد، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور:55]، أي: لا يعبدون إلها غيري[3].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (180/3).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (56/17).

(3) المصدر السابق، (300/12).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مخالفة الأشاعرة للتوحيد والرد عليهم:

وعليه ولو نظرنا لـــ"عقيدة العادة"، التي قالت بها الأشاعرة، لوجدناها تخالف التوحيد الذي جاء به الأنبياء والرسل جملةً وتفصيلاً، فهي كما سبق تقوم على إنكار الأسباب، وإيهام الناس أن التوحيد ناقص لا يتم إلا بإنكار الأسباب، والقول بإنكار الأسباب، ليس له سبيل إلى إثبات سبب فاعل في الغائب، ولذا يقول ابن رشد: "والقول بنفي الأسباب في الشاهد ليس له سبيل إلى إثبات سبب فاعل في الغائب، لأن الحكم على الغائب من ذلك إنما يكون من قبل الحكم بالشاهد فهؤلاء لا سبيل لهم إلى معرفة الله تعالى"[1]، وهذا يؤدي بهم إلى إنكار الخالق سبحانه وتعالى.

ولا يخفى أن أقوى الأدلة التي استدلت بها الأشاعرة على وجود الله وإثبات صفاته هو قياس الغائب على الشاهد يقول الإيجي: "احتج الأشاعرة بوجوه، الأول: ما اعتمد عليه القدماء، وهو قياس الغائب على الشاهد، فإن العلة والحد والشرط لا يختلف غائبًا وشاهدًا"[2].

فقولهم: بعقيدة العادة الفاسدة يبطل عليهم أدلتهم في معرفة الله ويقول ابن القيم رحمه الله:" ثم من أعظم الجناية على الشرائع والنبوات والتوحيد إيهام الناس أن التوحيد لا يتم إلا بإنكار الأسباب"[3].

فيبين ابن القيم رحمه الله؛ أن من أعظم الافتراء على دين الله وما جاء به الأنبياء، أن التوحيد الخالص يكمن في إنكار الأسباب، فكيف إذا حكم على مثبت الأسباب بالكفر والضلال وهو موحد مؤمن !![4].

أي المخلوقات موجودة بسبب وجود الخالق، فالله سبحانه وتعالى مسبب الأسباب، والعادة في نظرهم هي سلب الأشياء القدرة على الفعل، لأنه لو أثبتنا لهم القدرة يصبحون شراكاء لله في الفعل، لذا اقتضت العادة مجاورة الأسباب للمسببات فقط.

ويؤكد شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله مبيناً أن من أنكر الأسباب التي أودعها الله في المخلوقات كقدرة العبد وغير ذلك من الأسباب أن وجودها كعدمها؛ فلا شك أنه أنكر وجحد الخالق فيقول رحمه الله " ومن قال: إن قدرة العبد وغيرها من الأسباب التي خلق الله

---

(1) الكشف عن مناهج الأدلة، ابن رشد، (ص 193، 166، 167).

(2) المواقف في علم الكلام، الإيجي، (ص280)، وانظر: له، الإرشاد، (ص73).

(3) شفاء العليل، ابن القيم، (ص189).

(4) المصدر السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بها المخلوقات ليست أسبابًا، أو أن وجودها كعدمها، وليس هناك إلا مجرد اقتران عادي، كاقتران الدليل بالمدلول فقد جحد ما في خلق الله وشرعه من الأسباب والحكم والعلل، ولم يجعل في العين قوة تمتاز بها عن الخد تبصر بها"[1].

ثم يتابع ابن القيم رحمه الله قوله موضحاً عقيدة العادة عند الأشاعرة أن العقلاء إذا رأوا أن التوحيد لا يتحقق إلا بإبطال الأسباب، فإن هذه العقيدة تؤدي إلى إساءة الظن بالتوحيد، وتعد –أيضاً– تسليطًا لأعداء الرسل على ما جاءوا به فإذا رأى العقلاء أنه لا يمكن إثبات توحيد الرب سبحانه إلا بإبطال الأسباب ساءت ظنونهم بالتوحيد وبمن جاء به؛ فيقول رحمه الله" ولكن ضعفاء العقول إذا سمعوا أن النار لا تحرق والماء لا يغرق والخبز لا يشبع والسيف لا يقطع ولا تأثير لشيء من ذلك البتة ولا هو سبب لهذا الأثر وليس فيه قوة، وإنما الخالق المختار يشاء حصول كل أثر من هذه الآثار عند ملاقاة كذا لكذا، قالت هذا هو التوحيد وإفراد الرب بالخلق والتأثير ولم يدر هذا القائل أن هذا إساءة ظن بالتوحيد، وتسليط لأعداء الرسل على ما جاؤوا به كما تراه عيانا في كتبهم؛ ينفرون به الناس عن الإيمان"[2].

ثم يوضح ابن القيم أن كتاب الله ليس له شبيه ولا مثيل في إثبات الأسباب فيقول:" وأنت لا تجد كتابا من الكتب أعظم إثباتا للأسباب من القرآن ويا لله العجب إذا كان الله خالق السبب والمسبب وهو الذي جعل هذا سببا لهذا والأسباب والمسببات طوع مشيئته وقدرته منقادة لحكمه إن شاء أن يبطل سببية الشيء أبطلها، كما أبطل إحراق النار على خليله إبراهيم، وإغراق الماء على كليمه وقومه، وإن شاء أقام لتلك الأسباب موانع تمنع تأثيرها مع بقاء قواها، وإن شاء خلى بينها وبين اقتضائه لآثارها، فهو سبحانه يفعل هذا وهذا وهذا؛ فأي قدح يوجب ذلك في التوحيد وأي شرك يترتب على ذلك بوجه من الوجوه"[3]، فالله هو خالق الأسباب والمسببات، وهو سبحانه جعل سبباً ما لهذا، وطوّع ذلك تحت مشيئته وقدرته، وذلك تمشياً مع حكمته إن شاء أبطل سببية الشئ أبطله، وإن لا فلا، ثم يتعجب تعجباً إنكارياً؛ أي قدح وأي شرك يترتب على كله بوجه من الوجوه.

ثم إن ابن القيم رحمه الله أثبت ما جاء في كتاب الله من الأسباب التي كانت يتوصل بها إلى مسبباتها، كل ذلك حقيقية وليس مجازاً، وليس مجازاً كما هو عند نفاة الأسباب، قال

---

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (8/ 136).

(2) شفاء العليل، ابن القيم، (ص189)، وانظر له، مفتاح دار السعادة، (2/ 493).

(3) شفاء العليل، ابن القيم، (ص189).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله تعالى عن ذي القرنين: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف:84]. قال ابْنُ عبَّاسٍ، ومجاهد، وسعيد بن جبيرٍ، وعكرمةُ، والسُّدِّيُّ، وقتادةُ، والضَّحَّاكُ، وغيرهم: يعني عِلمًا، وقالَ قتادةُ أيضًا في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف:84]، قالَ: منازل الأرضِ وأعلامها، وقال عبدُ الرَّحمن بنُ زيدِ بنِ أسلم فِي قَوْلِهِ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف:84]، قالَ: تعليم الأَلسِنةِ، كانَ لا يغزُو قومًا إلَّا كَلَّمَهُمْ بِلِسَانِهِم[1].

وسمى سبحانه أبواب السماء أسباباً؛ إذ منها يدخل إلى السماء قال تعالى عن فرعون: ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۝٣٧﴾ [غافر:36-37]، أي أبوابها التي أدخل منها إليها قَالَ سَعِيدُ ابْنُ جبيرٍ، وأبو صالحٍ: أبوابَ السموات، وقيل: طرق السَّمَوَاتِ[2].

وسمى الحبل سببا لإيصاله إلى المقصود قال تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج:15]، قال ابنُ عبَّاسٍ: من كان يظنُّ أن لن ينصرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج:15]، أَيْ: بِحَبْلٍ، ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾، أَيْ: سَمَاءِ بَيْتِهِ[3].

وقد سمى تعالى وصل الناس بينهم أسبابا؛ وهي التي يتسببون بها إلى قضاء حوائجهم بعضهم من بعض، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:166]، قَالَ عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ قال: المودَّةُ، وكذا قال مجاهدٌ في روايةِ ابن أبي نجيح[4].

وبالجملة فسمى الله سبحانه ذلك أسبابا؛ لأنها كانت يتوصل بها إلى مسبباتها، وهذا كله عند نفاة الأسباب مجاز لا حقيقة.

إذاً عقيدة العادة تؤدي إلى إساءة الظن بالتوحيد، وتعد أيضاً تسليطًا لأعداء الرسل على ما جاءوا به، وكما وضحنا سابقاً لا يوجد كتاباً من الكتب أعظم إثباتا للأسباب من القرآن، وقد صدق ابن القيم رحمه الله "فانظر إلى ما يقوله الدهريون الملحدون في زماننا في

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (190/5).
(2) المصدر السابق، (144/7).
(3) المصدر السابق، (402/5).
(4) المصدر السابق، (477/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا النص الذي ينسبونه إلى الدين: "جميع الآراء الأخرى أو بالأحرى أي اتجاه فلسفي آخر، في مسألة السببية وإنكار القوانين الوضعية والسببية والضرورية في الطبيعة، تنتسب إلى الاتجاه الإيماني.. ذلك أن من الواضح حقاً أن الاتجاه الذاتي في مسألة السببية، واستنباط نظام الطبيعة وقوانينها، ليس من العالم الموضوعي الخارجي، بل من الشعور والعقل والمنطق"[1].

والمتأمل في القرآن والسُّنة يجد أن قضايا مبادئ العلوم لا تتنافي ولا تتعارض مع الدين، حيث إن الذي نلاحظه اليوم نجد أن العلم يبرهن على وجود الطبائع، ووجود الخصائص للموجودات، فلماذا لم يوح الله إلى نبيه نوح عليه السلام أن يصنع السفينة من الورق، أو حتى من الطين ما دام أن الناس يُحملون عند الخشب لا به، وليست للخشب أية خاصية؟!"[2]، هذا يدلل دلالة واضحة على اختلاف خصائص الأشياء عن بعضها البعض، أي كل شئ له من الخواص التي تخصه دون غيره.

و الدين الإسلامي لا يخاصم العلوم ولا يمنع من البحث في الطبيعة والتعرف على سنن الله فيها، بل إن الله يدعونا إلى التفكر في أسرار هذا الكون قال الله: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١**﴾ [آل عمران:190-191]، أي: يَفهَمُون مَا فِيهِمَا من الحكَم الدَّالَّة على عظمة الخَالق وقُدرَتِهِ، وعِلمِهِ وحِكمَتِه، واختِيَارِه ورحمَتِهِ[3]، بل إنّ الله وبخ الذي لم يتفكر في ملكوت السموات والأرض؛ فقال الله: ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف:185]، فالملكوت: هو الملك العظيم؛ زيدت فيه اللام والتاء للمبالغة كما في جبروت، والجملة الكريمة مسوقة لتوبيخهم على إخلالهم بالتأمل في الآيات التكوينية إثر تقريعهم على عدم تفكرهم في أمر نبيهم ﷺ، أى: كذّبوا ولم يتفكروا في شأن رسولهم ﷺ وما هو عليه من كمال العقل، ولم ينظروا نظر تأمل واعتبار واستدلال في ملكوت السموات من الشمس والقمر والنجوم وغيرها، وفي ملكوت

---

(1) نقض أوهام المادية الجدلية، البوطي، (ص 66)، نقلاً عن كتاب المادية والمذهب التجريبي النقدي، (ص148، 149).

(2) مذكرة الاقتران والتأثير، البوطي، (ص11).

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (184/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأرض من البحار والجبال والدواب وغيرها، ولم ينظروا كذلك فيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف؛ مما يشهد بأن لهذا الكون خالقا قادرا هو المستحق وحده للعبادة والخضوع[1].

من هنا فلا بدّ للإنسان أن يتأمل في أسرار هذا الكون، وعليه فهل يستطيع أحد أن يقول: إن القرآن ينكر الجاذبية الأرضية مثلاً أو سائر قوانين السببية التي ما هي إلا آيات تدل على منتهى الحكمة والدقة والنظام، ولهذا رد ابن سينا[2]على الطبائعيين الذين ينكرون السبب الأول، ويجعلون الطبائع هي الأولى والآخرة في الإبداع والخلق والتأثير؛ "إن المواد للأجسام العالمية صنفان، صنف يختص بالتهيؤ لقبول صورة واحدة لا ضد لها، فيكون حدوثها على سبيل الإبداع لا على سبيل التكوين من شيء آخر وفقدها على سبيل الفناء لا سبيل الفساد إلى شيء آخر وإلى هذا يرجع قول الحكيم في كتبه إن السماء غير مكونة من شيء ولا فاسدة إلى شيء؛ لأنها لا ضد، لها لكن العامة من المتفلسفة صرفوا هذا القول إلى غير معناه فأمعنوا في الإلحاد والقول بقدم العالم فهذا صنف، وخصوه باسم الأثير، والصنف الثاني صنف مهيأ لقبول الصورة المتضادة فيتكون تارة هذا بالفعل وذلك بالقوة، وتارة بالعكس، وسموه العنصر؛ فجعلوا الأجسام أثيرية وعنصرية"[3].

من خلال ردّ ابن سينا على الطبائعيين الذين يؤلهون الطبيعة ويجعلونها هي الخالقة يتبين لنا أن الدهريين أمعنوا في الإلحاد، وأنكرو الأسباب بل أنكرو وجود الخالق، وقالوا بقدم العالم، ولا شك أن هذا القول يفضي إلى الكفر والإلحاد، ولم يقروا بوجود الله ولم يثبتوا الأسباب والتأثير.

ولذا يقول الدكتور حسام الألوسي: "ويلوم "ابن سينا" الجُهال من الطبيعيين لأنهم يفتشون عن أصل هذه الطبيعة، ويردونها إلى العناصر المكونة "للسقمونيا" مع أنها لا علة لها في العناصر ولو سئلوا عنه لقالوا: لأن النار حارة، ثم السؤال لازم في أن الحار لم يفعل هذا، فيكون منتهى الجواب الطبيعي أن يقال: إن الحرارة قوة من شأنها أن تفعل هذا الفعل، ثم إن سئلوا بعد هذا لِمَ كان هذا الجسم حارًا دون البارد لم يكن جوابهم إلا الجواب الإلهي؛

---

(1) التفسير الوسيط، طنطاوي، (446/5، 445).

(2) ابن سينا: هو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا، عالم وطبيب بخارى يقال لها خرميثنا، اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما، ولد في قرية أفشنة بالقرب من بخارى من أب من مدينة بلخ وأم قروية، ولد سنة 370هـ، وتوفي في همدان سنة 427هـ، وعرف باسم الشيخ الرئيس وسماه الغربيون بأمير الأطباء وأبو الطب الحديث في العصور الوسطى: انظر في ترجمته، وفيات الأعيان، ابن خلكان، (157/2-162).

(3) تسع رسائل في الحكمة، ابن سينا، (ص30)، الرسالة الثانية، القسطنطينية سنة 1398.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن إرادة الصانع هكذا اقتضت"[1]، مما سبق يذمّ ابن سينا الجُهال من الطبيعيين الذين يدّعون أنهم يبحثون عن أصل هذه الطبيعة، ولو سُئلوا عن أصل التأثير الشيء بالشيء فما كان جوابهم إلا الجواب الإلهي، وبهذا فإنه يتبين أنه لا حجة للطبائعيين في رد الشيء إلى نفسه بل لا بد له من مبدع أبدعه؛ فصيره من العدم إلى الوجود وأن الآثار الظاهرة للعيان تتسلسل حتى تعود إلى المؤثر الأول، كما يقول ابن القيم: ".. وهذا كما نقوله في خلقه بالأسباب أنه يخلق كذا بسبب كذا، وكذا بسبب كذا، حتى ينتهي الأمر إلى أسباب لا سبب لها سوى مشيئة الرب فكذلك يخلق لحكمة وتلك الحكمة لحكمة حتى ينتهي الأمر إلى حكمة لا حكمة فوقها الجواب"[2]، فالشيء لا يتحول بذاته إلى شيء آخر "وهي أن استمرار العادة مهما طال، لا يتحول بذاته، دون أي إضافة أخرى إليه، إلى قانون حتمي، وذلك هو الشأن فيما يتعلق بعلاقات أشياء الطبيعة بعضها ببعض"[3].

إذاً هذا الكون لابدّ له من مبدّعٍ أبدع في خلق المخلوقات بعد ما كانت عدماً ولم تكن شئياً مذكوراً، كما قال الله مخبراً عن أصل خلق الإنسان فقال الله: ﴿**هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا**﴾ [الإنسان:1]، يَقُولُ الله تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ أَوْجَدَهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا يُذْكَرُ لِحَقَارَتِهِ وَضَعْفِهِ[4]، والله أخبر أنه صنع كل شيء وأتقنه فقال: ﴿**صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾ [النمل:88]، أي: انظروا صنع الله الذي أتقن كل شيء فقد أحسن الله ما خلقه وأحكمه، وجعله في أدق صورة، وأكمل هيئة، وصدق الله إذ يقول: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا**﴾ [الفرقان:2][5]، فكيف لا يكون وراء هذا الكون الدقيق خالق حكيم، ثم هل الطبيعة التي هي مخلوقة ضعيفة مفتقرة إلى غيرها تكون خالقة أوجدة نفسها؛ فهل يتصور هذا عاقل؟، فهذا الكون لا بدّ له من موجد ألا وهو الخالق سبحانه المتفرد بالخلق والتدبير، وما دام الله هو الخالق وحده، فهو الذي خلق الأسباب، وهو الذي خلق سبب كذا بكذا وهكذا، فهو سبحانه له المشيئة المطلقة يخلق ما يشاء في الوقت الذي يشاء، والشيء لا يتغير وحده فلا بدّ له من تأثير خارجي، وهي الأسباب التي أودعها الله في الأشياء، وعليه فإننا لو نظرنا إلى القول بعقيدة العادة؛ فإن شأنه أن يخل بالنظام الكوني الذي يدل على وجود الخالق المبدع يقول ابن رشد: "وأما الذي قاد المتكلمين من الأشعرية إلى هذا

---

(1) حوار بين الفلاسفة والمتكلمين، الدكتور حسام الألوسي، (ص37)، وانظر: تسع رسائل، ابن سينا، (ص35).

(2) شفاء العليل، ابن القيم، (ص211، 210).

(3) نقض أوهام المادية الجدلية، البوطي، (ص164).

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (285/8).

(5) التفسير الوسيط، طنطاوي، (362/10).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القول فهو الهروب من القول بفعل الطبيعة التي ركبها الله تعالى في الموجودات التي ها هنا، كما ركب فيها النفوس وغير ذلك من الأسباب المؤثرة، فهربوا من القول بالأسباب لئلا يدخل عليهم القول بأن ها هنا أسبابًا فاعلة غير الله، وهيهات! إذا كان مخترع الأسباب! وكونها أسبابًا مؤثرة، هو بإذنه وحفظه، وقال: ولو علموا أن الطبيعة مصنوعة، وأنه لا شيء أدل على الصانع من وجود موجود بهذه الصفة في الأحكام، لعلموا أن القائل بنفي الطبيعة قد أسقط جزءًا عظيمًا من موجودات الاستدلال على وجود الصانع بجحده جزءًا من موجودات الله"[1]، فالذي دعا الأشاعرة إلى هذا القول هو عدم القول بفعل الطبيعة بالمؤثرات والقوة التي أودعها الله فيها، فهربوا من القول بالأسباب، لكي لا يثبتوا أن هناك أسباباً فاعلة غير الله، وهذا القول محال، فالأسباب والمؤثرات كل ذلك بإمره وإذنه سبحانه، ثم إن القول أن الطبيعة مصنوعة يسقط جزءاً كبيراً من الموجودات التي يمكن أن يُستدل بها على وجود الله، فلو علموا أن الطبيعة موجودة عن صانع حكيم عليم خبير لما احتاجوا أن ينكروا وجود أفعال الطبيعة، وقد ناقش ابن رشد الأشاعرة في القضية السابقة قائلاً "ولو علموا أنه يجب من جهة النظام الموجود في أفعال الطبيعة أن تكون موجودة عن صانع عالم وإلا كان النظام فيها بالاتفاق، لما احتاجوا أن ينكروا أفعال الطبيعة"[2] بمعنى "لو رفعنا الأسباب والمسببات لم يكن ها هنا شيء يُرد به على القائلين بالاتفاق، أعني الذين يقولون لا صانع ها هنا"[3]، فابن رشد يقول لو تيقنوا أن الموجودات ناتجة عن صانع عالم لما استقام بهذا الإحكام، ولما احتاجوا إن ينكروا أفعال الطبيعة، وبمعنى آخر؛ على فرض لو تم رفع الأسباب والمسببات لم يكن هناك شيئي يُردّ به على الذين يقولون لا صانع هنا.

وأخيراً؛ فإن القول بعقيدة العادة التي قال بها الأشاعرة؛ فإنها تخالف منهج السَّلف بمعنى تخالف التوحيد الذي جاء به الأنبياء والرسل من عند الله، بل تتعارض تماماً مع التوحيد، فإن هذه العقيدة الفاسدة تقوم على إنكار بعض المخلوقات، وهذا يؤدي إلى إنكار الخالق، وهذا يعتبر محض إلحاد، فالتوحيد الخالص يقوم على التسليم بكل ما جاء عن الله وعن أنبياء الله وفق ما أراده الله سبحانه، بهذا يكون قد تحقق التوحيد الذي حققه السَّلف الصالح، من الصحابة الكرام والأئمة الأعلام، وإلا فلا؟[4].

---

(1) الكشف عن مناهج الأدلة، ابن رشد، (ص169)، وانظر: شفاء العليل، ابن القيم، (ص417).

(2) الكشف عن مناهج الأدلة، ابن رشد، (ص169)، وانظر: ما بعد الطبيعة، ابن رشد، ضمن رسائله دار المعارف العثمانية سنة1395، (1، ص168).

(3) الكشف عن مناهج الأدلة، ابن رشد، (ص167).

(4) انظر: عقيدة العادة عند الأشاعرة، السميري، (ص17-21).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

مخالفة عقيدة العادة للقرآن الكريم والسنّة النبوية

أولاً: مخالفة عقيدة العادة للقرآن الكريم:

قبل أن نشرع في بيان مخالفة عقيدة العادة للقرآن الكريم فإنه يتطلب منا أن نشير إلى تعريف القرآن لغة واصطلاحا:

القرآن في اللُّغة:

القرآن في الأصل مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآناً، ومعناه في اللغة: الجمع والضم قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:18]، أي جمعناه لك في صدرك فاتبع ذلك الذي جمع تلاوة وبلاغاً وعملاً، وقد صار علماً بالغلبة على الكتاب العزيز في عرف علماء الشرع[1].

القرآن في الاصطلاح:

القرآن عند السَّلف هو كلام الله حقاً لفظه ومعناه، تكلم به ربُّ العالمين وسمعه منه جبريل ﷺ وبلَّغه جبريل إلى محمد عليهما الصلاة والسلام دون تغيير ولا تبديل، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:192-195]، وقد تكفل الله بحفظه وجمعه في قلب محمد ﷺ وبيانه له قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان:23]، وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴿١٩﴾﴾ [القيامة:16-19]، وليس كلامه مثل كلام الإنس أو الجن أو الملائكة، بل بصفة وكيفية مختصة به تعالى لا يعلم حقيقتها إلاَّ الله سبحانه لا يشابه فيها خلقه، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، وكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه صفات أحد من المخلوقات، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً"[2].

---

(1) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (128/1)، مختار الصحاح، الرازي، (ص 249)، وتاج العروس، الزبيدي، (370/1)، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (1/ 278).

(2) الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، (3/ 40، و4/ 209).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا التعريف موافق لتعريف السلف؛ بأن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدا، وإليه يعود، وأن كلام الله صفة لله، قائمة بذاته، على ما يليق بجلاله وعظمته، وأنه تعالى لم يزل متكلماً، إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وهو متكلم بحرف يُتلى وصوت يُسمع[1].

فضل العلم الشرعي:

وإن من أهم وأنفع أسباب زيادة الإيمان تعلم العلم النافع علم الشريعة المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[2]، قال ابنُ رجب معرّفا بهذا العلم: "فالعلم النافع ضبط نصوص الكتاب والسُّنة وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد والرقائق والمعارف وغير ذلك، والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولاً، ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانياً، وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغل لمن بالعلم النافع عُنِي واشتغل"[3].

وقال ابنُ حجر: "والمراد بالعلم العلم الشرعي الذي يفيد ما يجب على المكلف من أمر دينه في عبادته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه".[4]

إذاً العلم النافع هو ما كان مضبوطاً وفق الكتاب والسُّنة، وفهم معانيهما، والتقيد بما هو مأثور عن الصحابة والتابعين، ولابد أن يترك النصوص تتكلم بأريحية ولا يؤول النصوص ويجيّرها وفق هواه؛ لكي ينصر مذهبه الباطل.

الرد على الأشاعرة:

ومن هنا؛ لو نظرنا لـــ"عقيدة العادة" عند الأشاعرة؛ لوجدناها تخالف ظاهر القرآن الكريم، ومبطلة لظاهره، فالله من حكمته ربط بين الأسباب بمسبباتها شرعاً وقدراً، فمن جحد ذلك وأنكره يكون مخالفاً لهدي القرآن، فالطَّبْعُ عندَ القائلينَ بإثباتِه: هو الخاصةُ التي يكونُ

---

(1) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، (ص 110)، السُّنة، عبدالله بن أحمد، (1/ 281)، التوحيد، ابن خزيمة، (1/ 349)، السنة، ابن أبي عاصم، (1/ 412، 416)، خلق أفعال العباد، البخاري، (ص 29)، مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني(15/1).

(2) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (28/ 80).

(3) فضل علم السلف على علم الخلف، ابن رجب الحنبلي، (ص 45).

(4) فتح الباري، ابن حجر، (1/ 141).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفعلُ بها من غيرِ جهةِ القدرةِ، وليس عندَ السَّلف حادث يَحدُثُ من غيرِ جهةِ القدرةِ؛ لأن الحوادثَ خلقُ الله سُبحانَه، فلم يَبْقَ لغيرِه حادث يصدرُ عنه[1].

والطبع عند الطبائعيين على ضربين:

الضرب الأول: طبع معروف عندهم، كالحرارةِ في النارِ، والبرودةِ الدائرةِ بين النَّارِ والهواءِ، والرُّطُوبةِ في الماءِ، واليُبُوسَةِ في الترابِ والحَجَرِ[2].

الضرب الثاني: وطبعٌ مبهمٌ، كجذبِ المغناطيسِ للحديدِ، وعملِ السَّقَمُونيا[3] في إخراجِ الصَّفراءِ، وإنما قلنا: من غير جهةِ القدرةِ؛ لأن ما يكونُ بالقدرةِ يقعُ بالتمييزِ؛ لأن القدرةَ لا تقومُ إلا بمحلٍّ فيه اختيارٌ، أو تكونُ صفةً لمختارٍ، وقد أكذبَ الله سبحانه، أهلَ الطبعِ بقوله: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ إلى قوله: ﴿صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الرعد:4]، ولو كانَ الماءُ يُعْطِي النباتَ الرطوباتِ بالطبعِ الذي أَثْبَتُوه لأعطاها رطوبةً خاصَّة ذات طَعْمٍ خاصٍّ؛ لاستواءِ أجزاء الماءِ في نَفْسِه، فلمَّا اختلفتِ الطعوم مع اتّحادِ الماءِ والتُّربةِ، علمَ أنه لم تأتِ النباتَ من جهةِ الطبعِ، لكن من جهةِ اختيارِ الصانعِ الطَّابعِ[4]، ولأن الطبائع تتباينُ لتضادِّها، وقد اجتمعت في الحيوانِ، ولا يجمعُ المتنافر إلا قاسرٌ قاهرٌ، وليس إلَّا المختارَ القادرَ سبحانه، وإذا ثبتَ أن لا طبعَ، فلا بدَّ أن نكشفَ عن وجوهِ الإضافاتِ، ونعطي كل شيءٍ حظهُ، حتى لا يعطى ما ليسَ بفاعل منزلةَ الفاعلِ، ولا تُعطى الآلاتُ حقَّ الأسباب، ولا يبخسَ الفاعل حقاً من الفعلِ، فهذه مهاوي هام الكفرة إلى هوَّة الإلحادِ، ومَزَلَةُ أقدام المهْمِلينَ لأصلِ الاعتقادِ[5].

---

(1) انظر: شفاء العليل،ابن القيم،(190).

(2) الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء الظفري، (1/ 176).

(3) والسَّقَمونيا: نباتٌ يُستخرَجُ من تجاويفهِ رُطوبةٌ دبقةٌ، وتجَفَّفُ، وتدعى باسم نباتها أيضاً، مضادَّتها للمعدةِ والأحشاءِ أكثرُ من جميعِ المُسهلاتِ، وتُصلَحُ بالأَشياء العَطِرَةِ كالفُلْفُلِ والزَّنجبيلِ والأنيسون، ستُّ شعيراتٍ منها إلى عشرين شعيرةً يسهلُ المرَّةَ الصَّفراء واللّزوجاتِ الرَّديَّة من أقاصي البدنِ، وجزء منه بجزءٍ من تربذٍ في حليبٍ على الريق لا يترك في البطن دودةً، عجيبٌ في ذلك، مجرَّبٌ، انظر: القاموس المحيط، "سقم"، (ص1121).

(4) الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، القرطبي، (9/ 281).

(5) الوَاضِح في أصُولِ الفِقه، الظفري، (177/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإضافة الفعل إلى الشيءِ تكون من وجوهٍ كثيرةٍ:[1]

1- إضافةُ الفعلِ إلى وقتهِ، وهو ظرفُ زمانه، كقوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ [الكهف:25]، وكقولك: نبتَ المرعى في الرَّبيعِ، وأطلعَتِ النَّخيلُ في الفصلِ، وصلَحتِ الثمرُ في الصيفِ أو الخريفِ.

2- إضافتُهُ إلى المكانِ، كقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:133]، وكقولك: طريق تؤدِّي بنا إلى البحرِ، أو إلى المعدنِ، وأرض زكيةٌ منبتةٌ، وأرض رُخوةٌ أو صُلبةٌ، فهذه أظرُفُ مكانٍ.

3- إضافتهُ إلى الآلةِ، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ [يوسف:31]، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦﴾ [الحاقة:5-6]، وكقوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر:13]، وكقولك: آلمهُ السَّوطُ، ووحتهُ السكينُ أو السيفُ، ونحتَ الخشبةَ القدومُ، فهذا المفعولُ به؛ فالمحل مقطوعٌ، ومضروبٌ، ومنحوتٌ.

4- وهو المحلُّ المفعولُ فيه شرطٌ أيضاً لإيقاعِ النحتِ والقطعِ فيه كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ﴾ [يوسف:59]، وكقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الحج:22].

5- السببُ، وفيه وقعَ الخلافُ، فلا فاعِلَ للريِّ ولا للشِّبَعِ، ولا إخراجِ الصفْراءِ، ولا تبريدٍ وتسخينٍ، وإحداثِ طَعْمٍ، وإنشاءِ لَوْنٍ، وايجادِ خاصةٍ، إلا الله سبحانَه كقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [البقرة:10].

السبب عندَ أهلِ الطَّبْع ومن وافقَهم:[2]

السَبَب عندَ أهلِ الطَّبع ومن وافقَهم من المتكلمينَ من المعتزلةِ، هو الذي سموْهُ طبعاً ومُولِّداً، فها هنا مَزَلةُ الأقدامِ، فمن قال: إن الماءَ يُطّهرُ بطبعٍ، ويُزيلُ بوضعِهِ، فهو كالقائلِ بأنه يُنْبِتُ بطبعِه، ويروي بطبعهِ، وذلك فاسدٌ بما فَسَدَ به مذهبُ أهلِ الطبعِ، فلم يَبْقَ إلا أن يقالَ: الطهارةُ تقعُ عندَ إجرائه بنية المُكَلَّفِ تَعَبداً، وقد بينَ الله سبحانَه ذلك في أكثر من آية في كتابهِ، مثلُ قوله: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤﴾ [الواقعة:63-64].

---

(1) الواضِح في أصُولِ الفِقه، الظفري، (178/1، 177).

(2) المصدر السابق، (178/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي اختلافِهم في الطَّبائعِ على أربعةِ مذاهبَ[1]:

المذهب الأوّل: فمنهم من جعلَها موجِبة للفعلِ، كالاعتمادِ الذي في الحَجَرِ يُوجِبُ ذهابَه إلى جهةٍ، والفاعلُ غيرُها في الحقيقةِ.

المذهب الثاني: ومنهم من جعلَها فاعلةً في الحقيقةِ، وهم أهلُ الطبْعِ.

المذهب الثالث: ومنهم من جعَلَها مفعولًا بها، مثل: ما يفعلُ القَطْعُ بالسكِّينِ.

المذهب الرابع: ومنهم من جعلَها مفعولًا عندَها، وهو مذهبُ السَّلف، القول بأن الله يفعل عند الطبائع والأسباب والقوى لا بها يفضي إلى إبطال حكمة الله في خلقه، وأنه لم يجعل في العين قوة تمتاز بها عن الخد تبصر بها، ولا في القلب قوة يمتاز بها عن الرجل يعقل بها، ولا في النار قوة تمتاز بها عن التراب تحرق بها، فضلاً عما في هذا القول من مخالفة للكتاب والسنة، وقد أشارَ اللهُ سبحانَه إلى مذهب السلف في كثيرٍ من الأفعالِ، واكتفى بذلك بياناً للعاقلِ، وتنبيهاً له على باقِيها، فقالَ في حق عيسى عليه السلام: ﴿**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِىۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِىۖ**﴾ [المائدة:110]، وإذا أخرجَ عيسى أن يكونَ فاعلاً، وجعلَ له الفعلَ سبحانه، فلا موجودَ إلا عن فعلِه وخَلْقِه؛ لأنه لو اختُصَّ شيء من خلقِه بفعلٍ يكونُ منه وعنه، لكانَ الأخص بذلك الأنبياءَ عليهم السلام الذين أيدَهُم بما خَصهم به من خَرْقِ العاداتِ؛ شهادةً لهم بالصدق، وقال سبحانه: ﴿**ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ**﴾ [الرعد:16]، فلم يبقَ شيءٌ من جسمٍ ولا عَرَض يضافُ خَلْقُه إلى أحدٍ سواه، ولأنه أضافَ إلى الأشياءِ إضافاتٍ، وأضافَ إلى نفسِه مثلَها، فقال في العَسلِ: ﴿**فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ**﴾ [النحل:69]، وقال: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ [الشعراء:80]، فالأحق أن يكونَ الشفاءُ حقيقةً مضافاً إلى الخالق سبحانه، والعسلُ يكون به الشِّفاءُ سبباً، والماءُ يوجَدُ عند نزولِه الإنباتُ، والمنبتُ حقيقةً، هو الله سبحانه، فإنه سبحانه يقولُ: ﴿**فَأَحْيَيْنَا بِهِۦ**﴾ [فاطر:9]، ﴿**يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ**﴾ [النحل:11]، وقال: ﴿**فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ**﴾ [النمل:60، ق:9]، يعني: انبَتْنا لكم عندَه، أي سبب الإنبات هو الماء ولكن المنبت حقيقة هو الله عزوجل وقد أضافَ الله سبحانه الإضلالَ إلى الأصنامِ والسَّامِريّ فقال سبحانه: ﴿ **قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ**﴾ [طه:85]، والضَّلالُ فيهم لابهم[2].

---

(1) الواضح في أصولِ الفقه، الظفري، (179/1).

(2) المصدر السابق، (180/1، 181).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دلائل العقول على أنَّ الطبائعَ عندهم هي الفاعلُ الأولُ، وليس فوقه عندهم من هو أعلى:

ومن دلائلِ العقولِ، أنَّ الطبائعَ عندهم هي الفاعلُ الأولُ، وليس فوقَه عندهم من هو أعلى، وقد وَجَدْنا هذه الطبائعَ مقهورةً مقسورةً، حيث جُمعَ المتنافرُ منها والمتضادُّ في الحيوانِ والنباتِ، وكما أن أهلَ الطبعِ أثبتوا له الفعلَ، فقد أثبتوا له المضادَّةَ والمنافاةَ، فإذا اجْتَمعَ مع أضدادهِ في هياكلِ الحيوانِ والنباتِ، عُلِمَ أن المضادةَ فيه لا من طريقِ الطبعِ، وإنما هو بوضعِ واضعٍ، تارةً يُفَرقُ بينها بالانحلالِ، وتارة يَجْمَعُ بينها إذا أرادَ الاجتماعَ، فهذا حسب ما يليق بهذا الكتاب[1].

ومن هنا؛ فإن عقيدة العادة عند الأشاعرة تخالف نصوص وظواهر القرآن، سنرى كيف أن ابن القيم رحمه محقق مذهب السَّلف ساق الأدلة من القرآن الكريم، وكل دليل على حسب سياق الآية، مبيناً الأسباب والمسببات، فمن الأدلة ما تكون جزاءً على الأعمال، ومنها ما تكون تقريعاً، وكل موضع تضمن الشرط والجزاء أفاد سببية الشرط والجزاء كما سيتضح عند كل دليل، وحول هذا المعنى يقول ابن القيم: "أنه سبحانه ربط الأسباب بمسبباتها شرعاً وقدراً، وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الديني والشرعي، وأمره الكوني القدري، ومحل ملكه وتصرفه؛ فإنكار الأسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات، وقدح في العقول والفطر، ومكابرة للحس، وجحد للشرع والجزاء؛ فقد جعل سبحانه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، والثواب والعقاب، والحدود والكفارات، والأوامر والنواهي والحل، والحرمة كل ذلك مرتبطا بالأسباب قائما بها، بل العبد نفسه وصفاته وأفعاله سبب لما يصدر عنه بل الموجودات كلها أسباب ومسببات، والشرع كله أسباب ومسببات، والمقادير أسباب ومسببات، والقدر جار عليها متصرف فيها، فالأسباب محل الشرع والقدر، والقرآن مملوء من إثبات الأسباب؛ كقوله: ﴿**بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾ [المائدة:105]، أي وهو الله تعالى يجازيكم بأعمالكم[2]، أي بسبب أعمالكم، وقوله: ﴿**وَقَالَتْ أُولَـٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ**﴾ [الأعراف:39]، ومعنى الآية بما كنتم في الدنيا تكسبون من الآثام والمعاصي، وتجترحون من الذنوب والإجرام[3]، وقوله: ﴿**ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ [الحج:10]، أي يقالُ لهُ

---

(1) الواضح في أصولِ الفقه، الظفري، (182/1، 181).

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، (95/7).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (420/12، 419).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا تقريعًا وتوبيخًا[1]، وقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشُّورى:30]، أي؛ وما أصابكم أيها الناس من مصيبة من المصائب في النفس أو المال؛ فإنما هي بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها[2]، وقوله: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:24]، أي قدمتم لأنفسكم[3]، وقوله: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ:26]، بيان لعدالة الله- تعالى- معهم، أي: أننا لم نظلمهم بإلقائهم في جهنم، وإنما جازيناهم بذلك جزاء موافقا لأعمالهم السيئة في الدنيا[4]، وقوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء:160-161]، يعني بذلك جل ثناؤه: فحرَّمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا ربهم، وكفروا بآيات الله، وقتلوا أنبياءهم، وقالوا البهتان على مريم، وفعلوا ما وصفهم الله في كتابه؛ طيباتٍ من المآكل وغيرها، كانت لهم حلالا عقوبة لهم بظلمهم، الذي أخبر الله عنهم في كتابه[5]، وقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء:155-157]، وهذه من الذّنوبِ الَّتي ارتكبوها، ممَّا أوجبَ لعنتهم وطردهم وإبعادهم عنِ الهدى، وهو نقضهمُ المواثيقَ والعهود الَّتي أخذت عليهم، وكفرهم بآياتِ اللَّهِ، أي: حججهِ وبراهينهِ، والمعجزاتِ الَّتي شاهدوها على أيدي الأنبياءِ، عليهم السَّلامُ، وذلكَ لكثرة إجرامهم واجترائهم على أنبياءِ اللَّهِ، فإنَّهم قتلوا جمًّا غفيرًا من الأنبياءِ: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ قال: عليُّ بنُ أبي طلحةَ، عن ابن عبَّاسٍ: "يعني أنَّهم رَمَوهَا بالزِّنَا"[6]، وقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة:13]، أي فبنقضهم ميثاقهم، وهو أنَّهم كذَّبوا الرُّسل بعد موسى؛ فقتلوا الأنبياء، وضيَّعوا كتاب الله؛ لعنَّاهم أخرجناهم من رحمتنا،

---

(1) مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، (532/2).

(2) صفوة التفاسير، الصابوني، (130/3).

(3) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، (424/5).

(4) التفسير الوسيط، طنطاوي، (256/15، 255).

(5) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (191/9، 190).

(6) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (448/2، 447).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجعلنا قلوبهم قاسيةً يابسة عن الإيمان[1]، وقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران:159]، فبما رحمة من اللَّه لنت يا محمَّد لهم؛ أي سهَّلت أخلاقك إذ خالفوك[2]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [غافر:22]، ذلك العذاب الذي حلَّ بالمكذبين السابقين، كان بسبب موقفهم من رسل الله الذين جاؤوا بالدلائل القاطعة على صدق دعواهم، فكفروا بهم وكذَّبوهم، فأخذهم الله بعقابه، إنه سبحانه قويّ لا يغلبه أحد، شديد العقاب لمن كفر به وعصاه[3]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:257]، أي ذلك التخبط والتعثر بسبب استحلالهم ما حرّمه الله، وقولهم: الربا كالبيع؛ فلماذا يكون حراماً؟[4]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ [محمد:3]، أي إن ذلك الجزاء المتقدم للفريقين بسبب اتباع الكافرين الباطل، من الشرك بالله، والعمل بمعاصيه واختياره على الحق، وبسبب اتباع المؤمنين الحق الذي أمر اللَّه باتباعه من التوحيد والإيمان وعمل الطاعات[5]، وقوله: ﴿فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقة:10]، أي: شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح[6]، وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ [المؤمنون:48]، ومعنَى "مِنَ المهلَكِينَ" أي بالغرقِ في البحرِ، وقوله: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل:16]، أي فعصى فرعونُ الرَّسُولَ؛ عرفه لسبق ذكره، فأخذناه أخذاً وبيلًا ثقيلاً من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ لثقله، ومنه الوابل للمطر العظيم[7]، وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس:14]، أي: دمر عليهم وعمهم بعقابه، وأرسل عليهم الصيحة من فوقهم، والرجفة من تحتهم، فأصبحوا جاثمين على ركبهم، لا تجد منهم داعيًا ولا مجيبا[8]، وقوله: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ۝٥٦﴾ [الزخرف:55-56]، أي أغضبونا، قال ابن قتيبة: الأسف:

---

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، (ص312).

(2) تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، (ص89).

(3) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، السعودية، (496/1).

(4) صفوة التفاسير، الصابوني، (158/1).

(5) التفسير المنير، الزحيلي، (80/26).

(6) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، (530/3).

(7) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (257/5).

(8) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (926).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الغضب، يقال: أسفتُ آسفُ أسفاً، أي: غضبتُ. فجعلناهم سلفاً أي: قوماً تقدَّموا[1]، وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق:9]، أي كَثِيرَ الخيرِ وفيهِ حياةُ كلِّ شيءٍ وهو المطرُ، فأنبتنا بهِ جنَّاتٍ وحبَّ الحصيدِ، يعني البُرَّ والشَّعيرَ وسائر الحبوبِ الَّتي تحصدُ[2]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:57]، أَيْ: حملت هذه الرِّياح سحاباً ثقالاً بما فيها من الماء سُقنا السَّحاب لبلد ميت إلى مكان ليس فيه نباتٌ فأنزلنا به بذلك البلد الماء فأخرجنا بذلك الماء، ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[3]، وقوله: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:16]، يعني: بالكتاب المبين[4]، وقوله: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾ [التوبة:14]، أي يقتلهم الله بأيديكم[5]، وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبأ:14-16]، أَيْ: لنخرجَ بِهَذَا الْمَاءِ الْكَثِيرِ الطَّيِّبِ النَّافِعِ المُبَارَك حَبًّا[6]، وكل موضع رتب فيه الحكم الشرعي أو الجزائي على الوصف أفاد كونه سببا له كقوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:38]، وقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ﴾ [النور:2]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف:170]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل:88]، وهذا أكثر من أن يستوعب، وكل موضع تضمن الشرط والجزاء أفاد سببية الشرط والجزاء، وهو أكثر من أن يستوعب كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال:29]، وقوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:7]، وكل موضع رتب فيه الحكم على ما قبله بحرف أفاد التسبب وقد تقدم وكل موضع تقدم ذكرت فيه الباء تعليلا؛ لما قبلها بما بعدها أفاد التسبب، وكل موضع صرح فيه بأن كذا جزاء لكذا أفاد التسبيب؛ فإن العلة الغائية عله للعلة الفاعلية، ولو تتبعنا ما يفيد إثبات الأسباب من

---

(1) زاد المسير في علم التفسير، الجوزي (81/4).

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي.(271/4).

(3) الوجيز في تفسير، أبو الحسن الواحدي، النيسابوري، (398).

(4) المصدر السابق، (313).

(5) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (160/14).

(6) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (304/8).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرآن والسُّنة لزاد على عشرة آلاف موضع، ولم نقل ذلك مبالغة بل حقيقة ويكفي شهادة الحس والعقل والفطر"[1]، وفي بيان واضح للذين منعوا من إجراء "باء" السببية في بابها وقالوا: "فقد تبين أن الوجود عند الشيء، لا يدل على أنه موجود به" فمنعوا أن يكون ماء السماء سبباً في إنبات العشب كما بين القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ [البقرة:164]، ﴿فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:57]، وقَالَ: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء:30]، وأمثال ذلك فجميع ذلك مقدّر معلوم مقضي مكتوب قبل تكوينه فمن ظن أن الشَّيء إذا علم وكتب أنه يكفي ذلك في وجوده ولا يحتاج إلى ما به يكون من الفاعل الَّذي يفعله وسائر الأسباب فهو جاهل ضال، وهو سبحانهُ قد علم أَن المكونات تكون بما يخلقه من الأسباب؛ لأن ذلك هو الواقع، فمن قال إنه يعلم شيئا بدون الأسباب فقد قال على الله الباطل، وهو بمنزلة من قال إن الله يعلم أن هذا الولد ولد بلا أبوين، وأن هذا النَّبات نبت بلا ماء؛ فإن تعلق العلم بالماضي والمستقبل سواء؛ فكما أن من أخبر عن الماضي بعلم الله بوقوعه بدون الأسباب يكون مبطل، وكذلك من أخبر عن المستقبل كقول القائل أن الله علم إنه خلق آدم من غير طين، وعلم أنه يتناسل النَّاس من غير تناكح، وأنه أنبت الزروع من غير ماء، ولا تراب، فهو باطل ظاهر لكل أحد، وكذلك إخباره عن المستقبل، وكذلك الأعمال هي سبب في الثَّواب والعقاب، فلو قال قائل: إن الله أخرج آدم من الجنَّة بلا ذنب، وأنه قدر ذلك، أو قال إنَّه غفر لآدم بلا توبة، وأنه علم ذلك كان هذا كذبا وبهتانا، وكذلك كل ما أخبر به من قصص الأنبياء فإنَّهُ علم أنه أهلك قوم نوح وعاد وثمود وفرعون ولوط ومدين وغيرهم بسبب ذنوبهم، وأنه نجى الأنبياء ومن اتبعهم بإيمانهم وتقواهم كَمَا قَالَ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [الأعراف:165]، وقَالَ: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت:40]، وقَالَ: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام:146]، وقوله سبحانه: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾ [التوبة:14]، ومثل هذا في القرآن كثير، أكثر من أن يُحصى، وصاحب الحق يكفيه دليل واحد، وصاحب الهوى لو أتيته بألف دليل لايكفيه.

(1) شفاء العليل، ابن القيم، (ص190، 189، 188).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومنعوا إجراء اللغة بإطلاق باء السببية، ولهذا قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية: " تكلم قوم في إنكار الأسباب؛ فأضحكوا ذوي العقول على عقولهم، ثمَّ إنَّ هؤلاء يقولون لا ينبغي للإنسانِ أن يقول إنَّهُ شبع بالخبز وروي بالماءِ، بل يقول شبعت عنده ورويت عندهُ؛ فإنَّ اللَّهَ يخلقُ الشِّبع والرِّيَّ ونحو ذلك من الحوادثِ عند هذهِ المقترناتِ بها عادةً؛ ليس بسببها، وهذا خلافُ الكتابِ والسُّنَّةِ فإنَّ اللَّهَ تعالى يقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦٓۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ [الأعراف:57]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ﴾ [البقرة:164]، وقوله: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾ [التوبة:14]، وقَالَ: ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ﴾ [التوبة:52]، وقَالَ: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ [ق:9]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام:99]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ﴾ [فاطر:27]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ ۝١١﴾ [النحل:10-11]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:26]، وقَالَ: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ۝١٦﴾ [المائدة:15-16]، ومثلُ هذا في القرآنِ كثيرٌ[1].

ويذكر شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله أيضًا ما يلزم القائلين بإنكار الأسباب والطبائع من شنائع؛ أنهم يسوون بين المختلفات ويخالفون القرآن يقول: "وكذلك أيضًا لزمت من لا يثبت في المخلوقات أسبابًا وقوى وطبائع ويقولون إن الله يفعل عندها لا بها فليلزم أن لا يكون فرق بين القادر والعاجز، وأما أئمة السُّنة وجمهورهم فيقولون ما دل عليه الشرع والعقل، قال تعالى: ﴿سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ [الأعراف:57]، وقال: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ﴾ [البقرة:164]، وقَالَ:

(1) مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية، (330/5)، وانظر مجموعة الفتاوى له، (8/ 137)، وشفاء العليل، وابن القيم، (ص189).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة:16]، وقَالَ: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:26]، إلى أن قال: ومثل هذا كثير في الكتاب والسُّنَّة، يخبر الله تعالى أنه يحدث الحوادث بالأسباب، وكذلك دل الكتاب والسُّنَّة على إثبات القوى والطبائع التي جعلها الله في الحيوان وغيره، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:16]، يأمر الله تعالى بتقواه، التي هي امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويقيد ذلك بالاستطاعة والقدرة، وهذه الآية، تدل على أن كل واجب عجز عنه العبد، أنه يسقط عنه، وأنه إذا قدر على بعض المأمور، وعجز عن بعضه، فإنه يأتي بما يقدر عليه، ويسقط عنه ما يعجز عنه"[1]، كما قال النبي ﷺ: "**إذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْه ما اسْتَطَعْتُم**"[2].

وقَالَ الله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:26]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ [فصلت:15]، وقَالَ الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾ [الروم:54]"[3].

والعلم بأن الشَّيء سيكون، والخبر عنه بذلك وكتابة ذلك لا يوجب استغناء ذلك عمَّا به يكون من الأسباب، فالسعيد لا يشقى والشقي لا يسعد، هذا كلام صحيح، أَي من قدر الله أَن يكون سعيدا يكون سعيدا؛ لكن بالأعمالِ الَّتي جعله سعد بها، والشقي لا يكون شقيا إِلَّا بالأعمالِ الَّتي جعله يشقى، وفي هذا المعنى يقول ابن بطة "والعلم بِأَن الشَّيء سيكون والخبر عنهُ بذلك وكتابة ذلك لا يوجب استغناء ذلك عمَّا به يكون من الأسباب الَّتي لا يتم إِلَّا بها، كالفاعل وقدرته ومشيئته، فإِن اعتقاد هذا غاية في الجهل؛ إِذ هَذا العلم ليس موجبا بنفسه لوجود المعلوم باتِّفاق العلماء، بل هو مطابق له على ما هو عليه، لا يكسبه صفة ولا يكتسب منهُ صفة بمنزلة علمنا بالأمور الَّتي قبلنا، كالموجودات الَّتي كانت قبل وجودها، مثل علمنا باللَّه وأسمائه وصفاته، فإِن هذا العلم ليسَ مؤثرا في وجود المعلوم باتِّفاق العلماء؛ فتبين أَن العلم والخبر والكتاب لا يوجب الاكتفاء بذلك عن الفاعل القادر المريد، ممَّا يدل على ذلك أَن

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص 868)

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة/ الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، (94/9،ح7288)، ومسلم، صحيح مسلم، الحج/فرض الحج مرة في العمر، (975/2ح1337)].

(3) منهاج السنة، ابن تيمية، (114/3، 113، 112)، وانظر: المنتقي من منهاج الاعتدال، محمد عثمان الذهبي، (ص143).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله سبحانهُ وتعالى يعلم ويخبر بما سيكون من مفعولات الرب، كما يعلم أنه سيقيم القيامة ويخبر بذلك، ومع ذلك؛ فمعلوم أن هذا العلم والخبر لا يوجب وقوع المعلوم المخبر به بدونِ الأسباب الَّتي جعلها الله أسبابا لهُ، إذا تبين ذلك فقول السَّائل السعيد لا يشقى والشقي لا يسعد كلام صحيح، أي من قدر الله أن يكون سعيدا؛ يكون سعيدا لكن بالأعمالِ الَّتي جعله سعد بها، والشقي لا يكون شقيا إلَّا بالأعمالِ الَّتي جعله يشقى؛ بها الَّتي من جملتها الاتكال على القدر، وترك الأعمال الواجبة، والله سبحانهُ وتعالى علم وقدر أن هذا يعمل كذا فيسعد به، وهذا يعمل كذا فيشقى به، وهو يعلم ان هذا العمل الصَّالح يجلب السَّعادة، كما يعلم سائر الأسباب والمسببات، كما يعلم ان هذا يأكل السم فيموت، وأن هذا يأكل الطَّعام فيشبع، ويشرب الشَّراب فيروى وظهر فساد قول السَّائل فلا وجه لإتعاب النَّفس في عمل ولا لكفّها عن ملذاتها، فإن المكتوب في القدر واقع لا محالة، وذلك أَن المكتوب في القدر هو سعادة السعيد لما يسر له من العمل الصَّالح، وشقاوة الشقي لما يسر لهُ من العمل السيء، ليسَ المكتوب أحدهما دون الآخر فما أمر به العبد من عمل فيه تعب أو امتناع عن شهوة؛ هو من الأسباب الَّتي تنال بها السَّعادة، والمقدر المكتوب هو السَّعادة والعمل الَّذي به ينال السَّعادة وإذا ترك العبد ما أمر به متكلا على الكتاب كان ذلك من المكتوب المقدور الَّذي يصير به شقيا، وكان قوله ذلك بمنزلة من يقول أنا لا آكل ولا أشرب؛ فإن كان الله قضى بالشبع والري حصل، وإلَّا لم يحصل أو يقول لا أجامع، امرأتي فإن كان الله قضى لي بولد فإنَّه يكون لي ولد وإلا فلا[1].

فكيف يخرج النبات من الأرض دون الماء، قَالَ الله تعالى: ﴿**وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾ [الجاثية:5]، أي وهو الغيث الذي به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم، وإحيائه الأرض بعد موتها: يقول: فأنبت ما أنزل من السماء من الغيْث ميت الأرض، حتى اهتزّت بالنبات والزرع من بعد موتها، يعني: من بعد جدوبها وقحوطها ومصيرها دائرة لا نبت فيها ولا زرع[2].

وَقَالَ الله تعالى: ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ [الرعد:7]، أي نبي وداع إلى الله يدعوهم بما يُعْطَى من الآيات، لا بما يريدون ويتحكمون فيه، فالنبي سبب في هداية الناس، واخراجهم من الظلمات إلى النور.[3]

---

(1) الإبانة الكبرى، لابن بطة، (3/180، 179).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (22/61).

(3) انظر: التَّفسير البسيط، الواحدي، (12/299).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتقوى والإيمان سببان للفوز برضوان الله، قَالَ الله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ﴾ [الزمر:61]، وسبب دخول الجنة الأعمال، قَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ [يونس:9].

وَقَالَ الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ [الطور:21].

وَقَالَ الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ [إبراهيم:1].

وَقَالَ الله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:32].

وَقَالَ الله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال:26].

وَقَالَ الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ۝٣﴾ [الطلاق:2-3].

وَقَالَ الله تعالى: ﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام:6].

وَقَالَ الله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [المائدة:85].

وَقَالَ الله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾ [الإنسان:12].

وهذا الإلغاء للسببية؛ هو إلغاء للقوانين العلمية، بل تعطيل لذاتية الأشياء بعد أن كان تعطيلاً لتوحيد الرب، وهذه الجناية العظيمة تكبر وتتضخم حينما تنسب إلى القرآن والقرآن لا يقرها بل يقر خلافها، وهناك فرق كبير بين قولنا فعلت به وفعلت عنده، كما يقول ابن تومرت "الأصل يثبت به الحكم، والأمارة يثبت عندها الحكم، وبين يثبت به ويثبت عنده ما بين السماء والأرض"[1]، ولهذا فإن القرآن الكريم أخبر عن الباء في محلها وبـــ"عند" في محلها، فكيف يجوز أن تلغي "الباء" عن عملها في محلها، ونستبدل "عند" وهي ليست مثلها ولا تعمل عملها، وجرب بوضع "عند" في محل "الباء" في الآيات السابقة وانظر كيف سيكون الحال، فلا شك أن بين "الباء" و"عند" ما بين السماء والأرض، وهكذا تُطوع اللغة لتتمشى مع الآراء، وكان الأولى أن تصحح الآراء وتصقل بالرجوع إلى أصل اللغة.[2]

---

(1) أعز ما يطلب، ابن تومرت، (ص25)، نشره جولد زيهر الجزائر سنة، 1903، وانظر: مقدمة الكشف عن مناهج الأدلة، محمد الجابري، (ص43).

(2) عقيدة العادة عند الأشاعرة، السميري، (ص21-24).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: مخالفة عقيدة العادة للسُّنة النبوية

سبق أن بينتُ معنى السُّنة، والتي كان من معانيها، الحديث النبوي، ويراد بها عمل الصحابة الكرام، ويراد بها العقيدة، ويراد بها كل من تمسك والتزم هدي الكتاب والسُّنة، وهدي الصحابة الكرام في أمور دينهم؛ سواء كانت في باب الاعتقاد أو في باب العبادات، وتطلق في مقابل البدعة، ويفهم من هذه الإطلاقات عموماً أن السُّنة يراد بها ما كان في أمر الدين؛ بدليل قوله تعالى في الحث على التمسك بكل ما جاء عن النبي ﷺ ﴿**وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟**﴾ [الحشر:7]، وقوله تعالى: ﴿**مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ**﴾ [النساء:80]، وغير ذلك من الآيات، وبدليل قول النبي ﷺ: "**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**"[1]، والنجاة والسلامة والفوز في إتباع هديّ النبي ﷺ، لقوله ﷺ، "**وخيرَ الهدي هديُ محمَّدٍ ﷺ**"[2]، ثم إن الله سبحانه توعد الذين يخالفون أمره وهديه بالبلاء في الدنيا، وبالعذاب في الآخرة، قال الله: ﴿**فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور:63]، معناه يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه، أن تُصيبهم فتنةٌ أي لئلَّا تُصيبهم فتنةٌ، قالَ مُجاهدٌ: بلاءٌ في الدُّنيا، أو يصيبهُم عذابٌ أليمٌ، وجيعٌ في الآخرةِ وقيل: عذابٌ أليمٌ عاجلٌ في الدُّنيا[3].

وهكذا كان النبي ﷺ يحذّر من الوقوع في البدع والضلالات؛ التي تضاهي شرع الله أي تخالف فهم نصوص الكتاب والسُّنة، "**وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار**"[4].

فمن أتى بكلام يخالف هدىّ النبي ﷺ فقد أحدث واخترع شيئاً جديداً، وهذا بلا شك كلامه وفهمه مردودٌ على صاحبه، قال النبي ﷺ: "**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**"[5]، وقد أطلق على السَّلف أهل السُّنة لتمسكهم بها منذ زمن النبي ﷺ والصحابة الكرام

---

(1) الترمذي: سنن الترمذي، العلم/ ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، (5/ 44، ح 2676)، وقال الترمذي، هذا حديث حسن صحيح.

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الجمعة/ تخفيف الصلاة والخطبة، (2/592ح867)].

(3) انظر: تفسير، البغوي، (3/433).

(4) [مسلم: صحيح، مسلم، الجمعة/ تخفيف الصلاة والخطبة، (2/592ح867)].

(5) [البخاري: صحيح البخاري، البيوع/ النجش، ومن قال "لا يجوز ذلك البيع"، (3/69، ح2550)، ومسلم: الأقضية/ نقض الأحكام الباطلة، وردّ محدثات الأمور، (3/1343، ح1718)].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين[1]، وقد سبق أن أشرنا إلى ما قاله ابن رجب عن تعريف العلم النافع، فقد قال ابن رجب معرّفا بهذا العلم: "فالعلم النافع ضبط نصوص الكتاب والسُّنة وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد والرقائق والمعارف وغير ذلك، والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولاً، ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانياً، وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغل لمن بالعلم النافع عني واشتغل"[2].

وبناء على هذا؛ فإن عقيدة العادة التي قال بها الأشاعرة، تخالف هديّ النبي ﷺ "السُّنة"، والمخالفات مقسمة على النحو التالي:

1- مخالفة العادة للأسباب القدرية:

عقيدة العادة تبطل الأسباب المقدرة في خلق الله، وتبطل الأسباب المشروعة في أمر الله، وفي معنى هذا الكلام يقول شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله "ونظير هؤلاء الَّذين أبطَلُوا الأسباب المقدَّرة في خلق اللَّه من أبطَل الأسباب المشروعة في أمر اللَّهِ؛ كالَّذين يظنُّون أنَّ ما يحصل بالدّعاء والأعمال الصَّالحة وغيرِ ذلك من الخيرات إن كان مقدَّرًا حصل بدون ذلك، وإن لم يكن مقَدَّرًا لم يحصل بذلكَ"[3].

والأسباب القدرية على أمور:

الأمر الأول: لا يجوز، ترك الأعمال والاتّكال على الكتاب:

فلا بدّ من العمل والسعي فمن كان من أهل السعادة، فييسر لذلك، والعكس بالعكس، وهَؤُلَاء كَالَّذِين قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ "**أَفَلَا نَدَعُ الْعَمَلَ وَنَتَّكِلُ عَلَى الْكِتَابِ؟ فَقَالَ لَا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**"[4].

يقول ابن بطة: "وذلك أيضاً؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو يعلم الأشياء على ما هي عليه، وكذلك يكتبها فإذا كان قد علم أنَّها تكون بأسباب من عمل وغيره وقضى أنَّها تكون

---

(1) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، غالب عواجي، (99/1).

(2) فضل علم السلف على علم الخلف، ابن رجب الحنبلي، (ص45).

(3) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (8، 138).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الجنائز/ موعظة المحدِّث عند القبر، وقعود أصحابه حوله، (96/2، ح1362)، وفي، التفسير/ قوله [فأما من أعطى واتقى]، (ح4945 – 4949) ومسلم:، القدر/ كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، (2039/4ح2647)].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك وقدر ذلك لم يجز أن يظنّ أن تلك الأمور تكون بدون الأسباب الَّتي جعلها الله أسبابا، وهذا عام في جميع الحوادث مثال ذلك؛ إذا علم الله وكتب أنه سيولد لهذين ولد، وجعل الله سبحانه ذلك معلّقا باجتماع الأبوين على النِّكاح وإنزال الماء المهين الَّذي ينعقد منه الولد، فلا يجوز أَن يكون وجود الولد بدون السَّبب الَّذي علق به وجود الولد، والأسباب وإن كانت نوعين معتادة وغيرية فالمعتادة كولادة الآدميّ من أبوين، والغيرية كولادة الإنسان من أم فقط، كما ولد عِيسى أو من أبٍّ فقط كما ولدت حوَّاء، أو من غير أبوين كما خلق آدم أبو البشر من طين، فجميع الأسباب قد تقدم علم الله بها وكتابته لها وتقديره إيَّاها، وقضاؤه بها كما تقدم ربط ذلك بالمسببات[1].

وكذلك قوله ﷺ: "**لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ؛ إِلَّا آذَنْتُمُونِي بِهِ حَتَّى أُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ بِصَلَاتِي عَلَيْهِ بَرَكَةً وَرَحْمَةً**"[2]، وقال ﷺ "**إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ عَلَى أَهْلِهَا ظُلْمَةً وَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ نُورًا**"[3].

"فالله سبحانه خلق الأسباب والمسببات، وجعل هذا سبباً لهذا، فإذا قال القائل: إن كان مقدوراً، حصل بدون سبب، وإلا لم يحصل، جوابه أنه مقدور بالسبب، وليس مقدورا بدون السبب، ولهذا قال من قال من العلماء: الالتفاتُ إلى الأسباب شركٌ في التَّوحيد ومحو الاسباب أن تكون أسبابًا تغييرٌ في وجه العقل؛ والاعراضُ عن الأسبابِ بالكلِّيَّةِ قدحٌ في الشَّرع، واَللَّه سُبحانه خلقَ الأسبابَ والمسبَّبات؛ وجعل هذا سببًا لهذا فإذا قال القائل إن كان هذا مقدَّرًا حصل بدون السَّببِ وإلَّا لم يحصل؛ جوابه أنَّه مقدَّرٌ بالسَّببِ وليس مقدَّرًا بدون السَّبب؛ كما قال النبي ﷺ: "**إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ؛ وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ**"[4]، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: "**كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ فِي جِنَازَةٍ فَقَالَ: مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنْ الْجَنَّةِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى الْكِتَابِ وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَه**

---

(1) انظر: الإبانة الكبرى، لابن بطة، (3/178، 177).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الجنائز/ الصلاة على القبر بعد ما يدفن، (2/89ح1337)].

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الجنائز/ الصلاة على القبر، (2/659ح956)].

(4) [مسلم: صحيح مسلم، القدر/ معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكمة موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، (4/2050ح2662)].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل:5-10][1]، وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا "أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْلَمْ أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَقَالَ: نَعَمْ فَقِيلَ لَهُ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ[2]".

فبيَّن النَّبيُّ ﷺ أنَّ اللَّهَ علم أهلَ الجنَّةِ من أهلِ النَّارِ وأنَّه كتب ذلك ونهاهم أن يتَّكلوا على هذا الكتابِ ويدعوا العمل كما يفعلهُ الملحدون[3].

الأمر الثاني: علم الله سابق على الكتابة:

من خلال ما سبق من الاحاديث النبوية نعلم علماً يقيناً أنَّ اللَّه علم أهل الجنَّة من أهل النَّار وأنَّهُ كتب ذلك ونهاهم أنْ يتَّكلوا على هذا الكتاب ويدعوا العمل كما يفعله الملحدون، وقال: كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ وَإِنَّ أَهْلَ السَّعَادَةِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَهْلُ الشَّقَاوَةِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يكون من البيان، وذلك أنَّ اللَّه سبحانه وتعالى يعلم الأمور على ما هي عليه وهو قد جعل للأشياء أسبابًا تكون بِها فيعلم أنَّها تكون بتلك الأسبابِ كما يعلم أنّ هَذا يولد له بأن يطأ امرأةً فيحبلها فلو قال هَذا: إذا علم اللَّهُ أَنَّه يولد لي فلا حاجة إلى الوطءِ كان أحمق؛ لأنَّ اللَّهَ علم أن سيكون بِمَا يقدّره من الوطءِ، وكذلك إذا علم أنَّ هذا ينبتُ له الزَّرع بما يسقيه من الماءِ ويبذره من الْحبّ فلو قال: إذا علم أن سيكون فلا حاجة إلى البذرِ كان جاهلًا ضالًّا؛ لأنَّ اللَّهَ علم أن سيكونُ بذلك وكذلك إذَا علم اللَّهُ أنَّ هذا يشبعُ بالأكل وهذا يروى بالشّرب وهذا يموتُ بالقتل فلا بدَّ من الأسبابِ الَّتي علِمَ اللَّهُ أنَّ هذه الأمور تكونُ بها، وكذلك إذا علم أنَّ هذا يكونُ سعيدًا في الْآخرَةِ وهذا شقيًّا في الآخرة قلنا: ذلك لأنَّهُ يعملُ بعملِ الأشقِيَاءِ فاللَّهُ علِمَ أنَّهُ يشقَى بهذا العمل فلو قيل: هو شقيٌّ وإن لم يعمل كَان باطلًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ لا يدخل النَّار أحدًا إلَّا بذنبهِ كما قال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:85]، فأقسم أنَّه يملؤها من إبليس وأتباعه ومن اتَّبع إبليس فقد عصى اللَّهَ تعالى[4].

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، القدر/ "وكان أمر الله قدراً مقدوراً"(8/123ح6605)، ومسلم، القدر/ كيفية خلق لآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وعادته،(4/2039ح 2647)].

(2) [البخاري: صحيح البخاري، القدر/جفَّ القلم على علم الله، وقوله تعالى:[وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ]، (8/122ح6596).

(3) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (8/ 67-68).

(4) المصدر السابق، (8/ 68-69).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمر الثالث: عقاب الله للعاصي بعد ما يعمل، لا قبل أن يعمل:

من رحمة الله أنه سبحانه لا يعاقب أحداً إلا بعد العمل، مع علمه سبحانه ماذا سيعمل، ولكن لكي تكون الأعمال شاهدة عليه يوم القيامة، قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية "ولا يعاقبُ اللَّهُ العبد على ما علم أنَّهُ يعمله حتَّى يعمله، ولهذا لمَّا "سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أطفال المشركين، قال: "**اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**"[1]، يعني أنَّ اللَّهَ يعلم ما يعملون لو بَلَغُوا، وقد روي أنَّهم في القِيامةِ يبعثُ إليهم رسولٌ فمن أطاعهُ دَخَلَ الجنَّةَ ومن عصاهُ دخل النَّار، فيظهرُ ما علمهُ فيهم من الطَّاعةِ والمعصية، وكذلكَ الجنَّةُ خلقها اللَّهُ لأهلِ الإيمان به وطاعته؛ فمن قدَّر أن يكون منهم يسَّرهُ للإيمانِ والطَّاعَةِ، فمن قال: أنا أدخلُ الجنَّةَ سواءٌ كنت مؤمنًا أو كافرًا إذا علِمَ أنّي من أهلها كانَ مُفتريًا على اللَّهِ في ذلكَ، فإنَّ اللَّهَ إنَّما علِمَ أنَّهُ يدخلها بالإيمان فإذا لم يكن معهُ إيمان لم يكن هذا هو الَّذِي علِمَ اللَّهُ أنَّهُ يدخلُ الْجنَّةَ بل من لم يكن مؤمنًا بل كافرًا فإنَّ اللَّهَ يعلمُ أنَّهُ من أهلِ النَّارِ لا من أهلِ الجَنَّةِ[2].

الأمر الرابع: لا يجوز ترك الدعاء، والاتّكال على القدر:

من لطفه بعباده، ونعمته العظيمة، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه، دعاء العبادة، ودعاء المسألة، ووعدهم أن يستجيب لهم، فقال سبحانه: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر:60]، وتوعد من استكبر عنها فقال:﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ أي: ذليلين حقيرين، يجتمع عليهم العذاب، والإهانة، جزاء على استكبارهم[3].[4]

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**".

وقال النبي ﷺ: "**لاَ يَرُدُّ القَضَاءَ إِلاَّ الدُّعَاءُ، وَلاَ يَزِيدُ فِي العُمْرِ إِلاَّ البِرُّ**"[5].

فالدعاء سبب في ردّ القضاء، كما أن صلة الرحم سبب في زيادة العمر، والعكس بالعكس، فالله سبحانه أمر عباده بالدعاء والذي يعد من الأسباب، ولذا يقول شيخ الإسلام ابنُ

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الجنائز، ما قيل في أولا المشركين، (100/2ح1383)،ومسلم: صحيح مسلم، القدر/ الله أعلم بما كانوا عاملين، (2048/4ح2658].

(2) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (8/ 69).

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص740).

(4) أبو داود: سنن أبي داود، باب الدعاء، (357/3، ح1472).

(5) [الترمذي: سنن الترمذي، القدر/لا يرد القدر إلا الدعاء، (16/4، ح2139)، وقال حديث حسن].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تيمية "ولهذا أمر النَّاس بالدّعاءِ والاستعانةِ باللَّهِ وغير ذلك من الأسباب، ومن قال: أنا لا أدعُو ولا أسألُ اتِّكالًا على القدرِ كان مخطئًا أيضًا؛ لأنَّ اللَّهَ جعل الدّعاءَ والسُّؤالَ من الأسبابِ الَّتي ينالُ بها مغفرته ورحمته وهداه ونصره ورزقه، وإذا قدَّر للعبد خيرًا يناله بالدّعاءِ لم يحصل بدون الدُّعاءِ وما قدَّره اللَّهُ وعلمه من أحوال الاعباد وعواقبهم فإنَّما قدَّره اللَّهُ بأسبابِ يسوق المقادير إلى المواقيتِ فليس في الدّنيا والآخرةِ شيءٌ إلَّا بسببِ واَللَّهُ خالق الأسبابِ والمسبَّباتِ، ولهذا قال بعضهم كما سبق الالتفاتُ إلى الأسبابِ شركٌ في التَّوحيد ومحو الأسبابِ أن تكون أسبابًا نقصٌ فِي العقل، أي لا يقول به عاقل، والإعراضُ عن الأسبابِ بالكلِّيَّةِ قدحٌ في الشَّرعِ ومخالفة له، ومجرَّدُ الأسبابِ لا يوجبُ حصولَ المسبَّبِ؛ فإنَّ المطر إذا نزل وبذر الحبُّ لم يكن ذلك كافيًا في حصول النَّباتِ بل لا بدَّ من ريح مربيةٍ بإذنِ اللَّهِ ولا بدّ من صرفِ الانتفاءِ عنه؛ فلا بدَّ من تمام الشّروطِ وزوالِ الموانعِ وكلُّ ذلك بقضاءِ اللَّهِ وقدره وكذلك الولد لا يولد بمجرَّد إنزالِ الماءِ في الفرج بل كم من أنزل ولم يولد له؛ بل لا بدَّ من أنَّ اللَّهَ شاء خلقهُ فتحبل المرأة وتربّيه في الرّحم وسائر ما يتمّ بهِ خلقه من الشّروطِ وزوالِ الموانعِ[1].

الأمر الخامس: أمر الآخرة بالأسباب وأخذها، لا بمجرد الأعمال:

العمل لا يدخل صاحبه الجنة، ولا ينال الإنسان السعادة بالعمل وكذلك الأجر، وإنما العمل سبب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكذلك أمر الآخرة ليس بمجرَّد العمل ينالُ الإنسان السّعادة بل هِي سببٌ ولهذا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ "**إِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ**"[2]، وقد قال الله: ﴿**ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ**﴾ [النحل:32]، فهذه باءُ السَّببِ أي: بسببِ أعمالكم والَّذي نفاه النَّبِيُّ ﷺ باءُ المقابلةِ كما يقالُ: اشتريت هذا بهذا أي: ليس العمل عوضًا وثمنًا كافيًا في دخولِ الجنَّةِ بل لا بدَّ من عفوِ اللَّهِ وفضلهِ ورحمتهِ فبعفوهِ يمحو السَّيِّئَاتِ وبرحمتهِ يأتي بالخيراتِ وبفضلهِ يضاعف البركاتِ"[3].

---

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (8/ 69-70).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الرقاق/القصد والمداومة على العمل، (8/98ح6463)، ومسلم: صحيح مسلم، صفة القيامة والجنة والنار/لن يدخل الجنة أحد بل برحمة الله تعالى(4/2169ح2816)].

(3) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (8/71).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأما قوله سبحانه: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:32]، أي: من الإيمان بالله والانقياد لأمره، فإن العمل هو السبب والمادة والأصل في دخول الجنة والنجاة من النار، وذلك العمل حصل لهم برحمة الله ومنته عليهم لا بحولهم وقوتهم[1].

2- مخالفة العادة للأسباب الشرعية:

قال ابن القيم رحمه الله:" السبب قد يتخلَّفُ عنه مسبَّبه لفوات شرط، أو لوجود مانع"[2]، فمن توضأ أو صلى أو استغفر أو ذكر الله، ونحو ذلك، فقد أتى سببا من أسباب المغفرة، وهذا وحده لا يكفي في حصولها، حتى تتوافر له كل شروطها، وتنتفي عنه موانعها.

قال ابن رجب رحمه الله: "وقد ورد ترتُّب دخول الجنة على فعلِ بعض هذه الأعمال كالصَّلاةِ، ففي الحديث المشهور: "**من صلَّى الْصلَوَاتِ لِوَقْتِهَا، كَانَ لَهُ عِندَ اللهِ عَهْدٌ أنْ يُدخِلَهُ الجنّة**"[3]، وفي الحديث الصحيح: "**من صلَّى البَرْدَين دخل الجنة**"[4]، وهذا كلُّه من ذكر السبب المقتضي الذي لا يعمل عمله إلاَّ باستجماع شروطه، وانتفاء موانعه، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أنَّ ارتكاب بعضِ الكبائر يمنع دخولَ الجنَّة، كقوله ﷺ "**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قاطع**"[5]، وقوله: "**لَا يَدْخُلِ الْجَنّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مَنْ كِبْرٍ**"[6]، وقوله: "**لا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤمِنوا، وَلَا تُؤْمِنوا حتَّى تحابُّوا**"[7]، والأحاديث التي جاءت في منع دخول الجنَّة بالدَّينِ حتى يُقضى.

وفي الصَّحيح: "**أنَّ المؤمنين إذا جازوا الصِّراطَ، حُبِسُوا على قَنْطَرَةٍ يَقْتَصُّ مِنْهُمْ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الْدّنيا**"[8].

وقال بعض السَّلف: إنَّ الرجل ليحبسُ على باب الجنَّةِ مئة عام بالذنب كان يعمله في الدنيا. فهذه كُلُّها موانع[9].

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص 439).

(2) زاد المعاد، ابن القيم، (271/4)، وجامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، (ص392).

(3) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائيّ، وابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت ﷺ، وصححه ابن حبان.

(4) [البخاري: صحيح البخاري، مواقيت الصلاة/ فضل صلاة الفجر، (119/1ح574)، ومسلم، المساجد ومواضع الصلاة/ فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، (440/1ح635)].

(5) [البخاري: صحيح البخاري، الأدب/ إثم القاطع، (5/8ح5984)].

(6) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ تحريم الكبر وبيانه، (93/1ح91)].

(7) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ بيان أنه لا يدخل الجنة إلا...، (74/1ح54)].

(8) [البخاري: صحيح البخاري، المظالم/ قصاص المظالم، (128/3ح2440)].

(9) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، (621/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن هنا يظهرُ معنى الأحاديث التي جاءت في ترتيب دخول الجنَّة على مجرَّد التوحيد، ففي الصحيحين عن أبي ذرٍّ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: "**ما مِنْ عبدٍ قال: لا إله إلاَّ الله، ثمَّ مات على ذلك إلاَّ دخل الجنَّة**"، **قلت: وإنْ زنى وإنْ سرق؟! قالَ: "وإنْ زنى وإنْ سرق"، قالها ثلاثاً، ثم قال في الرابعة: "على رغم أنف أبي ذرٍّ"، فخرج أبو ذرٍّ، وهو يقول: وإنْ رغم أنفُ أبي ذرٍّ**"[1].

فقال طائفةٌ من العلماء: إنَّ كلمة التوحيد سببٌ مقتضٍ لدخول الجنَّة وللنجاة من النَّارِ، لكن له شروطٌ، وهي الإتيانُ بالفرائضِ، وموانعُ؛ وهي إتيانُ الكبائر.

قال الحسن للفرزدق: إنَّ لـــ "لا إله إلا الله" شروطاً، فإيَّاكَ وقذفَ المحصنة، ورُوي عنه أنَّه قال: هذا العمودُ، فأين الطُّنُبُ؟! يعني: أنَّ كلمةَ التوحيد عمودُ الفسطاط، ولكن لا يثبتُ الفسطاطُ بدون أطنابه، وهي فعل الواجبات، وترك المحرَّمات.

وقيل للحسن: إنَّ ناساً يقولون: من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنَّة؟!

فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدَّى حقَّها وفرضها، دخلَ الجنَّةَ.

وقيل لوهب بنِ مُنبِّه: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنَّة؟

قال: بلى؛ ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنانٌ فتح لك، وإلاَّ لم يفتح لك "[2].

وفي الصَّحيحينِ عن ابن مسعودٍ ﷺ قال: حدَّثَنَا رسول الله ﷺ وهو الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ "**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيُقَالُ اُكْتُبْ رِزْقَهُ وَعَمَلَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، قَالَ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا**"[3]، فبيَّن النبي ﷺ هذا يدخل

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، اللباس/ الثياب الأبيض، (149/7ح5827)].

(2) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، (621/2-624).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، بدء الخلق/ ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، (111/4ح 3208)،ومسلم، صحيح مسلم، القدر/ كيفية خلق لآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، (2036/4ح2643)].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجنَّة بالعمل الَّذي يعمله ويختم له به وهذا يدخل النَّار بالعملِ الَّذي يعمله ويختم له به كما قَالَ ﷺ "**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ**"[1] وذلك لأنَّ جميع الحسناتِ تحبطُ بالرِّدَّةِ وجميع السَّيِّئَاتِ تغفرُ بالتَّوبةِ، ونظير ذلك من صامَ ثمَّ أفطَرَ قبل الغروبِ أو صلَّى وأحدث عمدًا قبل كمال الصَّلاة بطل عمله[2].

3- مخالفة العادة لمن تواكل ولم يتوكل، أي: لم يأخذ بالأسباب المرعية:

قال ابن القيم: "لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا"[3]، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِسَعْدٍ: "**عَسَى أَنْ تُخَلَّفَ فَيَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ**"[4]، فكيف يمكن أن يشهد أنَّ اللَّهَ لم ينصب على توحيدِهِ دليلًا، ولا جعل للنَّجاةِ من عذابه وسيلةً، ولا جعل لما يفعله المتوكِّلُ من عباده سببًا، وهو مسبِّبُ الأسبابِ، وخالقُ كلَّ شيءٍ بسببٍ منه، لكنَّ الأسباب كما قال العلماء: "الالتفاتُ إلى الأسبابِ شركٌ في التَّوحيدِ، ومحو الأسبابِ أن تكون أسبابًا تغييرٌ في وجه العقلِ، والاعراضُ عن الأسبابِ بالكلِّيَّةِ قدحٌ في الشَّرعِ"[5].

والتَّوكُّلُ معنًى يلتئم من معنى التَّوحيد والعقل والشَّرعُ، فالموحِّد المتوكِّلُ لا يلتفتُ إلى الأسبابِ، بمعنى أنَّهُ لا يطمئنُّ إليها، ولا يثقُ بها، ولا يرجوها، ولا يخافها، فإنَّه ليسَ في الوجود سببٌ يستقلُّ بحكمٍ، بل كلُّ سببٍ فهو مفتقرٌ إلى أمورٍ أخرى تُضمُّ إليه، وله موانعُ وعوائقُ تمنع موجبه، وما ثَمَّ سببٌ مستقلٌّ بالإحداث إلّا مشيئة اللَّهِ وحده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وما شاءَ خلقه بالأسبابِ الَّتي يحدثها ويصرفُ عنهُ الموانعَ[6].

وما سبق مِن علمه وحكمه فهو حقٌّ، وقد عَلِمَ وحكم بأنَّ الشَّيء الفلانيَّ يحدثه هو سبحانهُ - بالسَّببِ الفلانيِّ، فمن نظر إلى علمه وحكمه فليشهد الحدوث بِما أحدثه، وإذا نظر إلى الحدوث بلا سببٍ منه لم يكن شهوده مطابقًا لعلمه وحكمه، فمن شهد أنَّ اللَّهَ تعالى خلقَ الولد لا من أبوينِ لسبق علمه وحكمهِ؛ فهذا شهودهُ عمًى، بل يشهد أنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى سبقَ

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، القدر/ العمل بالخواتيم، (124/8ح6607)].

(2) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (140/8).

(3) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، (13/4).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ "اللهم أمض لأصحابي هجرتهم" ومرثيته لمن مات بمكة، (68/5ح3936)].

(5) منهاج السنة، ابن تيمية، (366/5-367).

(6) المصدر السابق، (5، ص367-369).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علمه وحكمهُ بأن يخلقَ الولد من الأبوينِ، والأبوانِ سببٌ في وجوده، فكيفَ يجوز أن يقال: إنَّهُ سبقَ علمهُ وحكمهُ بحدوثه بلا سببٍ، وإذا كان علمهُ وحكمهُ قد أثبتَ السَّببَ، فكيفَ أشهَد الأمورَ بِخِلَافِ مَا هِيَ "عَلَيْهِ" فِي عِلْمِهِ وَحُكْمِهِ؟

والعللُ الَّتي تُنفى نوعان:

أحدهما: أن تعتمد على الأسبابِ وتتوكَّلَ عليها وهذا شركٌ محرَّمٌ.

والثَّاني: أن تترك ما أمرت به من الأسبابِ، وهذا أيضًا محرَّمٌ.

بل، عليك أن تعبدهُ بفعل ما أمرك به من الأسبابِ، وعليك أن تتوكَّل عليه في أن يعينك على ما أمرك به، وأن يفعل هو ما لا تقدر أنت عليه بدون سببٍ منك، فليست العلّة إلّا ترك ما أمرك به الرَّبُّ أمر إيجابٍ أو استحبابٍ، ومن فعل ما أمر به كما أمر به فليس عندهُ علَّةٌ، لكن قد يجهلُ حقيقة ما أمر به "كما أمر به" فيكونُ منهُ علَّةٌ.

وقولُ القائل: " يسلكُ سبيل إسقاطِ الحدث، إن أراد أنِّي أعتقد نفيَ حدوثِ شيءٍ، فهذا مُكابرةٌ وتكذيبٌ بخلق الرَّبِّ وجحدٌ للصَّانع، وإن أراد أنّي أسقط الحدث من قلبي فلا أشهدُ محدثًا – وهو مرادهم – فهذا خلافُ ما أمرتُ به، وخلافُ الحقِّ.

بل قد أمرت أن أشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ، وأنَّ محمَّدًا رسول اللَّهِ، وأشهد حدوث المحدثاتِ بمشيئته بما خلقه من الأسبابِ، ولما خلقه من الحكم، وما أمرت أن لا أشهد بقلبي حدوث شيءٍ قطُّ، وقول القائل: " يفنى من لم يكن، ويَبقى من لم يزل " إن أراد أنَّه يبقى على الوجه المأمورِ "به" بحيث يشهد أنَّ الحقَّ هو المحدثُ لكلِّ ما سواهُ بما أحدثهُ من الأسبابِ، ولما أرادهُ من الحكمةِ، فهذا حقٌّ، وإن أراد أنِّي لا أشهدُ قطُّ مخلوقًا، بل لا أشهد إلَّا القديم فقط ; فهذا نقصٌ في الإيمانِ والتَّوحيدِ والتَّحقيق، وهذا من باب الجهل والضَّلال، وهذا إذا غلب على قلبِ العبد كان معذورًا، أمَّا أن يكون هذا ممَّا أمر اللَّهُ به ورسولهُ ; فهذا خلافُ الكتابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ[1].

4- مخالفة عقيدة العادة لاحاديث الرقية:

تخالف عقيدة العادة لأحاديث الرقية، فقد جاء الحث على التداوي وربط الأسباب بالمسببات، فقد روى مسلم فِي " صَحِيحِهِ ": مِنْ حَدِيثِ أبي الزبير، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عن النبي ﷺ، أنه قال "**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ، بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**"[2].

---

(1) منهاج السنة، ابن تيمية، (367/5)،وانظر: مدارج السالكين، ابن القيم، (463/3).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، السلام/ لكل داء دواء واستحباب التداوي، (1170/69، ح2204)].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ دَاءٍ إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً**"[1].

وفِي سنن الترمذي عَنْ أَبِي خزامة، قَالَ: قُلْتُ: يا رسول الله "**أَرَأَيْت أَدْوِيَةً نَتَدَاوَى بِهَا، وَرُقًى نسترقي بِهَا؛ وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا؛ هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا؟ فَقَالَ هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ**"[2] فَبَيَّنَ ﷺ أَنَّهُ يردُّ قدر اللَّهِ بقدر اللَّهِ إمَّا دفعًا وإمَّا رفعًا، إمَّا دفعًا لِمَا انعقد سببٌ لوجوده، وإمَّا رفعًا لِمَا وجد كرفعِ المرضِ ودفعه، ومن هذا قولهُ تعالى: ﴿**لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ**﴾ [الرعد:11]، قيل: معقِّباتٌ من أمر اللَّهِ يحفظونه، وقيل: يحفظونه من أمر اللَّهِ الَّذي ورد ولم يحصل، يحفظونه أن يصلَ إليه، وحفظهم بأمر اللَّهِ[3].

قال ابن القيم: فقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات، وإبطال قول من أنكرها والأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، بل ولا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعاً، وإذا تقرر هذا، فإذا كان هذا الدواء مما جعله الله شفاء لداء معين، فاستعمله صاحب الداء، برأ بإذن الله، وتعجل له بسبب ذلك الشفاء بإذن الله، لكن لا بد من اعتماد القلب على الله في حصول الشفاء؛ لأن الشفاء لا يكون إلا بإذنه كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ**﴾ [الشعراء:80]، وقوله: ﴿**وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ**﴾ [الأنعام:17]"[4].

مخالفة العادة لأحاديث المعوذات:

روى مسلم في صحيحه من حديث قيس بن حازم عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: "**أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**".

وفي لفظ آخر من رواية محمد بن إبراهيم التيمي عن عقبة: أن رسول الله ﷺ قال له "**أَلاَ أُخْبِرُكُ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾** [الفلق:1]، و﴿**قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ**﴾ [الناس:1] **هُمَا الْمُعَوِّذَتَانِ**"[5].

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الطب/ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، (1005/76، ح5678)].

(2) [الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الطب/ ما جاء في الرقى والأدوية، (ح2065)،وقال حديث حسن].

(3) انظر: منهاج السنة، ابن تيمية، (232/3).

(4) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، (13/4).

(5) [مسلم: صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها/ فضل قراءة المعوذتين، (558/1ح814)].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي الترمذي: عن عقبة بن عامر؛ قال: "**أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم أَنْ أَقْرَأَ بِالمُعَوِذَتَيْنِ فِي دُبِرِ كُلِ صَلَاَةٍ**"[1].

وفي الترمذي وغيره؛ عن عبد الله بن حبيب؛ قال: "**خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ، نَطْلُبُ النَّبِي ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْنَاهُ، فَقَالَ: قُلْ. فَلَمْ أَقُلْ شَيْئَاً. ثُمَّ قَالَ: قُلْ. فَلَمْ أَقُلْ شَيْئَاً. ثُمْ قَالَ: قُلْ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوُذَتَيْنِ، حِيْنَ تُمْسِي وَحِيْنَ تُصْبِحَ، ثَلَاَثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيْكَ مِنْ كُلِّ شَيءٍ**"[2].

وعن عائشة "**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَفَثَ فِي كَفَّيْهِ بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَد وَالْمُعَوِّذَتَيْن جميعًا، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، قَالَتْ عَائِشَةَ: فَلَمّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرَنِي أَنَ أَفعَلَ ذَلَكَ بِهِ**"[3].

وعن عائشة؛ "**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى، يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ، كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُ عَنْهُ بِيَدِهِ، رَجَاءَ بَرَكَاتِهَا**"[4].

وعن عائشة "**كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنَا أَنْفُثُ عَلَيهِ بِهِنَّ وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا، وقال: قَال مُعَمَّرُ: سَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ كَيفَ يَنْفُثُ؟ فَقَال: كَانَ يَنْفُثُ عَلَى يَدَيهِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ**"[5].

وهذا هو الصواب: أن عائشة كانت تفعل ذلك، والنبي ﷺ لم يأمرها ولم يمنعها من ذلك، وأما أن يكون استرقى وطلب منها أن ترقيه، فلا ولعل بعض الرواة رواه بالمعنى، فظن أنها لما فعلت ذلك وأقرها النبي ﷺ: أنه كان يأمرها، وفرق بين الأمرين، ولا يلزم من كون النبي ﷺ قد أقرها على رقيته أن يكون هو مسترقيا؛ فليس أحدهما بمعنى الآخر، ولعل الذي كان يأمرها به: إنما هو المسح على نفسه بيده؛ فيكون هو الراقي لنفسه ويده لما ضعفت عن التنقل على سائر بدنه أمرها أن تنقلها على بدنه، ويكون هذا غير قراءتها هي عليه، ومسحها على بدنه، فكانت تفعل هذا وهذا، والذي أمرها به إنما هو نقل يده لا رقيته، والله أعلم[6].

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، فضائل القرآن/ ما جاء في المعوذتين، (ح2903)، قال الألباني صحيح، (171/5)].

(2) [الترمذي: سنن الترمذي/ الدعوات، (ح3575)].

(3) [البخاري: صحيح البخاري، فضائل القرآن،/ فضل المعوذات، (190/6ح5017)]

(4) [المصدر السابق، (ح5016)].

(5) [البخاري: صحيح البخاري، الطب/ الرقى بالقرآن والمعوذات، (131/7ح5735)].

(6) تفسير القيم، ابن القيم، (ص599-601).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والفائدة المأخوذة من هاتين السورتين؛ وبيان عظيم منفعتهما، وشدة الحاجة بل الضرورة إليهما، وأنه لا يستغني عنهما أحد قطّ، وأن لهما تأثيراً خاصاً في دفع السحر والعين، وسائر الشرور، وأن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس[1].

المطلب الرابع

مخالفة عقيدة العادة لما كان عليه السَّلف والإجماع

أولاً: مخالفة عقيدة العادة لما كان عليه السَّلف:

سبق أن أشرنا إلى تعريف السَّلف، فالسَّلف هم صدر هذه الأمّة في التحليل والتحريم من الصحابة الكرام والتّابعين، والأئمّة الأعلام العدول، ممن اتفقت الأمة على إمامتهم في الدين، وعُرف عِظمُ شَأنِهِ في الدِّينِ، وتلقى المسلمون كلامهم-خلفاً عن سلف- بالرضا والقبول، كالأئمة الأربعة، دون من رُميَ ببدعةٍ، أو شُهِرَ بلقبٍ غير مرضيٍّ.

ومن هنا كان للسَّلف موقف سليمٌ بالنسبة لـــ"عقيدة العادة" التي جاء بها الأشاعرة، فالسَّلف يخالفون عقيدة الأشاعرة، التي تقوم على نفي الأسباب والمسببات، فالسَّلف يثبتون القدر، ويقولون بأن العبد فاعل لفعله حقيقة، ويقولون: إن للإنسان قدرة واستطاعة ولا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعة، بل يثبتون ما أثبته الشرع، وحول هذا الكلام وبما معناه يقول السفاريني: "وأما مذهب السَّلف الصالح المثبتون للقدر من جميع الطوائف؛ فإنهم يقولون: إن العبد فاعل لفعله حقيقة، وإن له قدرةً واستطاعةً حقيقيةً، ولا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية؛ بل يقرون بما دل عليه الشرع والعقل من أن الله تعالى ينبت النبات بالماء، وأن الله يخلق السحاب بالرياح وينزل الماء بالسحاب، ولا يقولون القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها؛ بل يقرون بأن لها تأثيرًا لفظًا ومعنى، ولكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الأسباب في مسبباتها والله تعالى خالق السبب والمسبب"[2].

وقال شيخ الإسلام ابنُ تيمية: "الأعمال والأقوال والطاعات والمعاصي من العبد بمعنى أنها قائمة به، وحاصلة بمشيئته وقدرته، وهو المتصف بها والمتحرك بها، ويعود حكمها عليه، وهي من اللَّه تعالى؛ بمعنى أنه خلقها قائمة بالعبد، وجعلها عملًا له وكسبًا، فهي

---

(1) تفسير القيم، ابن القيم، (ص601).

(2) لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية "شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية"، (142/2)، السفاريني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من اللَّه مخلوقة له، ومن العبد صفة قائمة به، واقعة بقدرته وكسبه، كما إذا قلنا هذه الثمرة من الشجرة، وهذا الزرع من الأرض بمعنى أنه حدث منها ومن اللَّه بمعنى أنه خلقه منها، فالحوادث تضاف إلى خالقها باعتبار وإلى أسبابها باعتبار"[1].

والحاصل أن مذهب السَّلف ومحققي أهل السُّنة أن اللَّه تعالى خلق قدرة العبد وإرادته وفعله، وأن العبد فاعل لفعله حقيقة، ومحدث لفعله، واللَّه تعالى هو الذي جعله فاعلًا محدثًا له قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:30]، فأثبت مشيئة العبد وأخبر أنها لا تكون إلا بمشيئته تعالى، وهذا صريح قول أهل السُّنة في إثبات مشيئة العبد وأنها لا تكون إلا بمشيئة الرب، قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية: "وبالجملةِ فجمهورُ أهلِ السُّنَّةِ من السّلفِ والخلفِ يقولون: إنَّ العبد لهُ قدرةٌ وإرادةٌ وفعلٌ، وهو فاعلٌ حقيقةً، واللَّهُ خالق ذلك كلّه كما هو خالقُ كلِّ شيءٍ، كما دلَّ على ذلك الكتابُ والسُّنَّةُ"[2]، قال الله تعالى: مخبراً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة:128]، وقال تعالى: أيضاً عَنْ إِبْرَاهِيمَ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [إبراهيم:39-40]، وقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:24]، وقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:73]، وقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج:19-21]، فأخبر أنَّ اللَّهَ يجعلُ المسلم مسلمًا، والمقيم للصَّلاة مقيم الصَّلاة، والإمام الهادي إمامًا هاديًا[3]، وقال: عن المسيحِ عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم:31-32]، فبيَّن أنَّ اللَّهَ هو الَّذي جعلهُ برًّا بوالدته ولم يجعله جبَّارًا شقيًّا، وهذا صريح قول أهل السُّنَّةِ في أنَّ اللَّهَ خالقُ أفعال العباد، وقال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ﴾ [القصص:41]، وقَد قَال تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:28-29]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان:29-30]، وقَولُهُ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾ [المدثر:54-55]، فأثبت مشيئَة العبد، وأخبر أنها

---

(1) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، (3/110 – 114).

(2) المصدر السابق، (3/110).

(3) المصدر السابق، (3/110).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا تكونُ إلَّا بمشيئَةِ الرَّبِّ، وهذا صريحُ قول أهل السُّنَّةِ في إثباتِ مشيئةِ العبد، وأنَّها لا تكونُ إلَّا بمشيئةِ الرَّبِّ، وقد أخبر أنَّ العباد يفعلون ويصنعون ويعملون ويؤمنون ويكفرون ويتَّقون ويفسقون ويصدقون ويكذبون ونحو ذلك في مواضعَ كثيرةٍ، وأخبر أنَّ لهم استطاعةً وقوَّةً في غير موضعٍ، وأئمَّة أهل السُّنَّةِ وجمهورهم يقولون: إنَّ اللَّهَ خالق هذا كلِّه، والخلقُ عندهم ليسَ هو المخلوق، فيفرِّقون بين كون أفعال العباد مخلوقةً مفعولةً للرَّبِّ، وبين أن يكون نفس فعله الَّذِي هو مصدر فعلٍ يفعل فعلًا، فإنَّها فعلٌ للعبد بمعنى المصدر، وليست فعلًا للرَّبِّ بهذا الاعتبار، بل هي مفعولةٌ لهُ، والرَّبُّ تعالى لا يتَّصف بمفعولاته، إلى أن قال وأمَّا أئمَّةُ أهلِ السُّنَّةِ وجمهورهم فيقولون بِما دلَّ عليه الشَّرع والعقلُ[1].

هذا قول جمهور أهل السُّنة من جميع الطوائف، وهو قول كثير من أصحاب الأشعري؛ كأبي إسحاق الإسفرائيني والجويني وغيرهما؛ فيقولون: العبد فاعل لفعله حقيقة، وله قدرة واختيار وقدرته، مؤثرة في مقدورها، كما تؤثر القوى والطبائع والأسباب، كما دل على ذلك الشرع والعقل[2]، قال تعالى: ﴿**فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ**﴾ [الأعراف:57]، وقد أثبت للعبد استطاعة فقال تعالى: ﴿**فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن:16]، وقال: ﴿**أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ**﴾ [فصلت:15]، وقال: ﴿**تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا**﴾ [الأحقاف:25]، وقال: ﴿**وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ**﴾ [الحجر:22]، وقال النَّبِيُّ ﷺ "لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: "**إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ**" **فَقَالَ: أَخُلُقَيْنِ تَخَلَّقْتُ بِهِمَا أَمْ خُلُقَيْنِ جُبِلْتُ عَلَيْهِمَا؟ فَقَالَ: "بَلْ خُلُقَيْنِ جُبِلْتَ عَلَيْهِمَا" فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ**".[3]

فالسَّلف يثبتون فاعلية لقدرة الإنسان، وأثرًا للأسباب الطبيعية، ولكن يشترطون عدم استقلالية الفاعلية والأثر، أي مرتبطة بالله سبحانه وتعالى، وهذا هو ظاهر القرآن الذي أثبت للإنسان فعلاً، وللماء أثرًا وهكذا، والجميع في النهاية يكون بخلق الله، فالخلق يتم في بعض صوره بوسائط هي قوى أودعها الله في مخلوقاته، فهو يخلق الأسباب ببعضها، ويجعل هذا سبباً لهذا، ولذا يقول شيخ الإسلام ابنُ تيمية: "والله سبحانه خلق الأسباب والمسببات وجعل هذا سببًا لهذا، فإذا قال القائل: إن كان مقدورًا، حصل بدون السبب وإلا لم يحصل جوابه أنه

---

(1) منهاج السنة، ابن تيمية، (3/111-113).

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ إطلاق اسم الإيمان على ما جعله في حديث جبريل إسلاماً، (1/48ح18)].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدور بالسبب وليس مقدورًا بدون السبب.. ودلل على ذلك بالأدلة"[1]، ومعنى كلام شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله أنه لا غنى للأسباب عن المسببات، ولا المسببات في غنى عن الأسباب، لكن الأسباب ليست علة تامة تستقل بإحداث المسببات، "ومعلوم أنه ليس في المخلوقات شيء وحده علة تامة وسببًا تامًا للحوادث؛ بمعنى أن وجوده مستلزم لوجود الحوادث، بل ليس هذا إلا لمشيئة الله خاصة"[2]، وهذا هو الإنصاف الذي جاء به القرآن في نسبة الفعل والإحداث، فهو لم يغلُ في نسبته إلى الطبيعة بإنكار صنع الإله الحق؛ كما أنه لم يقض على ما يشاهده الناس بعيونهم ويجربونه بأنفسهم بإلغاء أثر القوى الكامنة في الطبيعة؛ فأثبت الجميع وقال للإنسان: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير:28-29]، وقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:30]، أي لا يتحقق لك صنع وعمل باستقلال حتى أشاء أنا أي الله سبحانه وتعالى؛ "خلق الله تعالى الأشياء لا من شيء وكان الله تعالى عالما في الأزل بالأشياء قبل كونها، وهو الَّذي قدر الأشياء وقضاها ولا يكون في الدُنيا ولا في الآخرة شيء الا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره وكتبه في اللَّوح المحفوظ، ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم والقضاء والقدر والمشيئة صفاته في الأزل؛ بلا كيف يعلم الله تعالى في المعدوم في حال عدمه معدوما، ويعلم انه كيف يكون إذا أوجده ويعلم الله الموجود في حال وجوده، ويعلم انه كيف فناؤه، ويعلم الله القائم في حال قيامه قائما، وإذا قعد فقد علمه قاعدا في حال قعوده"[3].

وقال العلامة محمد بن علي بن سلوم: "ومذهب سلف الأمة وأئمتها من جمهور أهل السُّنة يقولون: إن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأن له قدرة حقيقية، واستطاعة حقيقية، ولا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية، بل يقرون بما دل عليه الشرع والعقل، ولا يقولون القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات، لا تأثير لها بل يقرون بأن لها تأثيرًا"[4]، وينقل لنا السفاريني أدلة من القرآن ويشرح ما فيها من المعاني؛ "فالحوادث تضاف إلى خالقها باعتبار، وإلى أسبابها

---

(1) مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية، (332/5).

(2) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (133/8)، وانظر: له، مجموعة الرسائل، (327/5).

(3) الفقه الأكبر، مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة، (ص29)، تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس، لأبي حنيفة النعمان، مكتبة الفرقان – الإمارات العربية، ط1، 1419هـ، 1999م.

(4) مختصر لوامع الأنوار البهية، محمد بن علي سلومة، (ص212)، وانظر: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد بم عبد الرحمن الخميس، (ص 530، 531، 534).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

باعتبار، كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص:15]، وقال: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف:63]، مع قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [النساء:78]، وأخبر أن العباد يفعلون ويصنعون ويعملون ويؤمنون ويكفرون ويفسقون، وأن العبد فاعل لفعله حقيقة؛ فقولهم: في خلق فعل العبد بإرادته وقدرته؛ كقولهم في خلق سائر الحوادث بأسبابها، وقد دلت الدلائل اليقينية على أن كل حادث فالله خالقه وفعل العبد من جملة الحوادث، والحاصل؛ أن مذهب السَّلف ومحققي أهل السُّنة إن الله تعالى خلق قدرة الإنسان وإرادته وفعله، وأن العبد فاعل لفعله حقيقة، ومحدث لفعله والله سبحانه جعله فاعلاً له محدثًا له"[1]، وقوله إن محققي السُّنة يقولون بما يقول به السَّلف؛ فهذا حق ولهذا جاء في كتب الأشاعرة المحققة قول العلامة الشيخ إبراهيم المذاري: "ما يدل على أن الأشعري إنما نفى الاستقلال لا أصل التأثير بإذن الله تعالى، ما هو المعتمد في معتقده الموافق للكتاب والسُّنة، كما أن: إمام الحرمين فيما ذكره في النظامية موافق للأشعري في التحقيق المعتمد عنده في الإبانة، وقال أيضًا: "فإن هذا الكلام من الشيخ الأشعري صريح في وقوع الفعل بقدرة محدثة، والوقوع فرع التأثير وغاية الأمر أنه لم يطلق على العبد أنه خالق أدبًا، فهو كما قال إمام الحرمين واستحال إطلاق القول بأن العبد خالق لأعماله؛ فإن فيه الخروج عما درج عليه السَّلف"[2]، وقد قال الجويني تصريحًا لا تلميحًا بأثر قدرة العبد فقال: "ففي المصير إلى أنه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون"[3]، فهل هذا الحكم من الجويني يلزم كل من أنكر أثر الأسباب، وقد نقل السفاريني عن محققي أهل السُّنة الاتفاق في هذه المسألة؛ فقال: "وإنما ذكرت لك أقاويل هؤلاء-أي المحققين من علماء الأشاعرة- مع أن عمدة المعتقد عندنا الغير المنتقد في عقدنا مذهب السَّلف المقرر على الوجه المرضي المحرر لتعلم أن محققي الأشاعرة لهم موافقة على حقيقة مذهب السَّلف والإغضاء عما ينمقه الخلف"[4]، والذي يرجع إلى التحقيق في هذه المسألة يجد

---

(1) لوامع الأنوار البهية، السفاريني، (1/ 314).

(2) اللمعة في تحقيق مباحث الوجود والحدوث والقدر وأفعال العباد، المذاري، (ص57، 60).

(3) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، الجويني، (ص 43، 44)، وانظر: إشارات المرام من عبارات الإمام، البياضي، (ص 255، 256)، وانظر: الإبانة، الأشعري، (ص191، 196، 238).

(4) لوامع الأنوار البهية، السفاريني، (1/ 319).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن لمحققي الأشاعرة قولين أو فهمين، فالجويني له رأي في الإرشاد متقدم؛ يقول فيه بعدم تأثير قدرة الإنسان[1]، وخالفه في آخر كُتبه وقال بأن لها تأثيرًا ونصه: "قدرة العبد مخلوقة لله تبارك وتعالى باتفاق العالمين بالصانع، والفعل المقدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعًا ولكنه مضاف إلى الله تبارك وتعالى تقديرًا وخلقًا"[2]، وما ذهب إليه الإمام الجويني لم يرق للشهرستاني؛ فادعى أنه ليس مذهبًا للإسلاميين، بل جاء به من عند الفلاسفة "وهذا الرأي إنما أخذه من الحكماء الإلهيين وأبرزه في معرض الكلام، إلى أن قال: ومن العجب أن مأخذ كلام الإمام أبي المعالي إذا كان بهذه المثابة فكيف يمن إضافة الفعل إلى الأسباب حقيقة"[3].

الخلاصة: والحق أن ما ذهب إليه إمام الحرمين الجويني ليس بدعًا من القول ولا زوراً، ولا جيء به من مصدر بعيد، بل هو ما قال به السَّلف والمحققون من أهل السُّنة وهو ظاهر القرآن الكريم ومعناه.

وبهذا يتبين لنا أن البغدادي وقع في خطأ حينما زعم أن الإجماع قام على أن الأجسام لا تختلف بالطبائع، وخطأ حكمه الذي رتبه على ذلك وهو الضلال، بل العكس هو الصحيح أن السلف ومحققي أهل السُّنة كأبي الحسن الأشعري والإمام الجويني اتفقوا على ما نص عليه ظاهر القرآن وإن اختلف النقل عنهم أحياناً كما بيناه وهو ما توصل إليه البوطي، وهو يعلق على كلام الغزالي في نص له يُسلم بوجود قوى كامنة في الأشياء "وتحليل الغزالي هذا أقرب إلى الانسجام مع التعليلات العلمية لظواهر الأشياء؛ وتكويناتها، وختمه بقوله: إلا أنه أبعد عن مسلك الجمهور وما اتفق عليه"[4].

والخلاصة: أن السَّلف يثبتون مشيئة للعبد، ولكن هذه المشيئة تابعة لمشيئة الربّ خلافاً للمعتزلة الذين يقولون: إنّ مشيئة العبد منفصلةً عن مشيئة الربّ وأنها مستقلة[5].

---

(1) انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة، الجويني، (ص217).

(2) العقيدة النظامية، الجويني، (ص46، 47)، وانظر: إشارات المرام، البياضي، (ص256).

(3) الملل والنحل، الشهرستاني، (299/1).

(4) كبرى اليقينيات، البوطي، (ص309)، وانظر: العقيدة النظامية الجويني، (ص43).

(5) انظر: عقيدة العادة عند الأشاعرة، السميري، (ص25-28).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: مخالفة عقيدة العادة للإجماع:

قبل أن نتعرف على مخالفة عقيدة العادة لإجماع السَّلف، فإنه يتطلب منّيِّ التعريف بالإجماع لغةً واصطلاحاً:

تعريف الإجماع لغةً:

الإجماع مصدر أجمع، والجيم والميم والعين أصل واحد يدل على انضمام الشيء[1]، وأجمعت كذا، أكثر ما يُقال فيما يكون جمعًا يتوصل إليه بالفكرة[2]، ومنه قول اللَّه: ﴿**فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ**﴾ [يونس:71]، وقول اللَّه: ﴿**فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ**﴾ [طه:64]، وقال الفراء: "الإجماع: العزم على الأمر والإحكام عليه، تقول: أجمعت الخروج وأجمعت عليه"[3]، ومنه قول ابن عمر –رضي اللَّه عنهما–: "**أُصَلِّي صَلَاةَ المُسَافِرِ، ما لم أُجْمِعْ مكثًا**"[4]، أي: ما لم أعزم على الإقامة[5].

تعريف الاجماع اصطلاحاً:

ذُكرت للإجماع تعريفات كثيرة عند العلماء تختلف بحسب اختلاف العلماء في طائفة من الأمور المتعلقة بالإجماع، من شروط وأركان وغير ذلك، ولذا فإني سأقتصر على أشمل هذه التعريفات وهو: "اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ في عصر بعد وفاته على حكمٍ شرعيٍّ"[6].

مخالفة عقيدة العادة للإجماع:

من خلال هذا البحث، ومن خلال نقض علماء السَّلف لـــ"عقيدة العادة" عند الأشاعرة فهم يجمعون على بطلان عقيدة العادة التى قال بها الأشاعرة، فمنهم من يصف لفظ "العادة" بانه مموه[7]، وبعضهم يصف مذهب الأشاعرة بأنه مذهب فاسد[8]، وبعضُهم من ينكر عليهم

---

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (1/ 479)، مادة "جمع".

(2) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، (ص 97)، مادة "ج م ع".

(3) لسان العرب، ابن منظور، (8/ 57) مادة (ج م ع)، وانظر: وتاج العروس، الزَّبيدي، (20/ 464) مادة (ج م ع).

(4) أخرجه مالك في الموطأ، قصر الصلاة في السفر/ صلاة المسافر ما لم يجمع مكثًا (1/ 148، ح16).

(5) لسان العرب، ابن منظور، (8/ 57) مادة (ج م ع).

(6) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، التفتازاني، (2/ 81).

(7) انظر: تهافت التهافت، ابن رشد، (2، ص786).

(8) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، (15/5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حين أوهموا الناس أن التوحيد ناقص، ولا يتم إلا بإنكار الأسباب[1]، ويذكر شيخ الإسلام ابنُ تيمية ما يلزم القائلين بإنكار الأسباب والطبائع من شنائع أنهم يسوون بين المختلفات، ويخالفون القرآن يقول: "وكذلك أيضًا لزمت من لا يثبت في المخلوقات أسبابًا وقوى وطبائع، ويقولون: إن الله يفعل عندها لا بها؛ فليلزم أن لا يكون فرق بين القادر والعاجز، وأما أئمة السنة وجمهورهم؛ فيقولون ما دل عليه الشرع والعقل"[2]، قول شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله، هذا فيه دلالة واضحة على إجماع أئمة السَّلف قاطبة على بطلان عقيدة العادة التي قال بها الأشاعرة.

ومن خلال هذا البحث المتواضع لم أجد علماء السَّلف، استعملوا واستخدموا هذا اللفظ "العادة"

ولا يوجد في كتبهم، إلا قول ابن عساكر رحمه الله فيما نُقل عنه أنه قال: "اعلم يا أخي – وفقني الله وإياك لمرضاتِهِ وجعلني وإياك ممن يتقيه حق تقاته – أن لحومَ العلماءِ مسمومة، وعادةُ الله في هتكِ أستار منتقصيهم معلومة[3]"، ولعله رحمه الله هنا يريد سُنّة الله الجارية في خلقه، وليس المقصود بالعادة التي تحمل معنىً وعقيدةٍ فاسدةٍ، التي أرادها الأشاعرة، كيف لا وهو من أئمة السّلف، الذين يدافعون عن عقيدة السَّلف الصالح، وحول هذا الكلام يقول: بكر أبو زيد، معقباً على قول ابن عساكر رحمه الله " فالعادة هنا بمعنى "سنة الله الجارية في كذا" التي لا تختلف[4].

وخلاصة القول أن علماء السَّلف يجمعون قاطبةً على بُطلان هذا المعتقد الفاسد، فضلاً على أنّه يخالف أصل التوحيد الذي جاء به الأنبياء والمرسلون.

---

(1) انظر: شفاء العليل، ابن القيم، (ص189).

(2) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، (2، 17، 18)، وانظر: المنتقي من منهاج الاعتدال، الذهبي، (ص143).

(3) تبيين كذب المفتري، ابن عساكر، (ص29 – 30).

(4) معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، بكر أبو زيد، (ص460).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس

مخالفة عقيدة العادة للفطرة والعقل

أولاً: مخالفة عقيدة العادة للفطرة:

كما فعل سابقا قبل الشروع في بيان مخالفة عقيدة العادة للفطرة فإنه يلزم أن نعرف بها لغة واصطلاحا وهي على النحو التالي:

معنى الفطرة في اللغة[1]:

الفطرة من فطر الشيء، يفطر فطراً، فانفطر، وفطره، أي شقه، وتفطر: تشقق، فالفطر: الشق. وجمعه فطور، ومنه فطر ناب البعير، إذا طلع، وفي القرآن قوله تعالى: ﴿**إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ**﴾ [الانفطار:1]، أي انشقت وفي الحديث: عن عائشة "رضي الله عنها": أن النبي ﷺ "**كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ؛ حَتَّى تَتَفطَر قَدَماه**"[2].

وفطر الله الخلق، يفطرهم: خلقهم وبدأهم، فالفطر أيضاً: الابتداء والاختراع، كما في قوله تعالى: ﴿**ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾ [فاطر:1]، أي خالقهما ومبتدئهما[3]، وكما قال ابن عباس (رضي الله عنهما): "كنت لا أدري ما ﴿**فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾، حتى آتاني أعرابياً يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي بدأتها"[4].

والفطرة أيضاً: الخلقة، أنشد ثعلب[5]:

"**هوّن عليك: فقد نال الغنى رجل في فطرة الكلب، لا بالدين والحسب**"

أي في خلقة الكلب.

فأصل كلمة "فطر" يرجع إلى التشقيق، الابتداء، والخلق، والمعنيان الأخيران" الابتداء والخلق" يناسبان المعنى الاصطلاحي، كما سيتضح ذلك.

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، (56/5، 55)، "مادة فطر"، والصحاح، الجوهري، (781/2)، مادة فطر.
(2) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير،/ "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر...، (135/6ح4837)].
(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (319/14).
(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (519/6).
(5) لسان العرب، ابن منظور: (56/5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معنى الفطرة في الاصطلاح:

الفطرة في اصطلاح العلماء المحققين، هي الإسلام، دين الله "تعالى"، وهو الصحيح المختار، وهو المعروف عند عامة السَّلف من أهل العلم بالتأويل[1]، واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة من **القرآن الكريم** منها: قوله تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الروم:30]، قال الحافظ ابن كثير في معناها" فسدّد وجهك واستمرّ على الذي شرعه الله لك، من الحنفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها، وكمّلها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السّليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره[2].

الفطرة؛ التي يولد على الأنسان بهيئة وخلقة وشعور لا يحتاج إلى من يدله ويرشده من الخارج، فبذلك يعرف ربه وذلك لكونه على الفطرة الاسلام، ولكن ليس كل الإسلام بأحكامه وعقائده، فهذه الأمور لا غنى لها عن إرسال الرسل وتنزيل الكتب، وفي هذا المعني يقول شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله"وإذ قيل أنه ولد على فطرة الاسلام، أو خلقا حنفيا أو نحو ذلك، فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده، فإن الله يقول: ﴿**وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [النحل:78]، ولكن فطرته مقتضية موجبة لدين الاسلام، لمعرفته ومحبته، ومن الفطرة الإقرار بخالق مع محبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضاها تحصل شيئاً بعد شيئي، بحسب كمال الفطرة إذا سلمت عن التعارض"[3]، بل معنى أنه خلق على الفطرة أي أن كل إنسان يولد على صفة تقتضي إقراره أن له خالقاً مدبراً، وتستوجب معرفته إياه وتألهه له، وهذه الصفة ذاتها هي القوة المغروزة في الإنسان التي تقتضي اعتقاده للحق دون الباطل، إرادته للنفع دون الضار، إذا كان قد علم بالبراهين اليقينية القاطعة فإنه يتعين بذلك أن يكون في الفطرة ما يقتضي معرفة الصانع والإيمان به، هذا من القرآن الكريم.

أما من السنة المطهرة، فعن عياض بن حمار المجاشعي ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: "**أَلاَ إِنَّ رَبِّى أَمَرَنِى أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِى يَوْمِى هَذَا، كُلُّ مَالٍ**

---

(1) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، (410/8)، وشفاء العليل، ابن القيم، (ص383)، وما بعدها.
(2) القرآن العظيم، ابن كثير، (320/6).
(3) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، (383/8).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نَحَلْتُهُ عَبْداً حَلاَلٌ، وَإِنِّى خَلَقْتُ عِبَادِى حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِى مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا"[1]، وعليه؛ فإن الإقرار بالخالق أمر فطري، من دلالة الحديث، فالفطرة تتضمن: الإقرار به، والأخبات إليه، وهو المعنى الذي تدل عليه كلمة التوحيد، فالإله هو الذي يعرف ويعبد[2]، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانه أَوْ يُنَصِّرانه أَوْ يُمَجسانه، كَمَا تَنْتِج الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعاء، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَحتى تكونوا أنتم تجدعونها**"[3]، وفي التصريح أنه يولد على ملة الإسلام"[4].

مخالفة عقيدة العادة للفطرة:

فالفطرة السليمة تقر بأن الله ربط بين الأسباب ومسبباتها شرعاً وقدراً، والله جعل الأسباب محل حكمته في أمره الديني الشرعي وأمره الكوني القدري، ومحل ملكه وتصرفه فإنكار الأسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات، وقدح في العقول والفطر[5]، ومن هنا يتبين لنا خطأ الأشاعرة وقولهم، وما ترتب عليه، من عدم تأثير الأسباب بمسبباتها، وأن الأسباب حسب زعمهم لا تدخل تحت قدرة المكلف ولا غيره من الأسباب الأخرى.

حيث إن المسألة مسألة فطرية ضرورية، ولا تحتاج إلى أدلة وإلى استدلال، حيث إن خوفهم من إثبات لتأثير الأسباب بالمسببات، أو الأسباب في المسببات، بحجة دعوى أن هذا يؤدي إلى الوقوع في الشرك في الفاعلية، وأن الله هو المؤثر بلا شريك؛ هي دعوة ليس لها من الصحة في شيء، وإذا تيقنا أن قدرة الله فوق كل شيء، وأن الأسباب من قدرة الله قد خلقها على صفات وخصائص تؤثر تحت القدرة والمشيئة الإلهيتين، ومن هنا يتضح لكل مسلمٍ أنه لا تعارض بين أن الله خالق كل شيء، وأنه سبحانه خلق لهذا المخلوقات والموجودات خصائص تخصها لها التأثير المحدود في مسبباتها[6]، وحول هذا الكلام يقول

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الجنة،/ الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، (2197/4، ح2865)].

(2) انظر: مجموع الفتاوي، ابن تيمية، (6/2).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير،/ "لا تبديل لخلق الله"، (114/6ح4775)، ومسلم: القدر،/ معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، (2047/4ح2658)].

(4) انظر: شفاء العليل، ابن القيم (258/1).

(5) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية، (330/5)، وانظر: له مجموع الفتاوى، (137/8).

(6) انظر: مبدأ السببية عند الأشاعرة، (ص140).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شيخ الإسلام ابنُ تيمية: "والحوادث تضاف إلى خالقها باعتبار، وإلى أسبابها باعتبار آخر، فهي من الله مخلوقة له في غيره، كما أن جميع حركات المخلوقات وصفاتها منه، وهي من العبد صفة قائمة به، كما أن الحركات من المتحرك المتصف بها وإن كان جماداً، فكيف إذا كان حيواناً؟ وحينئذٍ فلا شركة بين الرب وبين العبد لاختلاف جهة الإضافة، كما أنه إذا قلنا: هذا الولد من هذه المرأة بمعنى أنها ولدته، ومن الله بمعنى أنه خلقه، لم يكن بينهما تناقض، وإذا قلنا هذه الثمرة من هذه الشجرة وهذا الزرع من هذه الأرض بمعنى: أنه حدث فيها، ومن الله بمعنى أنه خلقه منها، لم يكن بينهما تناقض"[1].

وعليه فإن الفطرة السليمة تأبه ما قاله الأشاعرة، بل إنها موافقة لما خلقه الله من أسباب ومسببات.

ثانيًا: مخالفة عقيدة العادة للعقل:

كالمعتاد قبل الشروع في بيان مخالفة عقيدة العادة للعقل، فإنه يلزم أنّ نعرف به وهو على النحو التالي:

العقل في اللغة:

قال ابن فارس: "العين والقاف واللام: أصلٌ واحد منقاس مطرد، يدلُّ عُظْمُه على حُبْسة في الشَّيء أو ما يقارب الحُبْسة، من ذلك العَقْل، وهو الحابس عن ذَميم القَول والفِعل"[2].

وقال ابن منظور: "العَقْلُ: الحِجْر والنُّهى، ضِدُّ الحُمْق، والجمع: عقولٌ"[3].

وقال الخليل: "العَقْل: نقيض الجَهْل"[4].

العقل في الاصطلاح:

اختلف أهل العلم من المتكلمة والفقهاء وغيرهم في حد العقل، وتقسيمه وموضعه على أقوال:

فقيل: هو غريزة للتمييز والإدراك بين حسن الأشياء وقبيحها[5].

---

(1) منهاج السنة، ابن تيمية، (146/3).

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: "عقل"، (4/ 69).

(3) لسان العرب، ابن منظور، مادة(عقل)، (11/ 458).

(4) العين، باب: العين والقاف واللام، (1/ 159).

(5) انظر: تحفة الحبيب على شرح الخطيب، البجيرمي، (1/ 309).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقيل: هو نور في الصدر به يُبصر القلب عند النظر في الحجج[1].

وقيل: العقل علوم ضرورية[2].

والمراد أن من يدرك العلوم الضرورية التي لا تحتاج لنظر وتفكر؛ فإنه يسمى عاقلًا، وهذا التعريف فيه نظر؛ فإن الأعمى قد لا يدرك بعض الأمور الضرورية مع أنه يسمى عاقلًا، ولهذا قيّد بعضهم هذا التعريف بقوله: "هو صفة غريزية يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات"[3].

وقيل: العقل هو خالص الروح ولبُّها.

واحتُج له بأن لب كل شيء هو خلاصته، وقد سمى اللَّه العقل لُبًّا في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد:19]، يعني أولي العقول.

مخالفة عقيدة العادة للعقل:

فالعقل السليم يستبعد أن النار لا تحرق، والماء لا يغرق، والخبز لا يشبع، والسيف لا يقطع، ولا تأثير لشيء من ذلك البتة، ولا هو سبب لهذا الأثر، وليس فيه قوة وإنما الخالق المختار يشاء حصول كل أثر من هذه الآثار عند ملاقاة كذا بكذا، وأن ضعفاء العقول إذا سمعوا أن النار لا تحرق، والماء لا يغرق، والخبز لا يشبع، والسيف لا يقطع، ولا تأثير لشيء من ذلك البتة، ولا هو سبب لهذا الأثر، وليس فيه قوة وإنما الخالق المختار يشاء حصول كل أثر من هذه الآثار عند ملاقاة كذا بكذا، بل يُعدُّ نوع من الخبل والخطل والزلل، ولذا يعتبر ابن القيم وغيره هذه العقيدة أي عقيدة العادة داعية لإساءة الظن بالتوحيد، وتسليطًا لأعداء الرسل على ما جاءوا به؛ فأهل العقول النيرة وأولي الألباب يقرون بأن الله ربط بين الأسباب ومسبباتها شرعاً وقدراً، والله جعل الأسباب محل حكمته في أمره الديني الشرعي وأمره الكوني القدري، ومحل ملكه وتصرفه فإنكار الأسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات، وقدح في العقول والفطر[4]، والعقل به يُدرك الموجودات بأسبابها، فمن رفع

---

(1) انظر: أصول السرخسي، السرخسي، (1/ 347).

(2) انظر: تحرير ألفاظ التنبيه، النووي، (198).

(3) انظر: تحفة الحبيب على شرح الخطيب، البجيرمي، (1/ 309).

(4) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية، (330/5)، وانظر: له مجموع الفتاوى، (137/8).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأسباب فقد رفع العقل، ولذلك يقول ابن رشد: "العقل ليس هو شيئاً أكثر من إدراكه الموجودات بأسبابها، وبه يفترق عن سائر القوى المدركة، فمَنْ رفعَ الأسباب فقد رفع العقل"[1]، فمن يتكلم في إبطال الأسباب فهذا مدعاة لأضحاك العقلاء على عقولهم، قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية: "تكلم قومٌ من الناس في إبطال الأسباب والقوى والطبائع فأضحكوا العقلاء على عقولهم"[2].

(1) تهافت التهافت، ابن رشد، (785/2)، وانظر: مناهج الأدلة، محمد الجابري، (ص193).

(2) مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية، (5/ 330)، وانظر: مجموعة الفتاوى له، (137/8)، وشفاء العليل، وابن القيم، (ص417).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

عقيدة العادة وبيان مخالفتها لمبادئ العلوم ووجوب ترتيب الأسباب على المسببات

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

عقيدة العادة مبطلة لمبادئ العلوم

لما كانت السببية تقوم على المشاهدة وليس على الضرورة العقلية، لأن الفعل والانفعال بين الأشياء إنّما يقعان بإضافة من الإضافات التي لا تتناهى، كإضافة الجسم الحسّاس إلى النار للاحتراق، لكن هذا لا يمنع من أن يكون هنالك موجود يعوق تلك الإضافة؛ كحجر الطلق في عدم الاحتراق، والسببية هي تعبير أساسي لطبائع الأشياء المادية وللعقل وللمنطق أيضاً، ولما كان هذا النظام قائمًا على قانون السببية أو القوانين الطبيعية؛ فإن إبطال الأسباب وإنكار الطبائع قتل لهذا النظام، وتجهيل له، وقلب للنظام العلمي فيه، ولذلك يقول ابن رشد: إن "العقل ليس هو شيئاً أكثر من إدراكه الموجودات بأسبابها، وبه يفترق عن سائر القوى المدركة، فمَنْ رفعَ الأسباب فقد رفع العقل، وصناعة المنطق تضع وضعاً أنّ ههنا أسباباً ومسببات، وأن المعرفة بتلك المسبّبات لا تكون على التمام إلاّ بمعرفة أسبابها، فرفع هذه الأشياء هو مبطل للعلم ورفع له، فإنه يلزم أن لا يكون ههنا شيء معلوم أصلاً علماً حقيقياً؛ بل إن كان فمظنون، ولا يكون ههنا برهان ولا حدّ أصلاً؛ وترتفع أصناف المحمولات الذاتية التي منها تأتلف البراهين، ومن يضع أنه ولا علم واحد ضروري، يلزمه أن لا يكون قوله هذا ضرورياً"[1].

من رفع الأسباب فقد رفع العقل والنقل والتوحيد والعلم، وخالف كل شئ.

ويشرح ابن رشد قوله السابق ويقول: "والعقل ليس هو شيء أكثر من إدراكه الموجودات بأسباب وبه يفترق عن سائر القوى المدركة، فمن دفع الأسباب فقد رفع العقل"[2]، ويحكم ابن رشد على من أنكر الأسباب والطبائع بأنه ألغى الفوارق بين الأشياء وجعلها شيئًا واحدًا ومن ثم لا حدود ولا فواصل بين الأشياء وكفى بهذا إبطالاً للوجود وللعلم يقول: "فماذا يقولون في الأسباب الذاتية التي لا يفهم الموجودات إلا بفهمها، فإنه من المعروف بنفسه أن

---

(1) تهافت التهافت، ابن رشد، (785/2)، وانظر: مناهج الأدلة، محمد الجابري، (ص193).

(2) تهافت التهافت ابن رشد، (785/2)، وانظر: مناهج الأدلة، محمد الجابري، (ص193).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للأشياء ذواتاً وصفاتٍ هي التي اقتضت الأفعال الخاصة بوجود موجود وهي التي من قبلها اختلفت ذوات الأشياء وأسماؤها وحدودها فلو لم تكن لوجود موجود فعل يخصه، لم يكن له طبيعة تخصه، ولو لم تكن له طبيعة تخصه لما كان له اسم يخصه ولا حد وكانت الأشياء كلها شيئًا واحدًا، ولا شيئًا واحدًا، ارتفعت طبيعة الموجود، إذا ارتفعت طبيعة الموجود لزم العدم"[1]، وفي هذا الكلام رد على الأشعرية القائلين بأن لا طبائع ولا أسباب بل يذكر بعضُهم أن أهل السُّنة مجمعون على تضليل من قال أن الموجودات لا تختلف بالطبائع[2]، فإذا لم يكن كذلك فبماذا تختلف؟ ويقول العامري:[3] "والذي حمل هذه الفرقة المختلفة على ارتكاب هذه الأقوال المخترعة هو عجزهم عن الروية في واحد من المعاني الطبيعية، وضعفهم عن التفكير في جبلته والتعرف بخصائص قواه، فأقدموا على جحد الحقائق كلها"[4].

ويقول سليمان دنيا في تعليقه على إنكار الأشعرية لقوانين السببية وحتميتها: "ولكن إلغاء السبب معناه القضاء على العلم والقوانين العلمية، وإغلاق باب التكهن بالمستقبل وترتيب المسببات على أسبابها، وتلك إحدى النتائج الخطيرة التي انتهى إليها "هيوم" في نقضه وتحليله"[5] وتتركز هذه الخطورة حينما تنسب هذه العقيدة الفاسدة، إلى الدين أو تجعل أساسًا صالحاً للبرهنة على صحة التوحيد، والأمر خلاف ذلك، ولا يقتصر الأمر على هذا فحسب، بل يرى ابن رشد أن: مَن جحد الأسباب فقد جحد الصانع الحكيم "الله"، وجعل وجود المسبَّبات عن الأسباب بالاتفاق وبغير مقصد، فلا تكون هناك حكمة أصلاً ولا تدل على صانع بل إنما تدل على الاتفاق، فقول الغزالي أن الله أجرى العادة بهذه الأسباب قول بعيد جداُ عن مقتضى الحكمة، بل هو مبطل لها لأن المسببات إن كان لها يمكن أن توجد من غير هذه الأسباب فأي حكمة في وجودها عن هذه الأسباب؟ وأي دلالة فيها على الصانع؟ فلو لم يكن شكل يد الإنسان وعدد أصابعها ومقدارها ضرورياً في الإمساك الذي هو فعلها وفي

---

(1) تهافت التهافت، ابن رشد، (ص782، 783).

(2) مذهب الذرة عند المسلمين ترجمة، محمد عبد الهادي، أبو ريدة مطبعة لجنة التأليف، القاهرة ص(ز) مقدمة المترجم أبو ريدة.

(3) العامري، هو أبو محمد بن محمد بن يوسف العامري النيسابوري ولد في أوائل القرن الرابع الهجري وينتمي إلى أصل عربي وتوفي سنة 1381، وكان عالمًا فيلسوفًا منضبطًا بضوابط الشرع.

(4) القول في الإبصار والمبصر، العامري، رسالة ضمن مجموعة رسائل للعامري تحقيق سحبان خليفات (ص417).

(5) تهافت الفلاسفة، الغزالي، التعليقات الهامشية، (ص241)، وانظر: الكشف عن مناهج الأدلة، محمد الجابري، (ص194)، وانظر: التفكير الفلسفي الإسلامي، سليمان دنيا، (ص194).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

احتوائها على جميع الأشياء المختلفة الشكل وموافقتها لإمساك آلات جميع الصنائع؛ لكان وجود أفعال اليد عن شكلها وعدد أجزائها ومقدارها هو بالاتفاق، ولكان لا فرق بين أن يُخص الإنسان باليد أو الحافر، وبالجملة متى رفعنا الأسباب والمسببات لم يكن هناك شيء يُردُّ به على القائلين بالاتفاق، أعني الذين يقولون لا صانع هنا[1].

العلاقة بين الأسباب والمسببات علاقة ضرورية، وهي دليل قوي على وجود الله تعالى.

العادة هو وجود الأشياء بالإتفاق، والمجاورة عقيدة فاسدة وباطلة لا يتقبلها عقل سليم.

المطلب الثاني

وجوب ترتيب الأسباب على المسببات دون محذور كإنكار المعجزات والكرامات وما في حكمها

العلاقة بين الأسباب والمسببات علاقة ضرورية، ولا تتخلف المسببات عن أسبابها إلا إذا كان هناك فساد أو عارض أخل بالسبب، ولهذا جعل العامري دلالة هذه العلاقة قوية على وجود الله تعالى، ثم ألزم من غير هذه العلاقة وجعلها جائزة؛ أنه يلزمه ألا يستطيع أن يقيم الدليل على وجود الله تعالى ولهذا ذكرت منى أحمد أبو زيد في بحثها القيم عن فكر العامري: "وبهذا يتسنى للعامري نقض الاتجاهات التي تنكر العناية أو تنكر السببية؛ لأن هناك تلازمًا ضروريًا بينهما ولا يمكن إثبات أحدهما دون إثبات الآخر، وأن وجودهما معًا دليل على وجود الله تعالى"[2] وبغير إثبات الضرورة بين الأسباب والمسببات يكون الأمر اتفاقًا لا حكمة فيه ولا نظام، "ولكي يؤكد العامري على فساد آراء هذه الفرقة يأخذ في تأكيد السببية والتلازم الضروري بين العلة والمعلول أو بين الجسم وخواصه وأعراضه، ويرى أنه لا يجوز أن يعقل أي جوهر اتفق أي غرض اتفق، ولو جاز ذلك لصلح أن يكتب على جوهر الهواء، كما يكتب على جوهر الورق، بل قد يصلح أن يتخذ من الصوف سيفًا قاطعًا، ومن الحديد عمامة ملفوفة، ولصلح أيضًا أن يدرك الطعم بالسمع ويدرك الصوت بالمذاق"[3].

---

(1) مناهج الأدلة، ابن رشد (ص 199 – 200)، وانظر: عقيدة العادة عند الأشاعرة، السميري، (29–30).

(2) الإنسان في الفلسفة الإسلامية في فكر العامري، منى أبو زيد، (ص137)، وانظر: القول في الإبصار والمبصر، العامري، (ص417).

(3) الإنسان في الفلسفة الإسلامية في فكر العامري منى أبو زيد، (ص136). وانظر: رسالة التقرير لأوجه التقدير، العامري، ضمن رسائل العامري، (ص415).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويؤكد هذا المعنى شيخ الإسلام ابنُ تيمية: "وأما المسببات بعد وجود أسبابها فلا يمنعها بحال إلا إذا لم تكن أسبابًا صالحة، إما لفساد في العمل، وإما لسبب يعارض موجبه ومقتضاه، فيكون لعدم المقتضى أو لوجود المانع، ويدلل على ذلك بالآيات والأحاديث"[1].

وكذلك قال الإمام الشاطبي: "كذلك البذر سبب لنبات الزرع والنكاح سبب للنسل كقوله: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ [البقرة:187]، وما أشبه ذلك مما يدل على وقوع المسببات عن أسبابها دائمًا فلو لم تكن المسببات مقصودة للشارع في مشروعية الأسباب؛ لكان خلافًا للدليل القاطع"[2]، ولكن قد يتخلف المسبب ولا يترتب على سببه ليس نقضًا للضرورة ولا قولاً بالجواز، وإنما لمانع يطرأ أو خلل يحصل للسبب؛ فلا يترتب عليه سببه الذي كتبه الله له، يقول شيخ الإسلام ابنُ تيمية: "كإفضاء سائر الأسباب إلى مسبباتها؛ فترتب الألم عليها كترتب الموت على تناول السموم القاتلة، وعلى الذبح والإحراق بالنار والخنق بالحبل وغير ذلك من الأسباب التي تكون مفضية إلى مسبباتها ولا بد ما لم يمنع السببية مانع أو يعارض السبب ما هو أقوى منه وأشد اقتضاء"[3].

ويذكر مصطفى صبري أن في جعل العلاقة بين الأسباب والمسببات ضرورية لا يترتب عليه منع المعجزات، ولا رد الكرامات؛ ما دام القائل بذلك مؤمن بالله، وأنه مختار ولا يحصل شيء إلا بإذنه، يقول: "فإذن يكون منشأ إنكار المعجزات واستبعاد وقوعها إن لم تكن عقيدة المنكر المستبعد في نظام العالم أنه من طبيعة الأشياء لا يقبل الانفكاك عنها وليس يجعل اختياري من الله، حماقة محضة، إذ لا بد إذا كان الله جاعل نظام العالم وكان مختارًا في جعله أن يقدر على تغييره متى شاء ذلك؛ فالله في عقيدة المؤمنين إذا شاء يسلب الأشياء ما جرت سنته فيها ويكون هذا السلب خرقًا منه للعادة لا خرقًا للعقل"[4].

ونقل مصطفى صبري كلام "استوارت مي" وهو كلام جيد غاية في الرد على من أنكر الضرورة فقال: "إن الله الذي أوجد سلسلة الأسباب والعلل قادر على تعطيل عمل هذه السلسلة فلا تكون المعجزة خارقة للعادة بهذا الاعتبار، ولا يختل قانون السببية، فسبب

---

(1) الاستقامة، ابن تيمية (515/2).

(2) الموافقات، الشاطبي، (218/2) وانظر: القول الفصل، مصفى صبيري، (ص30)، وانظر: نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني، (ص95).

(3) تفسير المعوذتين، ابن القيم، (ص20)، وانظر: الموافقات، الشاطبي، (211/2).

(4) القول الفصل مصطفى صبري، (ص30)، وانظر: نهاية الإقدام، الشهرستاني، (ص20).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعجزة إرادة الله"[1]، وهذا معناه ليس من الضروري أن تتوقف صحة المعجزة على القول بالاقتران الجائز، وهو عقيدة العادة، بل القول بإمكان حصول المعجزة بإذن الله تعالى في حالة ما يشاء سبحانه، وذلك يكون بكسر العلاقة بين الأسباب والمسببات أقوى في جعل الأسباب مقترنة جوازًا بمسبباتها، لعدم العلاقة الوثيقة بينهم على رأي من يرى ذلك.

والناظر في القرآن الكريم يجد دائمًا الأسباب متصلة بالمسببات إلا في حالات استثنائية وهي ما نسميه بالمعجزات، فمثلاً العصى ميتة لا تتحرك ضرورة ولكن يشاء الله فيكسر الضرورة فتتحرك العصى وتكون المعجزة، وكذلك الحس يشهد بأن النار تحرق، وهكذا خلقها الله تحرق، ولكن إذا شاء الله سلبها الإحراق، وكسر الضرورة، وكانت المعجزة كما حصل لإبراهيم عليه السلام.

ومن هذا القبيل لا يصح الإلزام بأن من قال بضرورة العلاقة بين الأسباب والمسببات أن يكون منكرًا للمعجزات، يقول ابن سينا "وهؤلاء المتفلسفة لمّا لم يعرفوا الأصول أخذوا يتعجبون من النادر إذا لم يضطرهم إلى الإقرار به المشاهدة؛ فأنكروا الوحي والمعجزات والرؤيا والعين والكهانة والوهم والعرافة، وأما المحقون من الحكماء ففرقة موجبة لوجود جميع هذه الأشياء، والمشهورون من أهل الدرجة الأولى "والمنكرون" عددهم قليل يوشك أن يكون عدد من أعرف منهم في الستة آلاف سنة من المتفلسفة ثلاثة أو أربعة"[2].

وكذلك ابن رشد يذهب إلى أنه لا يترتب على الاقتران الضروري إنكار المعجزات؛ بل بالعكس ويشرح ذلك بقوله: "أما الكلام في المعجزات فليس فيه للقدماء من الفلاسفة قول؛ لأن هذه كانت عندهم من الأشياء التي لا يجب أن يتعرض للفحص عنها وتُجعل مسائل، فإنها مبادئ الشرائع، والفاحص عنها، والمشكك فيها يحتاج إلى عقوبة عندهم.. وأن كيفية وجودها هو أمر إلهي معجز عن إدراك العقول الإنسانية"[3]، ومن هنا فإنه لا يترتب على ضرورة الاقتران أي فساد، كما يدّعي من ينكر الأسباب والمسببات[4].

---

(1) القول الفصل، مصطفى صبري، (الهامش) (ص30).

(2) تسع رسائل، ابن سينا، (ص36، 37)، وانظر حوار بين الفلاسفة والمتكلمين، حسام الألوسي، (ص39).

(3) تهافت التهافت، ابن رشد، (ص773، 774)، ونظر: له، مناهج الأدلة، (ص 175، 176، 177، 185).

(4) انظر: عقيدة العادة عند الأشاعرة، السميري، (30-33).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

أثر عقيدة العادة على المسلمين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

تأثير عقيدة العادة على تقدم المسلمين

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول

تأثير عقيدة العادة على العلوم الطبيعية

ذُكر سابقاً أن الدَّين يحث على النظر في الكون، وما يمكن أن نتقدم إليه من العلوم؛ حيث إن المتأمل في الكتاب والسنة، يلحظ أنها لا تتنافي مع مبادئ العلوم؛ حيث إن العلم يبرهن على الطبائع، والخصائص للموجودات، " فما الفائدة من ذكر المطر، والسحاب، والريح، والبذر إن كانت مجرد صور فارغة لا أثر لها في حياة الناس؛ إلا العبث بعقول الناس، على حسب فهم الاشاعرة والبوطي؟!، وهل نسبة التأثير، والتأثر للأشياء الطبيعية ما يتعارض مع كون أن الله هو الخالق"[1]، بل التوافق بين السنن الكونية ومسائل الدين تُدل دلالة واضحة على توحيد الله، في خلقه، وشرعه، وعباداته، ويمكن أن نتصور كيف يكون للعلم أساس فيما لو لم تكن للأسباب والمسبّبات علل مؤثرة، وخصائص ثابتة تخضع لعلاقات مطردة يدرك من خلالها مثلاً أن الحديد يتمدد بالحرارة، وأن ما يقع لجزء منه، فإنه ينسحب على باقي الأجزاء التي لم تتعرض للتجربة، والذي لا يقر بضرورة الاطراد بين الأسباب والمسببات فلا يمكن له أن يعتمد على قانون علمي يقيني يوحي له بالتنبؤ بما يحصل مستقبلاً، بناء على ما حصل في الماضي والحاضر، وهذا نراه عياناً في الواقع الذي نعيش، فالعلم الحديث ينبئ بما سيحصل لنا مستقبلا، مثل وقوع الخسوف والكسوف، وفي أي ساعة سينفجر الفجر، ومتى ستشرق الشمس، وما وصل إليه علماء الفضاء، وما وصلنا إليه من العلم كيف نعرف أحوال الجنين في بطن أمه، كل ذلك لا يعد من الاطلاع على الغيب، بل نحن مأمورون بالبحث في ما نحتاجه في حياتنا حتى نواكب العصر الذي نعيش، فالحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق بها، فلا ننكر الأسباب ولا المسببات كما يفعل الأشاعرة، ومن هنا فعقيدة العادة تقف حائلاً في وجه العلم من حيث تطوره، فما على الإنسان إلا أن يفكّر كيف يرتقي بالعلم والعلوم الطبيعية.

---

(1) مذكرة الاقتران والتأثر، (ص11)، البوطي، الأخضر البيضاوي، حوار مع الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، الحلقة الخامسة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

تأثير عقيدة العادة على التقدم العلمي "التكنولوجي"

إن القول بعقيدة العادة ليس له مستندٌ لا من كتاب ولا من سنة، بل هو مرفوض عقلاً وفطرةً، " فما الفائدة من ذكر المطر، والسحاب، والريح، والبذر إن كانت مجرد صور فارغة لا أثر لها في حياة الناس، إلا العبث بعقول الناس، على حسب فهم الاشاعرة والبوطي؟!، وهل نسبة التأثير، والتأثر للأشياء الطبيعية ما يتعارض مع كون أن الله هو الخالق"[1]، وهكذا بالنسبة إلى التقدم التكنولوجي، فما فائدة قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:8]، فالمغزى من قوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، فكانت أداة الموصلات القديمة الخيل والبغال والحمير، فكيف كانوا يحجون ويعتمرون، هل كان عندهم طائرات، وهل نحن في هذا العصر بإمكاننا أن نحج ونعتمر على الخيل والحمير والبغال، و"هي أداة عمل وركوب وحمل أمتعة، فقال تعالى: وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ، أي وهي أيضاً تحمل أمتعتكم الثقيلة التي تعجزون عن نقلها وحملها من بلد إلى آخر لا تبلغونه إلا بمشقة شديدة، مثل الحج والعمرة والجهاد والتجارة ونحو ذلك من أنواع الاستعمال ركوباً وتحميلاً، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المؤمنون:21-22]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [غافر:79-80][2]، هذه هي وسائل المواصلات في العصور الأولى، أما الحال في هذا العصر يختلف تماماً، "ثم جاء دور الامتنان بوسائل النقل والمواصلات الحديثة: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، أي ويخلق لكم غير هذه الحيوانات من وسائل النقل كالقطارات والسيارات والسفن والطائرات وغيرها"[3].

فالأشاعرة تقول لا شيء يأثر في شيء، وأنه لا يوجد خصائص في الأشياء ولا قوة تؤثر، فلو قلنا على حسب فهم الأشاعرة، لماوصل بنا هذا الحال من التقدم التكنولوجي، وهذا يمكن أن يقال في وسائل الاتصالات، فيكف كان الحال في السابق وكيف هو اليوم، فالتواصل

---

(1) مذكرة الاقتران والتأثر، (ص11)، البوطي، الأخضر البيضاوي، حوار مع الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، الحلقة الخامسة.

(2) تفسير المنير، الزحيلي، (90/14).

(3) المصدر السابق، (91/14).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان يستغرق الساعات الطوال، بل الأشهر، أما اليوم تتواصل مع من هو في مشارق الأرض ومغاربها، على الفور، وتراه ويراك، وذلك عبر الشبكات العنكبوتية "الفيس بك" فالتقدم التكنولوجي وفّر علينا وقتاً وجهداً، وهذا يقال في كل ما تقدمنا إليه؛ فلو ذهبنا إلى ما ذهب إليه الأشاعرة لما وصل بنا هذا التقدم الذي تقدمناه.

المطلب الثالث

تأثير عقيدة العادة على الصناعة

سخّر الله كل ما في الكون لخدمة الإنسان، وأمره أن يضرب في الأرض يبحث عن الأسباب التي تعينه على تطوير الصناعة، فالصناعة القديمة كانت بسيطة جداً، وجعل كل شيء من الموجودات له خصائص تخصه، فمثلاً السفينة تصنع من الخشب ولا تصنع مثلاً من الورق، وهذا نراه جلياً واضحاً في القرآن كما أمر الله نبيه نوحاً؛ فقد أمره أن يصنع السفينة، والسفينة تصنع من الخشب، ولا تصنع من غيره، فأمره أن يصنع الفلك من الخشب، لأن الخشب يطفو على الماء، وهذا يدل دلالة واضحة على اختلاف خصائص الأشياء بعضها عن بعضٍ، وحول هذا المعنى يقول الرازي في سبب رُسوب بعض الأجسام وطفو بعضها الآخر:" ويجب أن يعلم أن الأجسام الصُلبة مثل الخشبة إنما تكون أخف من الماء لما يتخللها من الهواء"[1]، فلو قلنا لا شيء يؤثر في شيء لما كانت السفينة تصنع من الخشب، ومعلوم أن صناعة السفينة تحتاج إلى أدوات أخرى، كلها لا تستغني بعضها عن بعض، وكل شيء له خاصية تخصه، من تأثير وقوة، ولما كان كل شيء له خاصية وقوة تؤثر في الآخر تطورت الصناعة الحديثة، فتطورت من أدوات بسيطة إلى أجهزة حديثة، وهذا ما نشاهده في الواقع الذي نعيش، فلو قلنا إن المنشار لا يؤثر في قص الخشب، لما استطاع الأنسان أن يجزئ الخشب كبير الحجم، ولا قلنا إن الضرب باليد على المسمار لا يؤثر؛ لما استطعنا أن نجمع ونضم أجزاء الخشب بعضها إلى بعض، ومن هنا كانت عقيدة العادة القائلة لا شيء يؤثر في شيء ونفي الأسباب، كانت تقف عائقاً في تطور الصناعة، وكل ذلك يسبب أزمة من الناحية المادية، ومن هنا كان واجباً على الأنسان أن يأخذ بالأسباب، وأن يستخدم كل قواه العقلية وما أوتي من قوة في تطوير الصناعة، ولا يلتفت إلى الترهات.

---

(1) المباحث المشرقة، الرازي، (121/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع

تأثير عقيدة العادة على الاقتصاد

لما كان الاقتصاد ضروري في الإسلام وفي الحياة، والمال يعد عصب الحياة، أمرنا الله أن نسعى في الأرض لكي نجمع قوت يومنا، قال الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:15]، "أي؛ إن الله هو الذي سخّر لكم الأرض وذلّلها لكم، وجعلها سهلة لينة قابلة للاستقرار عليها، لا تميد ولا تضطرب، بما جعل فيها من الجبال، وفجّر فيها الينابيع، وشقّ الطرق، وهيّأ المنافع، وأنبت فيها الزروع وأخرج الثمار، فسيروا في جوانبها وأقطارها وأرجائها حيث شئتم بحثاً عن المكاسب والتجارات والأرزاق، ولا يغني السعي شيئا عن تيسير الله، لذا قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾، أي مما رزقكم وخلقه لكم في الأرض، ومكّنكم من الانتفاع بها، وأعطاكم القدرات على تحصيل خيراتها"[1]، وكل ما في الأرض من منافع مسخرة للإنسان؛ "فالأرض وما فيها من خيرات ومنافع وكنوز مسخرة للإنسان هي من نعمة الله وفضله، وهي حقل التجارب، ومرصد السلوك الإنساني، والله الذي ذلّلها ويسّر لعباده الأرزاق فيها"[2]، فما على العبد إلا أن يأخذ بالأسباب في الضرب في الأرض، فالسعي في السبب لا ينافي التوكل على الله، هذا لا يتأتى إلا بالعمل والسعي في الأرض، والانتشار فيها ولذا قال الله ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:10]، "وذلك لطلب المكاسب والتجارات وتَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ لَهُمْ سَعَةً مِنَ النَّهَارِ يَجْعَلُونَهَا لِلْبَيْعِ وَنَحْوِهِ مِن ابْتِغَاءِ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ وهنا الانتشار في الأرض بعد الصلاة لطلب الرزق، والمقصود من الآية إنما هو تنبيه الناس، إلى أن لهم في غير وقت الصلاة، سعة من الزمن في طلب الرزق، وفي الاشتغال بالأمور الدنيوية"[3]، ومن خلال ما سبق نستشف أنه يتوجب على الإنسان أن يكدّ ويخرج ويسعى وينتشر في الأرض، ولا بد من أخذ بالأسباب التي يأثر في زيادة الرزق ونقصانه، ولا نقول ما يقوله الأشاعرة لا يوجد تأثير ولا أسباب تؤثر بعضها في بعض، فلو أن الإنسان ما خرج من بيته؛ هل يأتيه الرزق إلى بيته، ولولم يجنِ الثمرة من الشجرة هل تأتيه الشجرة بنفسها، فلا بد من الخروج والتحرك، ومن هنا نجد عقيدة العادة تقف عائقاً في زيادة الاقتصاد ونموه.

---

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، (22/29).

(2) المصدر السابق، (24/29).

(3) تفسير الوسيط، طنطاوي، (389، 14).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس

تأثير عقيدة العادة على الجهاد في سبيل الله

تؤثر عقيدة العادة على الجهاد في سبيل الله؛ وذلك بأنها تضعف القوة وتقلل من شأن الإعداد، وكأنها تثبط من القوة العقلية والبدنية، فهي تنفي تأثير الأسباب في مسبباتها، وهي كما أسلفنا تخالف القرآن والسُّنة والمطهرة ومنهج السَّلف، ولذا حثنا الله على الجهاد في سبيله، وهذا يحتاج إلى قوة حتي تحدث نكاية في العدو، لأن العدو يسعى إلى إفساد الدين، والإفساد في الأرض، وفي إهلاككم، وإهلاك الحرث والنسل، وهذا لا بدّ لها من إعداد بكل ما أوتي من قوة، والقوة لا تتأتّى إلا بربط الأسباب في مسبباتها، والأشياء التي تؤثر بعضها في بعض، والخصائص بعضها في بعض، كالمواد المتفجرة وغير ذلك، ولذى يقول الله: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ [الأنفال:60]، أي ﴿**وَأَعِدُّواْ**﴾ لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم، ﴿**مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾، أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي، والسياسة التي بها يتقدم المسلمون، ويندفع عنهم بها شرّ أعدائهم، وتَعلُّم الرَّمْيِ، والشجاعة والتدبير، ولهذا قال النبي ﷺ: "**أَلَا إِنَّ الْقُوةَ الرَّمي**"[1]، ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى: ﴿**وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ [الأنفال:60]، وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته، فإذا كان شيء موجود أكثر إرهابا منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كان مأمورا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلُّم الصناعة؛ وجب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب، فلذلك أمرهم بالاستعداد لهم، ومن أعظم ما يعين على قتالهم بذلك النفقات المالية في جهاد الكفار[2]، وبعد أمر الله

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ فضل الرمي والحث عليه وذمّ من علمه ثم نسيه، (434/11، ح1917)].

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (324).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى المؤمنين بإعداد آلات الحرب المناسبة لكل عصر، فإنه يأمرهم بإعداد الجيش المقاتل؛ وذلك على أرفع المستويات؛ لأن الجيش درع الأمة وحصنها المنيع، وذلك بحسب الطاقة والإمكان والاستطاعة[1]، وكل ما سبق ذكره لا بد له من أسباب ومسبب، وهذا يخالف عقيدة العادة التي تدّعي أنها لا أسباب ولا مسببات.

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي(49/10).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

تأثير عقيدة العادة على قوة المسلمين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

وجوب التوكل على الله

والحديث عن التوكل على الله سيكون بإذن الله على النحو التالي:

أولاً: التوكل في اللغة:

قال ابن منظور في اللسان "يُقالُ: توكَّل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلانٍ أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليهِ، ووكَّل فلانٌ فلاناً إذا استكفاه أَمره ثقةً بكفايته أو عجزاً عن القِيام بأمر نفسهِ، ووكل إليه الأمر: سلَّمه، ووكله إلى رأيه وكلًا ووكولًا: تركه؛ وأنشد ابنُ برّيٍّ لراجزٍ:

لمَّا رأيت أَنَّني راعِي غنم... وإِنَّما وكلٌ على بعض الخدم عجزٌ وتعذيرٌ، إِذا الأمر أزم، أراد أنَّ التوكُّل على بعض الخدم عجزٌ؛ ورجلٌ وكلٌ، بالتَّحريك، ووكلة مثلُ همزة وتكلة على البدل ومُواكل: عاجزٌ كثير الاتّكال على غيرهِ؛ يُقال: وُكلةٌ تكلةٌ أي عاجزٌ يكل أمره إِلى غيرِه ويتَّكل عليه"[1].

ثانياً: التوكل اصطلاحاً:

اختلفت عبارات السَّلف في تعريف التوكل على الله تبعاً لتفسيره تارة بأسبابه ودواعيه وتارة بدرجاته، وتارة بلازمه، وتارة بثمراته وغير ذلك من متعلقاته، وسبب هذا الاختلاف أن التوكل من أحوال القلوب وأعمالها وهي صعبة أن تحد بحد أو تحصر بلفظ، فالتوكل هو "القيام بالأسباب، دون الاطمئنان إليها، فلا يرجوها ولا يخافها أو يركن إليها؛ بل قائمٌ بها، ناظرٌ إلى مسببها ومجريها سبحانه، فلا يصح التوكل شرعاً وعقلا، إلا عليه تعالى؛ لأنه وحده مسبب الأسباب"[2]، وقيل التوكل شرعاً هو: الثقة بالله، والإيقان بأن قضاءه ماضٍ، واتباع سنة نبيه ﷺ في السعي فيما لابد منه من الأسباب[3].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، (734/11).

(2) مدارج السالكين، ابن القيم، (463/3).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (4/ 189).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعليه فحقيقة التوكل على الله؛ هو تسليم تمام الأمر لله في كل الأمور التي يقوم بها العبد، والتي لا يقوم بها، واعتماد قلب العبد على الله في جلب المنافع ودفع المضار، ومن خلال ما سبق؛ فلابد من وجوب التوكل على الله، وتسليم الأمر لله، بكل ما يقوم به العبد، من الأعمال الظاهرة والباطنة.

ثالثاً: التوكل في القرآن الكريم:

أمر الله بالتوكل عليه، وقد وردت مادة التوكُّل في أكثر من ستين موضعاً في القرآن الكريم، وورد الأمر بالتوكُّل في القرآن مراراً، ففي بعض الآيات كان الأمر من الله لأنبيائه وبعضها الآخر لعموم المؤمنين ومن أمثلة ذلك:

1- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:159].

2- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق:3].

3- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ ۝٣﴾ [الطلاق:2-3]، فجعل الله سبحانه التَّوكُّل بعد التَّقوى الَّذِي هو قيام الأسبابِ المأمورِ بها، فحينئذٍ إن توكَّلَ على اللَّهِ، فهو حسبُهُ، وكما قال في موضعٍ آخر: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة:11]، فالتَّوكُّلُ والحسبُ بدون قيام الأسبابِ المأمور بها عجزٌ محضٌ، فإن كان مشوبًا بنوعٍ من التَّوكُّلِ، فهو توكُّلُ عجزٍ، فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكُّلُهُ عجزًا، ولا يجعل عجزه توكُّلًا، بل يجعل توكُّله من جملة الأسباب المأمور بها الّتي لا يتمُّ المقصود إلَّا بها كلها[1].

4- وقد مدح الله المتوكلين في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، بل إن كل أو جل ما ورد عن التوكُّل كان في سياق المدح، ولكنه صرح بأن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:159]، وأعلن أن من يتوكل عليه فإنه لايحتاج لمزيد حين قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق:3]، وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء:65]، لأن الله قوي، عزي، قادر يقدر على أن يقضي حاجة من يتوكل عليه، حكيم يعرف مصلحة من يلوذ به، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:49]، وكما وصف الله نفسه بالعزة والقوة فليس يعجزه شيء؛ ومن يتوكل عليه فإنه يستطيع أن يكفيه؛ وصف نفسه بالرحمن الرحيم، ومن رحمته أنه

(1) زاد المعاد، ابن القيم، (2/330-331).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لايهمل من توكل عليه بل يكفيه؛ ووصف نفسه بالحكمة والعلم، فهو يعرف مصلحة من يتوكل عليه ويضع له حوائجه في نصابها. وقد قرن عزته برحمته في قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الشعراء:217].

رابعاً: التوكل في السُّنة النبوية:

كان النبي ﷺ من أعظم المتوكلين، ومع ذلك كان يأخذ بالأسباب، فكان يأخذ الزاد في السفر، ولما خرج إلى غزوة أُحدٍ ظاهر بين درعين، أي لبس اثنين ولما خرج مهاجراً أخذ من يدله الطريق، ولم يقل سأذهب مهاجراً وأتوكل على الله.

فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**لَو أَنكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُلَهُ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُوا خِمَاصاً وَتَروحُ بِطَاناً**[1]"، وهذا داخل في الأسباب، ولهذا تظهر في الصباح خامصة البطون ليس في بطونها شيء، ثم ترجع في الرواح وقد امتلأت بطونها فقال عليه الصلاة والسلام: "تغدو خماصاً وتروح بطاناً"، فكذلك الإنسان يتوكل على الله ﷻ ويفعل السبب، ولا يكون توكله بدون فعل الأسباب، بحيث يقول: إذا الله قدر لي شيئاً فسيأتيني، ويجلس في بيته ويقول: إن رزقي سوف يأتيني وأنا في بيتي، فلا بد من الأخذ بالأسباب المشروعة، فإن ذلك يكون من السفه، ولا يكون هذا توكلاً بل هو تواكل، ولهذا يقول بعض أهل العلم: إن الاعتماد على الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل[2].

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول: "**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، الْحَيُّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ**"[3].

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب التوكل على الله، (573/4، ح3244)، وقال العلاّمة الألباني، صحيح].

(2) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم، (462/3)

(3) [صحيح البخاري، البخاري، التوحيد/ قوله "يريدون أن يبد لو كلام الله"(144/9، ح7499)، ومسلم: صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، التعوذ من شر ما عمل ومن شر مالم يعمل، (2086/4، ح2717)].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

وجوب الأخذ بالأسباب

والتوكل الحقيقي لا يستدعي ترك الأسباب، فإنه لا توكل إلا بعد الأخذ بالأسباب، إذ إن حقيقة التوكل الذي طالب الله تعالى به هو أنه يأخذ بالأسباب ويستعد، ثم يترك الأمور لله تعالى، فإنه قد يعرض للإنسان ما ليس في حسبانه، فعليه أن يترك تلك المنطقة الغيبية لعلام الغيوب، والدليل على أن التوكل في القرآن الكريم والسُّنة يستدعي اتخاذ الأسباب، أنه يجتمع مع الجهاد والمشاورة، فالله تعالى يقول: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران:159]، وفى الآية التي نتكلم في معانيها السامية جاء الأمر بالتوكل بعد أن أخذ النبي ﷺ يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال، ويأخذ الأهبة ويستعد، وإذا كان التوكل ترك الأسباب فَلِمَ كان الأمرُ بالعمل والقتال وغيره من التكليفات التي تكون سببا لنتائج شرعية[1].

والتوكل معنى يلتئم من التوحيد والعقل والشرع، وحقيقة التوكل القيام بالأسباب والاعتماد بالقلب على المسبّب، واعتقاده أنها بيده، ومن هنا كان الالتفات إلى الأسباب على ضربين، أحدهما شرك، والآخر توحيد وعبودية[2].

الضرب الأول: وهو أن يعتمد على الأسباب ويطمئن إليها ويعتقد أنها بذاتها محصلة للمقصود، فهو معرض عن المسبب لها، ويجعل نظره والتفاته مقصورا عليها[3].

الضرب الثاني: وهو أن يلتفت إلى الأسباب؛ التفات امتثال، وقيام بها، وأداء لحق العبودية فيها، وإنزالها منازلها، فهذا الالتفات عبودية وتوحيد؛ إذ لم يشغله عن الالتفات إلى المسبب، وأما محوها أن تكون أسبابا فقدح في العقل والحسِّ والفطرة؛ فإن أعرض عنها بالكلية كان ذلك قدحا في الشرع وإبطالا له، وحقيقة التوكل القيام بالأسباب والاعتماد بالقلب على المسبب واعتقاد أنها بيده فإن شاء منع اقتضاءها، وإن شاء جعلها مقتضية لضد أحكامها، وإن شاء أقام لها موانع وصوارف تعارض اقتضاءها، وتدفعه، فالموحد المتوكل لا يلتفت إلى الأسباب بمعنى أنه لا يطمئن إليها، ولا يرجوها، ولا يخافها، فلا يركن إليها، ولا يلتفت إليها، بمعنى أنه لا يسقطها ولا يهملها ويلغيها، بل يكون قائما بها ملتفتا إليها ناظرا إلى مسببها، سبحانه ومجريها، فلا يصح التوكل شرعا وعقلا إلا عليه سبحانه وحده؛ فإنه ليس

---

(1) زهرة التفاسير، أبوزهرة، (1391/3)

(2) منهاج السنة، ابن تيمية، (367/5)، وانظر: مدارج السالكين، ابن القيم، (462/3).

(3) انظر: المصدر السابق، (462/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الوجود سبب تام موجب إلا مشيئته وحده. فهو الذي سبب الأسباب، وجعل فيها القوى والاقتضاء لآثارها، ولم يجعل منها سببا يقتضي وحده أثره، بل لا بد معه من سبب آخر يشاركه، وجعل لها أسبابا تضادها وتمانعها بخلاف مشيئته سبحانه، فإنها لا تحتاج إلى أمر آخر، ولا في الأسباب الحادثة ما يبطلها ويضادها، وإن كان الله سبحانه قد يبطل حكم مشيئته بمشيئته؛ فيشاء الأمر ثم يشاء ما يضاده، ويمنع حصوله، والجميع بمشيئته واختياره، فلا يصح التوكل إلا عليه، ولا الالتجاء إلا إليه، ولا الخوف إلا منه، ولا الرجاء إلا له، ولا الطمع إلا في رحمته، كما قال: أعلم الخلق به ﷺ "**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ**[1]"، وقال: "**لَا مَنْجَى وَلَا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ**(2)"، فإذا جمع العبد بين هذا التوحيد وبين إثبات الأسباب استقام قلبه على السير إلى الله، ووضح له الطريق المستقيم الذي مضى عليه جميع رسل الله وأنبياؤه وأتباعهم؛ وهو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، وما سبق به علم الله وحكمه حق، وهو لا ينافي إثبات الأسباب ولا يقتضي إسقاطها؛ فإنه سبحانه قد علم وحكم أن كذا وكذا يحدث بسبب كذا وكذا؛ فسبق العلم والحكم بحصوله عن سببه فإسقاط الأسباب خلاف موجب علمه وحكمه، فمن نظر إلى الحدوث بغير الأسباب لم يكن نظره وشهوده مطابقا للحق، بل كان شهوده غيبة ونظره عمى، فإذا كان علم الله قد سبق بحدوث الأشياء بأسبابها، فكيف يشهد العبد الأمور بخلاف ما هي عليه في علمه وحكمه وخلقه وأمره[3].

العلل التي تتقى في الأسباب نوعان:

أحدهما: الاعتماد عليها والتوكل عليها والثقة بها ورجاؤها وخوفها فهذا شرك[4].

الثاني: ترك ما أمر الله به من الأسباب وهذا أيضا قد يكون كفراً وظلماً، وبين ذلك، بل على العبد أن يفعل ما أمره الله به من الأمر، ويتوكل على الله توكل من يعتقد أن الأمر كله بمشيئة الله، سبق به علمه، وحكمه، وأن السبب لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع ولا يقضي ولا يحكم، ولا يحصل للعبد مالم تسبق له به المشيئة الإلهية، ولا يصرف عنه ما سبق به الحكم والعلم فيأتي بالأسباب إتيان من لا يرى النجاة والفلاح والوصول إلا بها ويتوكل على الله توكل من يرى أنها لا تنجيه ولا تحصل له فلاحا ولا توصله إلى المقصود؛ فيجرد

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الصلاة/ ما يقال في الركوع والسجود، (352/1، ح486)].

(2) [المصنف في الأحاديث والآثار، مصنف ابن أبي شيبة، (38/6، ح29296).

(3) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم، (463/3).

(4) انظر: المصدر السابق، (464/3، 463).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عزمه للقيام بها حرصا واجتهادا ويفرغ قلبه من الاعتماد عليها والركون إليها تجريدا للتوكل واعتمادا على الله وحده، وقد جمع النبي ﷺ بين هذين الأصلين في الحديث الصحيح حيث يقول: "**احْرِصْ عَلَى مَا يَنفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ**[1]"، فأمره بالحرص على الأسباب والاستعانة بالمسبب ونهاه عن العجز، وهو نوعان تقصير في الأسباب وعدم الحرص عليها، وتقصير في الاستعانة بالله وترك تجريدها، فالدين كله ظاهره وباطنه شرائعه وحقائقه تحت هذه الكلمات النبوية[2].

ولهذا ذكر الله سبحانه العديد من الآيات التي تدل دلالة واضحة على الوجوب بالأخذ بالأسباب.

ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

1- قال الله ﴿**وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ**﴾ [البقرة:22]، فالله ﷻ جعل الماء سبباً لإخراج النبات المثمر، والثمرات تعني الشجرات ومسألة جعل الماء سبباً من أسباب الحياة من الأمور التي ارتبطت بنشأة الخلق، ومنه قوله: ﴿**وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ**﴾ [الأنبياء:30]، والسماء هنا السحاب، والثمرات: ما ينتجه الشجر، والرزق: ما يصلح لأن ينتفع به، والباء في "به" للسببية، أي: أنه جعل الماء سببا في خروج الثمرة، وهو القادر على أن ينشئها بلا سبب كما أنشأ الأسباب[3]، فهنا الذي أوجد المسبب هو السبب، فلو لم يكن ماءٌ لم يكن نباتاً، ولو لم يكن نباتاً لم يكن رزقاً، ومن هنا نستشف ثبوت الأسباب والمؤثرات الخارجية، وكل ذلك بأمر الله سبحانه.

2- وقوله تعالى: ﴿**وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ**﴾ [البقرة:60]، فالله ﷻ جعل ضرب الحجر بالعصا سبباً في تفجّر الماء، وَقَدْ كَانَ تَعَالَى قادرًا على تفجيرِ الماءِ وفلق الحجرِ من غير ضربٍ لكن أراد أن يربط المسبِّباتِ بالأسبابِ حكمةً منه للعباد في وصولهم إلى المرادِ[4].

---

(1) [مسلم: صحيح، مسلم، القدر/ في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، (2052/4، ح2664)].

(2) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم، (463/3، 464).

(3) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي، (73/1).

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (419/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- ومنه قوله: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة:73]، جعل الله ﷻ ضرب الميت ببعض أعضائه سبباً في إحيائه، نعم؛ إحياء الميت مسألة لا تتم إلا بأمر إلهي ولكنه أراد أن يعلم العباد أن يأخذوا بالأسباب في أفعالهم، والله تعالى كان قادراً على إحيائه بغيرِ هذا السبب؛ إلا أنَّ الله أمرَهم بذلك، لأن إحياءَ الميتِ بالميتِ آكدُ دليلاً وأبينُ قدرةً[1].

4- وقوله: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:191]، فالله ﷻ جعل قتال المشركين للمسلمين سبباً لقتلهم، ونلاحظ هنا التكافؤ في السبب والنتيجة، فقتل المشركين فعل تكافأ مع قتالهم للمسلمين، لأنّ سنّة الله أن يُجازى الكافرين مثل هذا الجزاء، وأن يعذبوا مثل هذا العذاب، بسبب بدئهم بالعدوان، وظلمهم أنفسهم؛ فيلقون جزاء ما صنعوا[2].

5- وقوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ﴾ [الأنفال:60]، الله ﷻ جعل من إعداد القوّة "والتي كان يعبّر عنها آنذاك برباط الخيل" سبباً في ترهيب – وليس إرهاب – عدوّ الله وعدوّ المسلمين وترهيب آخرين لا يعلمهم المسلمون ولكن الله يعلمهم، وهذا سبب هام من أسباب بقاء المسلمين وعدم ضعفهم واستهانة عدوّهم بهم، نحن نملك من أسباب المال والعتاد، ولكننا لا نعد العدة لهؤلاء الذين جعلوا النيل منا وانتقاصنا وتحقيرنا هدفاً لهم، بل جعلوا من أرضنا وعروبتنا وإسلامنا مطمعاً لهم، وبدلاً من أن نعدّ العدّة لترهيبهم يستبق بعض ضعفاء الإيمان إلي إرضائهم ونيل الرضا منهم، فهانت عليهم، وهانت علينا أنفسنا، ومن هنا لا بد الاستعداد الدائم لمواجهة الأعداء، بجميع أوجه الإعداد المادي والمعنوي والفني والمالي، بما يناسب كل عصر وزمان، لأن الجيش المقاتل درع البلاد وسياج الوطن، به يدفع العدوان، وتدحر قوى البغي والشر والتسلط، ولا يعقل أن نواجه الأعداء إلا بنفس المستوى الحربي والسلاح المتطور الذي تعتمد عليه الجيوش المحاربة، وبالقوى المماثلة المناظرة عند الآخرين، لذا وردت كلمة قُوَّةٍ نكرة في قوله تعالى: ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:60]، وفي الإبهام إعظامٌ، وهي تشمل مختلف أنواع القوى البرية

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم (المنسوب) للإمام الطبراني، بدون رقم صفحة ولا طبعة.

(2) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، (180/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والبحرية والجوية، من حيوان وسلاح وألبسة وآلات ونفقات وتقنيات متطورة، ولما كانت الخيول في الماضي هي أصل الحروب وأقوى القوى وحصون الفرسان، خصها الله بالذكر تشريفا لها، وإذا تغيرت الوسائل، الحربية، تغير الواجب لإرهاب عدو الله وعدو المؤمنين الظاهر، والعدو الخفي، الذي نعلمه أو لا نعلمه، وإنما يعلمه الله، فالإرهاب سبب الإعداد، وطريق تحصين البلاد وتوفير الأمن والسلامة[1].

6- ومنه قوله: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ﴾ [يوسف:67]، ففي هذه الآية نجد سيدنا يعقوب عليه السلام يأمر أولاده، بألاّ يدخلوا من باب واحد؛ لأنه كان يخشى عليهم من الحسد رغم شدّة إيمانه بالله وعلمه بأنه لا يغني عنهم من الله شيء، ولكنه يأخذ بالأسباب، يقول الأمام القرطبي: لما عزموا علي الخروج خشي عليهم العين فأمرهم ألاّ يدخلوا مصر من باب واحد، وكانت مصر لها أربعة أبواب، وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر رجلاً لرجل واحد، وكانوا أهل كمال وجمال وبسطة، وهذا دليل على التحرز من العين والعين حق[2].

7- وقوله: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [النحل:15]، فالله ﷻ جعل الجبال سبباً لعدم ميدْ الأرض أو اضطرابها أو تمايلها، وحول هذا الموضوع يقول الأمام القرطبي وفي هذه الآية: "أدل دليل على استعمال الأسباب وكان قادراً على سكونها دون الجبال"[3].

8- وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ [النحل:78]، فالله ﷻ جعل السمع والأبصار والأفئدة أسباباً للعلم والإدراك بعدما أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً، يقول الأمام القرطبي: فالسمع لسماع الأمر والنهي والأبصار لنبصر بها آثار صنعه، والأفئدة لنصل بها إلى معرفته، وفي السمع إثبات النطق لأن من لم يسمع لم يتكلّم؛ وإذا وُجدت حاسة السمع وجد النطق[4].

---

(1) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، (817/1).
(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (226/9)
(3) انظر: المصدر السابق، (91/10).
(4) انظر: المصدر السابق، (151/10).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

9- وقوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾ [النحل:80]، ففي هذه الآية ضرب آخر من الأخذ بأسباب الحياة، فالبيوت سكن للإنسان خاصة، وأنه بحاجة إلي السكينة والهدوء، وفي حالة السفر يمكنه أن يتخذ من جلود الأنعام بيتاً لتحقيق تلك السكينة التي لا يمكنه الحياة بدونها، وجعل أيضاً الأصواف والأوبار والأشعار أثاثاً ومتاعاً للإنسان خاصة، وأن الإنسان بحاجة إلى الأثاث والمتاع في الحياة وبدون الأثاث والمتاع لا تستقيم حياته، وفي هذا المعني يقول الأمام القرطبي: "يسكن يعني هدوء الجوارح وهذا يتحقق من خلال ما يستر الإنسان من جهاته الأربع وله سقف وفلك "أرض" وهذا هو البيت، والله ﷻ خلق الإنسان متحركاً ولكنة بحاجة إلى السكون وهدوء الجوارح؛ لكي تستقيم حياته، ولذلك جعل البيت سبب لتحقيق تلك السكينة، ثم هو بحاجة إلى الأثاث والمتاع أيضاً بمعني ما يفرشه الإنسان وما يلبسه وهذه أمور تتعلق بالمبيت والسكينة"[1].

10-وقوله: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ [الإسراء:12]، جعل الله سبحانه وتعالى الليل والنهار ليبتغي الإنسان الفضل من ربه في تصريف معاشه بالنهار الذي يبصر فيه: ﴿وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾؛ أي ولتعرفوا بتعاقب الليل والنهار عدد الأيام والشهور والأعوام، وتعلموا بحساب الأشهر والليالي والأيام أوقات مصالحكم من الدورات الزراعية، وآجال الديون والإجارات والمعاملات، وأزمان العبادات من صلاة وصيام وحج وزكاة، فلو لم يتغاير الليل والنهار، لما تمكن الإنسان من الراحة التامة ليلا واكتساب المعايش والأرزاق نهارا، ولو كان الزمان كله نسقا واحدا لما؛ عرف الحساب على نحو صحيح يسير، وليعلم الإنسان عدد السنين والحساب وهذه من أسباب استقامة حياة الإنسان، فالإنسان لا يمكنه الحياة بدون العمل الذي يبتغي فيه الفضل من الله وبدون علم عدد السنين والحساب[2].

11-وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الأحزاب:59]، ففي هذه الآية

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (152/10).

(2) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، (33/15).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكريمة نجد الله ﷻ يأمر النبي بتبليغ النساء من المؤمنات بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، وجعل ذلك سبباً لعدم معرفة الغير لهن وإيذائهن، وهذا ضرب من الأخذ بالأسباب فيما يتعلق بلباس المرأة وضرورة سترها لنفسها حتى لا تتعرض للأذى من الغير من ذوى النفوس الضعيفة أو القلوب المريضة، وفي هذا المعنى يقول الأمام القرطبي: لما كانت عادة العربيات التبذّل وكنّ يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء، وكان ذلك داعية إلى نظر الرجال إليهن وتشعّب الفكرة فيهن أمر الله رسوله صلي الله عليه وسلم أن يأمرهن بإرخاء الجلاليب عليهن إذا أردن الخروج إلي حوائجهن[1].

12-وقوله: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة:105]، هنا جعل الله العمل أساس السعادة، وأساس الشقاوة، فمن دخل الجنة فهو بسبب العمل الصالح، والعكس بالعكس.

13-وقوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف:96]، في الآية السابقة جعل الله الإيمان والتقوى سبباً لنزول البركات والخيرات من السماء، وجعل العذاب سبباً لمن كذب بآيات الله، وهذا إخبار عن سنة من سنن الله في عباده، وتلك السُّنة أنه لو آمن أهل القرى كأهل مكة وغيرهم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، واتقوا ما نهى الله عنه وحرمه من الشرك والفساد في الأرض بارتكاب الفواحش والآثام؛ لأنزل عليهم الخيرات الكثيرة من السماء كالمطر، وأخرج لهم خير الأرض من نبات ومعادن وكنوز، وآتاهم من العلوم والمعارف والإلهامات الربّانية لفهم سنن الكون[2].

14-وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق:2]، أي: ومن يتق الله فيما أمره به، وترك ما نهاه عنه، ووقف عند حدوده التي حدّها لعباده، يجعل له من أمره مخرجا أو مخلصا مما وقع فيه، ويرزقه من وجه لا يخطر بباله، ولا يكون في حسابه، فالله جعل التقوى سبباً مخلصاً من كل ضيق وكرب، وهكذا، سنة الله جارية إلى أن يرث الله من عليها؛ أنه -سبحانه- ربط بين الأسباب بالمسببات، فلا يقع المسبب إلا بالسبب الذي أذن الله فيه.

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (243/14).

(2) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، (18/9).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

بحمد الله وتوفيقه أتممت هذا البحث، وبذلت قصارى جهدي أن أخرجه أفضل ما يكون، ولكن هذا لا يعني خلوه من النقص، فالكمال لله وحده، ويبقى هذا جهد بشري، والإنسان معرّض للخطأ والزلل، فإن أصبت فمن الله وتوفيقه، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه براء، والله أسأل أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم.

وبعد هذا فإني قد قسمت خاتمة البحث إلى قسمين:

القسم الأول: أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

وبنهاية هذه المناقشة والمحاورة الهادئة والهادفة نسطّر هذه الفوائد والنتائج:

1- منهج السلف هو الأعلم والأحكم والأسلم والوسط بين الفرق المنحرفة.

2- التعامل مع ردود الفعل كثيرٌ ما يقود الإنسان إلى البعد عن إصابة الحقيقية فضلاً عن الخروج عن المنهج الصحيح، والدخول في متاهات وضلالات بعيدة وأخطاء جسيمة.

3- إن ما أثبته خصوم الأشاعرة من وجود أثر للطبائع لا يعمل مستقلاً ولكن بقدرة الله تعالى يتمشى مع مبادئ الأشاعرة التي بنوا عليها عقيدتهم أكثر مما نص عليه الأشاعرة من أن طبائع الأشياء لا أثر لها وإنما هي عادات ألفها الناس.

4- القول بعقيدة العادة تخالف نصوص الكتاب والسنُّة، وليس له أساس لا من القرآن الكريم ولا من السنُّة النبوية، ولهذا جاء اعتقاد السلف الصالح مخالفًا لهذه العقيدة.

5- القول بعقيدة العادة مخالف لأصل الأصول ألا وهو التوحيد.

6- التقدم العلمي اليوم والقائم على التجربة والمشاهدة أكبر برهان على تضمن الطبائع من القوى الكثير، فهذه الذرة كنموذج واضح.

7- إن إنكار الأسباب والمحسوس والمشاهد لا يفضي إلى إيمان وتوحيد، بل يؤدي إلى الوقوع في الكفر والإلحاد.

8- القوانين التي تحكم عالم المادة وعالم الأحياء سنن إلهية في الكشف عنها تأكيد وتدعيم للإيمان متى انتهج الباحثون المنهج العلمي الصحيح، وفي هذا ما يؤكد أن التقدم العلمي ليس خطرًا على الدين، ولا يتعارض معه كما يدّعي ويزعم الملحدون.

9- إن العلوم التجريبية، والإنسانية تكشف لنا كل يوم عن الجديد من القوانين والحقائق التي تؤكد وحدانية وجود الله، وأن دعاوى معارضي الدين باطلة وفاسدة لا تقوم على دليل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

10-السنن الكونية والقوانين المادية التي تحكم عالم المادة لا يمكن أن تكون مستقلة العمل بذاتها، لأنها لا تستطيع أن تبدع نفسها أو تخلق لنفسها شيئًا، وبما أنها موجودة وجودًا واقعيًا، فإن هذا يدل على أن لها مبدعًا خالقًا، وموجدٍ أوجدها الا وهو الله العلي القدير.

11-للعلم مجاله وهو تحليل الظواهر ولا يستطيع تعليلها، كما نطق بذلك أساطينه، وإذا كانت الظواهر تحتاج بالضرورة إلى التعليل فإن الدين هو الذي يتكفل بذلك وليس العلم.

12-التقدم العلمي اليوم والقائم على التجربة والمشاهدة أكبر دليل على تضمن الطبائع من القوى الكثير، فهذه الذرة كنموذج واضح.

13-يعد لفظ العادة من الألفاظ المموهة، فهي لا تعطي فائدة لُغوية فضلاً عن عقدية.

14-القول بعقيدة العادة، تخالف لما كان عليه السَّلف، ولذا لم نجد من السَّلف من قال بها.

15-القول بعقيدة العادة، تخالف الفطرة السليمة، والعقل الصريح.

16-القول بعقيدة العادة، تخالف احاديث الرقية.

17-القول بعقيدة العادة تخالف الأسباب القدرية والشرعية.

18-دلّ القرآن الكريم والسُّنة بوضوح على تأثير الأسباب في مسبباتها.

19-خلاصة القول عند التجريبين: أن اكتشاف الأسباب والمسببات والنتائج لا يتم بالعقل بل بالتجربة.

20-مبدأ الأسباب والمسببات من الأمور الفطرية، تقتضى لكل حادث سبباً.

21-دلّ القرآن الكريم على أن الأسباب لا تؤثر بنفسها استقلالاً، والأسباب وما لها من قوة وتأثير هو وفق مشيئة الله.

22-من الأدلة التي يسوقها الأشاعرة على تحقيق التوحيد دليل التمانع.

23-دلّ القرآن الكريم والسُّنة بوضوح على تأثير الأسباب في مسبباتها.

24-ربط الله سبحانه وتعالى بين الأسباب والمسببات، فلا يقع المسبب إلا بالسبب الذي أذن الله فيه.

25-إن الاعتماد على الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباب نقص في العقل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القسم الثاني: التوصيات

1- الاعتماد على الكتاب والسنة في استقاء العقيدة السلفية الصحيحة.

2- يوصي الباحث بإجراء دراسة مذهب الأشاعرة دراسة منهجية علمية بان يأخذ كل مبدأ في رسالة مستقلة.

3- يوصي الباحث بدراسة العادة عند المعتزلة وغيرها من الفرقة كالصوفية دراسة نقضية منهجية مستقلة على ضوء الكتاب والسنُّة.

4- يوصي الباحث بان تدرس الأسباب والمسببات، من خلال ربطها بالواقع المعاصر بما فيه من تقدم علمي تقني، تبين فيه مدى علاقة ارتباط وانسجام الأسباب بالمسببات عند أهل السُّنة.

5- يوصي الباحث طلبة العلم الشرعي في الدراسات العليا بتقرير وبث عقيدة السَّلف الصالح، وإظهارها في صورة حسنة ميسرة، بعيداً كل البعد عن تعقيدات علم الكلام والمتكلمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1- الإبانة الكبرى، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري،: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1415هـ.

2- الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار – القاهرة.

3- اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة 1414هـ، 1994م.

4- أثر علم الكلام على المنتسبين إليه وموقف أهل السنة والجماعة وكبار المتكلمين منه (رسالة ماجستير)، وليد بن صالح بن عبد القادر باصمد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1430هـ.

5- اجتماع الجيوش الإسلامية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، عواد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق التجارية – الرياض، ط1، 1408هـ، 1988م.

6- الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين أبو الحسن علي ابن أبي علي بن محمد الآمدي، مطبعة محمد علي صبيح، مصر، بدون رقم طبعة، 1387هـ، 1968م.

7- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة – بيروت.

8- الإرشاد إلى قواطع الأدلة، الجويني، تحقيق محمد يوسف موسى، مطبعة السعادة سنة 1369هـ.

9- الاستقامة، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، القاهرة سنة 1409هـ.

10- إشارات المرام من عبادات الإمام، كمال الدين البياضي، تحقيق: يوسف عبد الرازق، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ط1، 1368هـ، 1949م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

11- الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ، 1990م.

12- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415هـ.

13- أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد بم عبد الرحمن الخميس، ط1 دار الصميعي الرياض سنة 1416هـ.

14- أصول الدين، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1417هـ.

15- أصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، دار المعرفة – بيروت.

16- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم أبو العينين، علق عليه عبد الرزاق عفيفي، قدم له د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، ط2، دار الهدي النبوي (المنصورة) – دار الفضيلة (الرياض)، 1427هـ، 2006م.

17- أعز ما يطلب، ابن تومرت، نشره جولد زيهر الجزائر سنة 1903م.

18- الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: إبراهيم أكاه أنقرة، 1962م.

19- الإنسان في الفلسفة الإسلامية، منى أحمد أبو زيد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1414هـ، 1994م.

20- الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي، مكتبة الأزهرية للتراث، ط2، 1421هـ، 2000م.

21- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي،: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1- 1418هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

22- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ، 2003م.

23- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ، 1988م.

24- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ط1، 1376هـ، 1957م.

25- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط3، 1415هـ، 1995م.

26- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – لبنان – صيدا.

27- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مكة المكرمة: مطبعة الحكومة، ط1، 1392هـ.

28- البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات، محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: ريتشارد مكارثي المكتبة الكاثوليكية، بيروت، 1958م.

29- بيان فضل علم السلف على علم الخلف، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، دار الصميعي، ط2، 1406هـ.

30- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

31- تاريخ الفكر الفلسفي، (الجزء الثاني: أرسطو والمدارس المتأخرة)، محمد على أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، ط3، 1983م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

32- تاريخ الفكر الفلسفي، (الجزء الثاني: أرسطو والمدارس المتأخرة)، محمد على أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، ط3، 1983م.

33- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ، 1995م.

34- تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواريها (المعروف بتاريخ بغداد)، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1422هـ، 2001م.

35- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1404هـ.

36- تحرير ألفاظ التنبيه، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم – دمشق، ط1، 1408هـ.

37- تحفة الحبيب على شرح الخطيب (البجيرمي على الخطيب)، سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت: لبنان – ط1، 1417هـ، 1996م.

38- تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط1، 1419هـ، 1998م.

39- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: محمد سالم هاشم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ.

40- تسع رسائل في الحكمة، ابن سينا، الرسالة الثانية، القسطنطينية سنة، 1398هـ.

41- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، 1403هـ، 1983م.

42- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث – القاهرة، ط1.

43- تفسير القرآن العظيم (المنسوب) للإمام الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، الشاملة الذهبية، بدون رقم طبعة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

44- تفسير القرآن الكريم "ابن القيم"، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط1، 1410هـ.

45- تفسير المعوذتين، ابن القيم، تحقيق سيد إبراهيم دار الحديث.

46- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط، 2، 1418هـ.

47- التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، ط2، مزيدة ومنقحة، 1430هـ، 2009م.

48- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ، 1998م.

49- التفكير الفلسفي في الإسلام، سليمان دنيا، مطبعة السنة القاهرة، ط1، سنة 1387هـ.

50- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان، ط1، 1407هـ، 1987م.

51- التمهيد، محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: ريتشارد مكارثي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط1، 1957م.

52- تهافت التهافت، ابن رشد، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط2، بدون سنة.

53- تهافت الفلاسفة، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوس، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1980م.

54- توجيه النظر إلى أصول الأثر لطاهر بن صالح بن أحمد الجزائري، المكتبة العلمية بالدينة المنورة، بدون طبعة وتاريخها.

55- التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد – السعودية – الرياض، ط5، 1414هـ، 1994م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

56- التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1404هـ، 1984م.

57- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ، 2000م.

58- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1424هـ، 2004م.

59- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423هـ، 2003م.

60- حوار بين الفلاسفة والمتكلمين، الدكتور حسام الألوسي، ط2، المؤسسة العربية للدراسات سنة 1400هـ.

61- خلق أفعال العباد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية – الرياض.

62- درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط2، 1411هـ، 1991م.

63- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، تحقيق، مراقبة، محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد، الهند، ط2، 1392هـ، 1972م.

64- رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1413هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

65- الرسل والرسالات، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي.

66- رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى، تحقيق: أسعد محمد المغربي، دار حراء – مكة المكرمة – السعودية، ط1، 1410هـ.

67- الروض الباسم في الذّب عن سنّة أبي القاسم ﷺ "وعليه حواشٍ لجماعةٍ من العلماء منهم الأمير الصّنعان"، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير، فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد، أعتنى به: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

68- الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية، الحسن بن عبدالمحسن أبو عذبة، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، دار عالم الكتب، بيروت، ط1، 1409هـ.

69- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي –بيروت، ط1- 1422هـ.

70- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27، 1415هـ، 1994م.

71- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.

72- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1415هـ.

73- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، لمصطفى السباعي، المكتب الإسلامي- بيروت، ط2، 1398هـ، 1978م.

74- السنة، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، باسم بن فيصل الجوابرة، دار الصميعي – الرياض، ط1، 1419هـ، 1998م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

75- السنة، أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي، تحقيق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم – الدمام، ط1، 1406هـ، 1986م.

76- سنن ابن ماجة، ابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القيزوني، مركز البحوث بدار التأصيل، دار التأصيل، ط1، 1435هـ، 2014م.

77- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، 1998م.

78- السنن الكبرى للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، دار الفكر، ط1، 1344هـ.

79- السنن، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق:عادل محمد – عماد عباس، دار التأصيل – القاهرة، ط1، 1436هـ، 2015م.

80- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الحديث– القاهرة، ط1، 1427هـ، 2006م.

81- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، 1406هـ، 1986م.

82- شرح الأصول الخمسة القاضي أبي الحسن عبد الجبار الأسد آبادي بن أحمد، تحقيق: عبد الكريم عثمان، القاهرة، مكتبة وهبة، ط3، 1416هـ.

83- شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، تعليق: أحمد بن الحسن ابن أبي هاشم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1.

84- شرح التلويح على التوضيح، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، مكتبة صبيح بمصر، بدون طبعة وبدون تاريخ.

85- شرح العقيدة الأصفهانية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق:محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية – بيروت، ط1، 1425هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

86- شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط6، 1421هـ.

87- شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، محمد بن خليل حسن هرّاس، ضبط نصه وخرّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع – الخبر، ط2، 1415هـ.

88- شرح المواقف، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، ضبطه وصححه محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1419هـ، 1998م.

89- شرح جوهرة التوحيد، العلامة الشيخ إبراهيم بن محمد البيجوري، الدار السودانية للكتب السودان، الخرطوم.

90- شرف أصحاب الحديث، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديث، تحقيق: د. محمد سعيد خطي اوغلي، دار إحياء السنة النبوية – أنقرة.

91- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر – بيروت، 1398 – 1978م.

92- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة 1407هـ، 1987م.

93- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

94- صحيح التَّرغيب والتَّرهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتَبة المَعارف للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط1، 1421هـ، 2000م.

95- صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، المكتب الإسلامي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

96- صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، المكتب الإسلامي.

97- صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العرب.

98- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1408هـ.

99- الصفدية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط2، 1406هـ.

100-صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط1، 1417هـ، 1997م.

101-الصلة بين الزيدية والمعتزلة، أحمد عبد الله عارف، تقديم محمد عمارة، دار أزال، صنعاء اليمن، ط1، 1407هـ.

102-طبقات الحنابلة، محمد ابن محمد أبو الحسين، ابن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة- بيروت.

103-طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ.

104-العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، تحقيق: د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض – جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، ط2، 1410هـ، 1990م.

105-عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي،:مكتبة دار الزمان، ط1، 1405هـ، 1985م.

106-عقيدة العادة عند الأشاعرة ما لها وما عليها، جابر بن زايد السميري، مجلة الجامعة الإسلامية، للدراسات الإسلامية غزة، م9، ع1، (ص177-208).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

107-العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تحقيق: الكوثري، بدون طبعة، دار النشر المكتبة الأزهرية سنة 1412هـ.

108-عون المريد شرح جوهرة التوحيد، عبد الكريم تنان، ومحمد أديب الكيلاني، دار الثائر دمشق، ط1، 1415هـ، 1994م.

109-غاية المرام في علم الكلام، سيف الدين الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، القاهرة، 1319هـ، 1971م.

110-فتاوى ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، تحقيق: د. موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب – بيروت، ط1، 1407هـ.

111-فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، 1379هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن باز.

112-الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق: محمد محي الدين دار المعرفة. بيروت.

113-فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، ط4، 1422هـ، 2001م.

114-الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، مكتبة الخانجي – القاهرة.

115-الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس)، ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، مكتبة الفرقان – الإمارات العربية، ط1، 1419هـ، 1999م.

116-الفقه الأكبر، أبو حنيفة النعمان، بشرحه للقاضي الملا ط2 مصطفى جلبي سنة 1375هـ.

117-الفكر التربوي عند المتكلمين المسلمين ودوره في بناء الفرد والمجتمع، أحمد عرفات القاضي، الهيئة المصرية للكتاب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

118-الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم، إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت – لبنان، ط2، 1417هـ، 1997م.

119-القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط8، 1426هـ، 2005م.

120-القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط8، 1426هـ، 2005م.

121-القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، عبد الرحمن بن صالح المحمود، الرياض، دار الوطن، ط2، 1418هـ.

122-قضية الثواب والعقاب بين مدارس الإسلاميين بيانًا وتأصيلاً، جابر بن زايد السميري، دار السودان للكتب، السودان، الخرطوم، ط1، سنة 1416هـ، 1995م.

123-قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان،.

124-القول في الإبصار والمبصر رسالة ضمن مجموعة رسائل للعامري تحقيق: سحبان خليفات.

125-الكامل في التاريخ ط صادر، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، دار الصادر – بيروت، 1385هـ، 1965م.

126-كبرى اليقينيات الكونية، محمد سعيد رمضان البوطي، ط3 دار الفكر، ط3، 1394هـ.

127-كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1418هـ، 1997م.

128-الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، القاضي الفاصل محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي، تقديم: د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1998م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

129-اللالكائي، شرح أصول السنة، أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري.

130-لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر – بيروت، ط3، 1414هـ.

131-اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، أبو الحسن الأشعري، صححه وعلق عليه، حموده غرابة، مصر، 1955م.

132-اللمعة في تحقيق مباحث الوجود والحدوث والقدر وأفعال العباد، إبراهيم بن مصطفى الحلبي المذاري، حققه زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار سنة 1358هـ.

133-لواقح الأفكار السُّنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية، العلامة الشيخ، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، دراسة وتحقيق عبد الله بن محمد البصيري ط1 الرياض سنة 1415هـ.

134-لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط 2، 1402هـ، 1982م.

135-لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط2، 1402هـ، 1982م.

136-لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية "شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية"، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق: عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط1، 1415هـ، 1994م.

137-ما بعد الطبيعة، ابن رشد، ضمن رسائله دار المعارف العثمانية سنة 1395هـ.

138-المباحث المشرقة في علم الإلهيات والطبيعيات، فخر الدين بن محمد عمر الرازي، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ذوي القربى، ط1، 1300هـ، 1938م.

139-مبدأ السببية عند الأشاعرة دراسة نقدية (رسالة ماجستير منشورة)، جمعان بن محمد ابن أحمد الشهري، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1429هـ.

140-مجلة النقد الأدبي والبحث الفلسفي، السنة الخامسة، العدد الخامس، 2003م، دار النشر المغربية دار البيضاء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

141-مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ، 1995م.

142-مجموعة الرسائل والمسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ.

143-محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، فخر الدين الرازي، بذيله تلخيص المحصل للطوسي، قدم له: طه عبد الرؤف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، بدون طبعة.

144-مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5، 1420هـ، 1999م.

145-مختصر تفسير ابن كثير، "اختصار وتحقيق"، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، ط7.

146-مختصر لوامع الأنوار البهية، محمد بن علي سلومة، تحقيق: محمد زهدي النجار، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان سنة 1403هـ.

147-مختصر موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين، مصطفى صبري -وكيل المشيخة العثمانية-، دار السلام سنة 1407هـ.

148-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط2، 1416هـ، 1996م.

149-مذكرة الاقتران والتأثير، الأخضر الطيباوي، حوار مع الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، الحلقة الخامسة.

150-مذهب الذرة عند المسلمين (ترجمة)، محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة مقدمة المترجم أبو ريدة.

151-المستصفى في علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ، 1997م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

152-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية – بيروت.

153-المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط1، 1409هـ.

154-معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، ط1، 1410هـ، 1990م.

155-معالم التنزيل في تفسير القرآن "تفسير البغوي"، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي تحقيق: عبد الرزاق، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1، 1420هـ.

156-معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط1، 1408هـ، 1988م.

157-المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل، عبد الفتاح إبراهيم سلامة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المطبعة السنة الثانية عشرة، العدد السابع والأربعون والثامن والأربعون، رجب – ذو الحجة 1400هـ، 1980م.

158-المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط2.

159-معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع – الرياض، ط3، 1417هـ، 1996م.

160-معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، دار الفك، 1399هـ، 1979م.

161-معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر – سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت – سنة 1406هـ، 1986م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

162-معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 1397هـ، 1977م.

163-مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1401هـ، 1981م، والمصدر الآخر، الشاملة الذهبية.

164-المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط1، 1412هـ.

165-مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ)، تحقيق، نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، ط1، 1426هـ، 2005م.

166-مقدمة الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، د. محمد عابدي الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1998م.

167-مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، ط4، 1410هـ، 1989م.

168-الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت. لبنان سنة 1402هـ، 1982م.

169-مناهج البحث عند مفكري الإسلام، على سامي النشار، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1404هـ.

170-مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3.

171-منتخب من صحاح الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

172-المنتقي من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: محب الدين الخطيب ط1، الرياض، 1409هـ.

173-منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم،: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1406هـ، 1986م.

174-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط2، 1392هـ.

175-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط2، 1392هـ.

176-الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ، 1997م.

177-المواقف في علم الكلام، القاضي عصر الدين عبد الرحمن، الإيجي، مكتبة المتنبي – بدون طبعة– القاهرة.

178-موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1406هـ، 1985م.

179-موقف ابن القيم من الأشاعرة، ضياء الدين محمد البكري، الشاملة الذهبية.

180-موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط1، 1415هـ.

181-نبذة في العقيدة الإسلامية (مطبوع ضمن كتاب الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين)، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 1412هـ، 1992م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

182-نقض أوهام المادية الجدلية، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط2، 1979م.

183-نهاية الإقدام في علم الكلام، عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، صححه الفرد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.

184-النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الرازي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية- بيروت، 1399هـ، 1979م.

185-النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ، 1979م.

186-الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 1420هـ، 1999م.

187-الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق:صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط1، 1415هـ، عدد الأجزاء1.

188-الوجيز في عقيدة السّلف الصالح "أهل السنّة والجماعة" لعبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة تقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية، ط 1، 1422هـ.

189-وسطية أهل السنة بين الفرق (رسالة دكتوراة) محمد با كريم محمد با عبد الله، دار الراية للنشر والتوزيع، ط1، 1415هـ، 1994م.

190-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفهارس العامة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
البقرة		
﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ﴾	3	**43**
﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾	10	**93**
﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ﴾	22	**147**
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ...﴾	26	**100**
﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾	26	**101 ،101**
﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ...﴾	60	**147**
﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾	73	**148**
﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾	128	**117**
﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾	164	**99، 100، 100**
﴿ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾	166	**57، 85**
﴿وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾	187	**133**
﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	191	**148**
﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ﴾	225	**50**
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾	257	**97**
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾	267	**51**
﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾	275	**10**
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾	286	**51، 53، 53، 56**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
آل عمران		
﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾	9	43
﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ...﴾	18	20، 80
﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾	59	145
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾	102	1
﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾	103	22
﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾	106	15
﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾	133	93
﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ...﴾	137	13
﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾	159	97
﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾	159	143، 143
﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ...﴾	190-191	86
النساء		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ...﴾	1	1
﴿إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ﴾	22	10
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ...﴾	65	21، 22، 81
﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾	78	120
﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾	80	14، 104
﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ...﴾	155-157	96
﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ...﴾	160-161	96

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
المائدة		
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾	1	**41**
﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾	3	**81 ،21**
﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾	11	**143**
﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ ﴾	13	**96**
﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ...﴾	16-15	**100**
﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ...﴾	16	**101 ،98**
﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ...﴾	38	**98**
﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ...﴾	54	**25**
﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ...﴾	85	**103**
﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾	89	**50**
﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾	91	**82**
﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾	105	**95 ،70**
﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ...﴾	110	**94**
الأنعام		
﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾	6	**103**
﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾	17	**114**
﴿وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ﴾	70	**51**
﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾	99	**100**
﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ...﴾	102	**61**
﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾	146	**99**
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ...﴾	153	**22 ،ه**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
الأعراف		
﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾	39	**51، 70، 95**
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ...﴾	57	**72، 98، 100**
﴿فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ...﴾	57	**99، 100، 118**
﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ...﴾	73	**68، 68**
﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ...﴾	96	**151**
﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾	113	**82**
﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ...﴾	118-121	**82**
﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ...﴾	165	**99**
﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾	170	**98**
﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ...﴾	185	**86**
الأنفال		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾	29	**98، 103**
﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾	49	**143**
﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ...﴾	60	**140، 140، 148، 148**
التوبة		
﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ﴾	14	**98، 99، 100**
﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ...﴾	52	**100**
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ...﴾	100	**24**
﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ...﴾	105	**151**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
يونس		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾	9	**103**
﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ...﴾	39	**66**
﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾	71	**122**
يوسف		
﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا...﴾	59	**93**
﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ﴾	59	**93**
﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ...﴾	67	**149**
﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ...﴾	101	**ه**
﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ...﴾	108	**ه**
الرعد		
﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ...﴾	4	**92**
﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ﴾	7	**102**
﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾	11	**114**
﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾	16	**94**
﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾	19	**128**
إبراهيم		
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾	1	**103**
﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾	7	**98**
﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ...﴾	40-39	**117**
الحجر		
﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾	22	**118**
النحل		
﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾	8	**137**
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ...﴾	10-9	**100**
﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ﴾	11	**94**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا...﴾	15	149
﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	32	103، 109، 110
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ...﴾	36	81
﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾	50	30
﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾	69	94
﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ...﴾	77	64، 64
﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا...﴾	78	125، 149
﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا...﴾	80	150
﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ...﴾	88	98
الإسراء		
﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً...﴾	12	150
﴿وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾	12	150
﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾	65	143
﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾	77	77
الكهف		
﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾	25	93
﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾	63	120
﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾	84	57، 71، 85، 85، 85
مريم		
﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ...﴾	32-31	117
طه		
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾	5	30
﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ﴾	64	122
﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾	84	94

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
الأنبياء		
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾	25	**20، 80**
﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾	30	**99، 147**
﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ...﴾	73	**117**
﴿وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ...﴾	74	**55**
الحج		
﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾	10	**70، 95**
﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾	15	**57، 85، 85**
﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾	22	**93**
المؤمنون		
﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا...﴾	22-21	**137**
﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ﴾	48	**97**
النور		
﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾	2	**98**
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ...﴾	55	**82**
﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	63	**104**
الفرقان		
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾	2	**88**
﴿يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾	27	**58**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
الشعراء		
﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾	80	**94، 114**
﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾	155	**68، 68**
﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ...﴾	192- 195	**90**
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾	217	**144**
النمل		
﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾	16	**69**
﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾	17	**69**
﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾	20	**68، 69**
﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾	22	**69**
﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾	40	**ز**
﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ﴾	60	**94**
﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾	88	**88**
﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	90	**55**
القصص		
﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾	15	**120**
﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ﴾	41	**117**
العنكبوت		
﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا...﴾	40	**99**
الروم		
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ...﴾	27	**64**
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ...﴾	30	**125**
﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾	41	**53**
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً...﴾	54	**101**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
لقمان		
﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾	28	**64**
السجدة		
﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾	10	**65**
﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾	24	**117**
الأحزاب		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا...﴾	71-70	**1**
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ...﴾	59	**150**
سبأ		
﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...﴾	22	**73**
﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ... ﴾	23	**73**
فاطر		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	1	**124**
﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ﴾	2	**73**
﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾	9	**94**
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾	10	**30**
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ﴾	27	**100**
﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ... ﴾	43	**77، 77**
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ... ﴾	45	**53**
الصافات		
﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	96	**73**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
ص		
﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	85	**107**
الزمر		
﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ...﴾	38	**73**
﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ﴾	61	**103**
﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾	62	**73**
﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾	70	**55**
غافر		
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾	22	**97**
﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ...﴾	37-36	**85**
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ... ﴾	60	**108**
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ...﴾	80-79	**137**
فصلت		
﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾	15	**118 ،101**
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ...﴾	39	**64**
﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ...﴾	53	**67**
الشورى		
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	11	**90 ،30**
﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾	30	**96 ،70 ،53**
الزخرف		
﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ...﴾	56-55	**97**
﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾	56	**10**
الجاثية		
﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾	5	**102**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
الأحقاف		
﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾	25	**118**
محمد		
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡ...﴾	3	**97**
﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ﴾	38	**30**
الفتح		
﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ...﴾	29	**25**
الحجرات		
﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾	15	**43**
ق		
﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾	9	**72، 94، 98، 100**
الذاريات		
﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ... ﴾	21-20	**67**
﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾	56	**82**
الطور		
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ... ﴾	21	**103**
القمر		
﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾	50	**64**
الواقعة		
﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ...﴾	64	**93**
الحديد		
الحشر		
﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾	7	**14، 104**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
الجمعة		
﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾	10	**139**
التغابن		
﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾	16	**101، 118**
الطلاق		
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا...﴾	3-2	**103، 143، 151**
﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾	3	**143، 143**
الملك		
﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾	1	**63**
﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾	15	**139**
الحاقة		
﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ...﴾	6-5	**93**
﴿فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةٗ﴾	10	**97**
﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾	24	**96**
المعارج		
﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا...﴾	21-19	**117**
المزمل		
﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾	5	**82**
﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾	16	**97**
المدثر		
﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ...﴾	55-54	**117**
القيامة		
﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ...﴾	19-16	**90**
﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾	18	**90**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية	رقمها	الصفحة
الإنسان		
﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾	1	**88**
﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾	12	**103**
﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا﴾	23	**90**
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا...﴾	30-29	**117، 117، 119**
النَّبأ		
﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا...﴾	16-14	**72، 98**
﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا﴾	26	**96**
التكوير		
﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ...﴾	29-28	**117، 119**
الإنفطار		
﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾	1	**124**
الفجر		
﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ﴾	13	**93**
الشمس		
﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا﴾	14	**68، 97**
الليل		
﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ...﴾	10-5	**107**
الإخلاص		
﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	1	**30**
الفلق		
﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾	1	**114**
الناس		
﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾	1	**114**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: فهرس الأحاديث الشريفة

الرقم	طرف الحديث	رقم الصفحة
1-	"مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ لا يَشْكُرُ اللهَ"	ز
2-	"إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ..."	1
3-	"خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...".	11
4-	"وَتَفْتَرِقَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةٍ كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةً...".	12
5-	"خير النَّاس قَرْني؛ ثمَّ الَّذين يَلُونَهُمْ ثمَّ الَّذين ثمّ الذين يلونهم".	12
6-	"مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً؛ فَلَهُ أَجْرُهَا، ...".	13
7-	"فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي".	14
8-	"مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدّ".	14
9-	"وَإِن أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ على ثِنْتَيْنِ وَسبعين فرقة...".	15
10-	"مَا أَنَا عَلَيْه وَأَصْحَابِي".	15
11-	"وَإِن أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ على ثِنْتَيْنِ وَسبعين فرقة...".	15
12-	"لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ".	18
13-	"لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ".	18
14-	"لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ"	20
15-	"وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِينَ...".	23
16-	"أَطِيعُونِي مَا كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ أَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ".	23
17-	"أَمَّا بَعْدُ: أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي؛ فَأُجِيبُ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ...".	23
18-	"كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي".	23
19-	"إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِي بِهِ، مَثَلُ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ...".	24
20-	"مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي".	24
21-	"لا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذُهُبًا...".	25
22-	"خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ...".	26
23-	"لاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا"	26
24-	"أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا...".	65

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرقم	طرف الحديث	رقم الصفحة
25-	"أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ...".	65
26-	"أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ".	73
27-	"أَلَا وَإِنّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائَهُمْ وَصَالِحِيْهُمْ مَسَاجِدَ...".	81
28-	"لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورِ أَنْبِيَائَهُمْ مَساجِدَ".	81
29-	"إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَا اللهِ وَأَنّي رَسُولُ اللهِ".	81
30-	"إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْه ما اسْتَطَعْتُم".	101
31-	"فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ".	104
32-	"وخيرَ الهدي هديُ محمَّدٍ ﷺ".	104
33-	"وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة...".	104
34-	"مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُو رَدٌّ".	104
35-	"أَفَلَا نَدَعُ الْعَمَلَ وَنَتَّكِلُ عَلَى الْكِتَابِ؟ فَقَالَ لَا...".	105
36-	"لَا يَمُوتَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ؛ إِلَّا آذَنْتُمُونِي بِهِ حَتَّى أُصَلِّيَ عَلَيْهِ...".	106
37-	"إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ عَلَى أَهْلِهَا ظُلْمَةً وَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ نُورًا".	106
38-	"إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ...".	106
39-	"كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ فِي جَنَازَةٍ فَقَالَ: مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنْ الْجَنَّةِ...".	106
40-	"اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ".	108
41-	"الدُّعَاءُ هُو الْعِبَادَةُ".	108
42-	"لاَ يَرُدُّ القَضَاءَ إِلاَّ الدُّعَاءُ، وَلاَ يَزِيدُ فِي العُمْرِ إِلاَّ البِرُّ".	108
43-	"إِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ...".	109
44-	"من صَلَّى الْصَلَوَاتِ لِوَقْتِهَا، كَانَ لَهُ عِندَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدخِلَهُ الجنّة".	110
45-	"من صَلَّى البَرْدَين دخل الجنة"..	110
46-	"لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قاطع".	110
47-	"لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مَنْ كِبْر".	110
48-	"لا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤمِنوا، وَلَا تُؤْمِنوا حتَّى تحابُّوا".	110
49-	"أنَّ المؤمنين إذا جازوا الصِّراطَ، حُبِسُوا على قَنْطَرَةٍ...".	110
50-	"ما مِنْ عبدٍ قال: لا إله إلاَّ الله، ثمَّ مات على ذلك إلاَّ دخل الجنَّة"...".	111

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرقم	طرف الحديث	رقم الصفحة
51-	"إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً...".	111
52-	"إنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ".	112
53-	"عَسَى أَنْ تُخَلَّفَ فَيَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ".	112
54-	"لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ، بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".	113
55-	"مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ دَاءٍ إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً".	114
56-	"أَرَأَيْت أَدْوِيَةً نَتَدَاوَى بِهَا، وَرُقًى نسترقي بِهَا؛ وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا...".	114
57-	"أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ...".	114
58-	"أَلاَ أُخْبِرُكُ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ...".	114
59-	"أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم أَنْ أَقْرَأَ بِالمُعَوِذَتَيْنِ فِي دُبُرِ كُلِ صَلَاَةٍ".	115
60-	"خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ، نَطْلُبُ النَّبِي ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا...".	115
61-	"أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَفَثَ فِي كَفَّيْهِ...".	115
62-	"أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى، يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَيَنْفُثُ...".	115
63-	"كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ...".	115
64-	"إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ" فَقَالَ: أَخُلُقَيْنِ ...".	118
65-	"أُصَلِّي صَلَاةَ المُسَافِرِ، ما لم أُجْمِعْ مكثًا".	122
66-	"كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ؛ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاه".	124
67-	"أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا...".	125
68-	"مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانه أَوْ يُنَصِّرَانه...".	126
69-	"أَلَا إِنَّ الْقُوةَ الرَّمي".	140
70-	"لَو أَنكُمْ تَوَكَّلُونُ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُلَهُ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ...".	144
71-	"اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ...".	144
72-	"أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ".	146
73-	"لَا مَنْجَى وَلَا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ".	146
74-	"احْرِصْ عَلَى مَا يَنفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ".	147

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: فهرس الفرق

الرقم	اسم الفرقة	رقم الصفحة
1-	الخوارج	**2، 11، 31**
2-	القدرية	**2، 11، 52، 53**
3-	المعتزلةِ	**11، 28، 31، 39، 51، 93، 154**
4-	المرجئة	**2، 11، 38، 38**
5-	الجهمية	**2، 11، 31، 51**
6-	الرَّوافضِ	**11، 191**
7-	الجبريَّةِ	**11، 51، 52**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً: فهرس الأعلام

الرقم	اسم العلم	رقم الصفحة
1-	ابن سينا	87، 88، 134
2-	ابن فورك	32
3-	أبو المعالي الجويني	29، 30، 38، 118،120،121
4-	أبو بكر ابن العربي	34
5-	أبي الحسن الأشعريّ البصريّ	2، 28، 32، 35، 52، 60، 121
6-	أبي حاتم الرازي	17
7-	الأزهري	41
8-	الباقلاني	31، 38، 45، 46، 53
9-	البغدادي	31، 47، 121
10-	البيهقي	33
11-	الشهرستاني	34، 37، 56، 60
12-	العامري	131، 132
13-	عبد الرحمن بن مهدي	16
14-	عضد الدين الإيجي	32، 38، 60، 83
15-	عياض	19
16-	الغزالي	32، 38، 45، 46، 47، 47، 59، 62، 73، 121، 131
17-	فخر الدين	30
18-	يزيد بن هارون	18

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com